في مدرسة

آية الله العظمى العارف

الشيخ بهجت

في العقيدة والعرفان والأخلاق

الجزء الأول



إعداد
لجنة ترجمة ونشر آثار الشيخ بهجت

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

دار الأنام _ لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

في مدرسة

آية الله العظمى

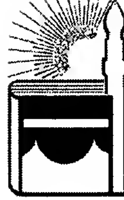
الشيخ بهجت

نوادر وكرامات، أسئلة ومراجعات
خطب وحوزويات

الجزء الثاني

إعداد
لجنة ترجمة آثار الشيخ بهجت

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب:	في مدرسة آية الله العظمى الشيخ بهجت ج ٢
إعداد:	لجنة ترجمة آثار الشيخ بهجت
الناشر:	مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر
الطبعة الثانية:	١٣٨٤هـ / ٢٠٠٦م

لبنان / بيروت / الغبيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

قم/ايران/ ٥٩٨- ٣٧١٨٥

info@Omalqora.net



الفصل الأول:

نوادر وقصص وكرامات
من أحاديث الشيخ بهجت ومواعظه



نيل الدرجات العالية في الإيمان واليقين من غير ضجيج

كيف استطاع الأنبياء عليهم السلام تربية أشخاص أمثال سلمان رحمه الله، ممن كانوا وكأنّهم عاينوا ما قد عاينه الأنبياء عليهم السلام. بل بغض النظر عن سلمان رحمه الله الذي كان حواري النبي صلى الله عليه وآله ووصيّه عليه السلام، وما له من المقامات الرفيعة، فقد رأينا علماء في عصر الغيبة قد نالوا المقامات العالية والكرامات، وكانوا يرون المستقبل ويخبرون عنه، وكانوا من أهل البصيرة، وقد نالوا درجات عالية من الإيمان واليقين والكرامة، من غير ضوضاء وطبل ومزمار، ومن غير تظاهر وغرور. وإذا طبّلوا وزمّروا وتظاهروا بالكرامة أحياناً فمن أجل ترويج الشرع، لا الترويج لأشخاصهم.

تواضع الميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) ومرتبته العلمية

كان للميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله شغل مع أحد طلابه، ويريد إيصال مبلغ من الحقوق الشرعية له، فجاء إلى باب داره وبقي منتظراً عند باب الدار إلى الغروب، حتى خرج ذلك التلميذ فأعطاه المال.

فسأله التلميذ: ولماذا انتظرت هكذا، ولم تقرع الباب؟

فقال الميرزا: لقد كنت أعلم أنّك ستخرج من المنزل آخر الأمر، ولذا لم أرغب في ازعاجك.

وهذا هو الميرزا الذي لا يُعلم أنّ أحداً من الشيعة يصل إلى درجته في الجدل. يقول السيد حسين القمي رحمه الله: إذا ادّعى شخص بأنّه صاحب الزمان عجل الله فرجه، فإنّنا نقول له:

إذهب إلى الميرزا محمد تقي الشيرازي وباحثه في الأصول، فإذا تغلبت عليه عندئذ نصدقك.

وكتاباته الشخصية دالة على صحّة هذا الموضوع.

ما الذي حدث؟ وكأن العلم قد رحل من بلاد الشيعة! لماذا لا نحترم ونعظّم علماءنا، ولِمَ ابتُلينا بفقدان نعمة وجودهم بين ظهرانينا؟!

شريف مكّة وكرامة للشيخ حسن علي الأصفهاني (رحمه الله)

صادف عندما كان الشيخ فضل الله النوري والشيخ حسن علي الأصفهاني رحمهما الله في مكة لأداء فريضة الحج أن مرض الشريف حسين شريف مكّة، فطلب المرحوم الشيخ فضل الله من الشيخ حسن علي طريقة لعلاجه وشفائه، فأعطاه الشيخ شيئاً من التمر[١] ليأخذه إليه. فتتحسن صحّة الشريف، ويشفى لدى تناوله ذلك التمر، ويقوم بعدها بدعوة الشيخين النوري والأصفهاني للضيافة عنده. فيلبي المرحرم النوري الدعوة ولكن المرحرم الشيخ حسن علي يمتنع من الذهاب. وهناك يرغب الشريف حسين من الشيخ النوري أن يطلب منه حاجة ليقضيها له، وكان المرحوم النوري يحرص كثيراً على كتابة حرز الإمام الجواد عليه السلام الذي يجب أن يُكتب على جلد غزال من غزلان تهامة[٢] له من العمر ستة أشهر، ولذا طلب منه أن يهديه غزالاً بهذا العمر، فأرسل له الشريف حسين ستة عشر غزالاً من النوع الذي طلبه، فأخذ منها ثلاثة.

---

(١) لقد كان الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمه الله معروفاً بالكرامات والتصرفات غير العادية وخاصة معالجة المرضى بأعمال من قبيل الدعاء أو إعطائهم شيئاً من التمر أو قطع السكر مما يحتمل أنه كان يقرأ عليها بعض الأدعية (المترجم).

(٢) اسم مناطق أسفل (نجد) من بلاد الحجاز. انظر: مجمع البحرين ٦ / ٢٣.

وفي (مهج الدعوات) لم يشترط أن يكون حرز الإمام الجواد عليه السلام في خاتم فضة بل شرطه هو أن يُكتب على جلد غزال بالنحو الخاص، وأن يحمله صاحبه معه[1].

طراوة جسد الشيخ الصدوق قدس سره

جاء في «روضات الجنات» أنّه في حدود سنة (١٢٣٨ هـ) وعلى أثر تساقط الأمطار بكثرة وجريان السيول، تعرض قبر الشيخ الصدوق ـ الموجود في سرداب في مدينة الري ـ للخراب، وعندما هدم القبر لأجل إصلاحه وإعادة تشييده، وجدوا جسد الصدوق باقياً على حاله لم يتغيّر، وكأنه قد دفن لتوّه، إلاّ ما كان من الكفن فقد تمزق وأصبح كالفتائل المنتشرة على بدنه، وكان البدن مكشوفاً بكله باستثناء العورة.

فذهب الناس من العلماء والمؤمنين لمشاهدة البدن الطاهر في ذلك السرداب وزيارته، حتّى لم يبق أدنى شك لأحد من الأهالي في ذلك.

فلما وصل الخبر إلى سلطان الوقت فتح علي شاه، حضر بنفسه مع حاشيته إلى ذلك المكان، فظهرت للجميع تلك الكرامة الباهرة، فأمر السلطان بتعمير القبر وبناء قبة محكمة عليه مع وضع الزينة على البناء.

...ومن كرامات الشيخ الأنصاري (رحمه الله) أيضاً

يمكن القول إنّ للمرحوم الشيخ الأنصاري ـ الذي كان يحضر الدروس الأخلاقية للسيّد علي الدزفولي الشوشتري عليه الرحمة ـ كلمات مميزة منها: إذا أردنا السعي في حوائجنا فيجب أن نسعى إليها مع الخشوع والخضوع، أي لا يكون همنا تلك الحوائج، بل ينبغي

(١) للاطلاع على شرائط هذا الحرز انظر: بحار الأنوار ٥٠ / ٩٧، ٩١/ ٣٥٦، مهج الدعوات: ٣٨، الأمان: ٧٧، مستدرك الوسائل ٢/ ٥٩٩.

أن ينصب اهتمامنا بالتكليف ومراعاته.

وقال أيضاً في مرض موته: الموت والحياة من عوارض البدن، والسوء سواد الوجه في الدارين.

فهل يستطيع الإنسان العادي النطق بمثل هذه الكلمات؟!

الله يعلم كم ينبغي للإنسان أن يطوي من المقامات حتى يستطيع التكلّم بمثل هذه الكلمات. إنّ هؤلاء قد أدّوا الأمانة علماً وعملاً، والويل لنا إذا كنّا على خلافهم. لقد كان جميع بيت المال في داره؛ لأنّ البنوك لم تكن معروفة آنذاك، وفي إحدى الليالي تسلق اللصوص سطح الدار لينفذوا إليه، فرأوا في دار الشيخ رحمه الله جاموسة، فلم يتجرأوا على النزول إلى الدار خوفاً منها. وهذه الكرامة لا تختصّ بالشيخ رحمه الله، فكثير من العلماء لهم مثل هذه الكرامات. ونحن الذين لا نملك مثل هذه الكرامات، لعلّ الاعتراف والإقرار بأنّنا علماً وعملاً لسنا مثلهم ينفعنا ويسعفنا.

جسد الآخوند الخراساني بعد خمسين سنة

لقد فتحوا قبر الآخوند الخراساني «صاحب الكفاية» بعد خمسين سنة من وفاته من أجل دفن ابنته زهراء بجنبه، فوجدوا أن جسده وبالرغم من مرور هذه المدة لم يتلاش ولم يتغير وجهه وملامحه.

وسمع من المرحوم الحاج ميرزا هادي الكفائي، وكان حاضراً ينظر مراسم حفر القبر،أنه قال: والأغرب من هذا أني لما أخذت يد الآخوند ووضعتها على يد ابنته وجدته كالشخص النائم مما أثار تعجب الحاضرين، وعند ملاحظة الكفن والوجه وجد كأن الآخوند قد دفن يوم أمس، فأردت أن ألتقط له صورة لكن خالفني البعض في ذلك لاعتقاده بعدم جوازه.

الإمداد الغيبي

كنّا في إحدى المناسبات مجموعة من الأشخاص، وأراد البعض أخذنا بالسيارة من البيت أو المسجد، وكنت راغباً بالذهاب معهم، ولكن ما إن أردت الصعود معهم بالسيارة، أحسست أنّ ملكاً يمنعني من ذلك، ولا يدعني أصعد.

نعم، نحن بحاجة أكثر من ذلك، إلى إرشاد الملك وهدايته من أجل الحفظ من ارتكاب المعاصي. وهو البلاء الذي كثيراً ما نكون مبتلين به إلى يوم القيامة.

الدنيا بيت العبرة، ومهما شاهدنا من أمور نعلّل أنفسنا باحتمال كوننا مستثنين من ذلك، واحتمال عدم تكرر هذا الأمر معنا[١].

الميرزا حسين بن الميرزا خليل

قال الميرزا حسين بن الميرزا خليل[٢] وهو في التسعين من عمره: إنّ تناول الطعام بالنسبة لي هو كمن يملأ كيساً أو وعاء، إذ أني لا أجد فيه أية لذة، وإنّما لذّتي الوحيدة هي الصلاة.

وقد نقل أحدهم عنه أنّه كان رحمه الله يقف بعد صلاة الصبح في الجهة المسامتة لرأس أمير المؤمنين عليه السلام، ويبقى مشغولاً بالصلاة إلى حين طلوع الشمس.

---

(١) كأنّ مقصوده حفظه الله أنّنا مهما شاهدنا من انحراف وتردي أحوال ومعاصي من أشخاص وربما كانت بداياتهم حسنة فإننا لا نتعظ من ذلك، ولا يكون انحرافهم مدعاة لنا لان نهتم بمراقبة أنفسنا أكثر بل نعلّل أنفسنا بأنّ ما حصل معهم ربما لن يحصل معنا، وكأننا نملك مزايا تجعلنا مستثنين مما أصابهم من زلل. (المترجم).

(٢) أحد العلماء والمراجع في النجف الأشرف.

الاحتياط إلى جانب التبحّر

يجب أن نكون خائفين ومن أهل التوسّل، يجب أن نكون في المعلومات واليقينيات خائفين ومتوسّلين فضلاً عن المجهولات والمشتبهات!! يجب الانتباه والحذر، لئلاّ يؤدي العمل وتحمّل الابتلاءات في طريق الحّق بالإنسان إلى الانحراف ولقد شُوهد من عظماء العلماء من هو عجيب في علميّته، ومع ذلك فقد كان احتياطه عجيباً أيضاً! فالويل لمن يتسرّع في الإجابة لا عن علم.

بين البهائي وميرداماد

كان بين السيّد محمّد باقر الداماد والشيخ البهائي رحمهما الله خلطة تامة ومؤاخاة عجيبة قلّ ما يوجد نظيرها وقد نقل: أنّ السلطان شاه عباس الصفوي ركب يوماً إلى بعض مقاصده، وكان الميرداماد والبهائي أيضاً في موكبه؛ لأنّه كان لا يفارقهما غالباً، وكان السيّد الداماد عظيم الجثة بخلاف الشيخ البهائي، فإنه كان نحيف البدن في غاية الهزال.

فأراد السلطان أن يختبر صفاء الخواطر فيما بينهما، فجاء إلى السيّد الداماد، وهو راكب فرسه في مؤخر الجمع وقد ظهر من وجناته الإعياء والتعب لثقل جثته، بينما كان جواد الشيخ البهائي في مقدم الجمع يركض كأنّما لم يحمل عليه شيء.

فقال: «يا سيدنا! ألا تنظر إلى هذا الشيخ في مقدم الجمع كيف يلعب بجواده ولا يمشي على وقار بين هذا الخلق مثل جنابك المتأدب المتين؟».

فقال السيّد: «أيها الملك! إن جواد شيخنا لا يستطيع أن يتأنّى في جريه من شغف ما حمّل عليه؛ لأنّه يعلم من ذا الذي ركبه!».

ثمّ جاء إلى الشيخ البهائي وقال: «يا شيخنا! ألا تنظر إلى خلفك كيف أتعب هذا السيّد المركب، وأورده من غاية سمنه في العي والنصب، والعالم لابدّ أن يكون مثلك

مرتاضاً خفيف المؤونة؟».

فقال: «لا، أيها الملك! بل العيّ الظاهر في وجه الفرس من عجزه عن تحمل حمل العلم الذي يعجز عن حمله الجبال الرواسي على صلابتها».

فلما رأى السلطان المذكور تلك الأُلفة التامّة، والمودّة الخالصة بين عالمي عصره نزل من ظهر دابته بين الجمع، وسجد لله تعالى، وعفّر وجهه بالتراب، شكراً على هذه النعمة العظيمة.

نموذج من قناعة العلماء وحياتهم البسيطة

كان السيّد مرتضى الكشميري رحمه الله يتناول إفطاره بعد مضيّ ساعتين من الليل وكان إفطاره عبارة عن صحن في وسطه لقمة من الرز مما لا يشبع أمثالنا بالتأكيد. كان يأكل قليلاً ويجتنب عن إملاء المعدة، اللهمّ إلاّ بالعنوان الثانوي كالأكل مع الضيوف وأمثال ذلك. وكان يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام اللذين كانا يكتفيان بتميرات في إفطارهما. ولكن نحن نرى الثروة والغنى في المحسوسات، ولهذا لو دُعينا إلى مائدة طعام بسيطة لاعتبرنا ذلك إهانة لنا.

لقد دُعي أحد الأشخاص إلى ضيافة قدّموا له فيها الخبز اليابس والسكنجبين من غير شاي.

نعم، لقد أمضى أولئك حياتهم بالبساطة والقناعة، ومع هذه الحالة فكم نحن غير شكورين.

ولقد كان المرحوم الشيخ رضا الهمداني[١] يطالع دروسه على ضوء بيت الخلاء [في المدرسة لافتقاده وسيلة الاستنارة]. ومقصودي أن لا نتقيّد بغير هذه الأمور؛ لأنّ

(١) فقيه وأصولي كبير، توفي سنة ١٣٢٢، صاحب تأليفات عديدة منها: مصباح الفقيه.

مسرّات الدنيا محدودة ومقيّدة بالزمان. بسم الله، انظروا إلى هذه القنابل التي تتساقط على المدن والابتلاءات الأخرى. أفراح الدنيا وأحزانها تذهب وتنتهي، وسرور العام الماضي وأنسه لا ينفع لهذا اليوم، ولذة اليوم لا أثر لها غداً، وسرور الغد لا فائدة فيه اليوم.

صبر العلماء على الفقر

ذهب المرحوم شيخ الشريعة الأصفهاني مرّة لعيادة المرحوم المامقاني الكبير في منزله، فوجده يلتحف لحافاً مهلهلاً رثاً، ثم أحضروا له حساءً لا يناسب حاله كمريض. فلم يكن من المرحوم الأصفهاني إلاّ الاعتراض قائلاً له: ما هذا اللحاف؟ وما هذا الحساء؟

فأجابه المامقاني: [ومن أين آتي بالمال] ممن أسرق؟ ممن أسرق؟

وبعدها كان شيخ الشريعة يرسل بيد ولده الشيخ أبي القاسم رحمه الله مبلغاً من المال ليعطيه المرحوم المامقاني، وتكرر هذا العمل منه مراراً.

ويروي أحد طلاب العلوم الدينية العاديين عن المرحوم السيّد محمد الفشاركي مع كل ما له من الفضل ـ حتّى إنّ البعض كان يعدّه أعلم من الآخوند الخراساني والسيّد اليزدي رحمهما الله، بل أعلم حتى من الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس سره ـ يقول: رأيت السيد محمد الفشاركي رحمه الله عند الخباز، وقد جاء ليشتري خبزاً، والخباز يقول له: لقد أصبح حسابك كبيراً، ولذا لن أعطيك خبزاً [هذه المرة]. يقول هذا الطالب: فقلت للخباز: أعطه خبزاً على حسابي.

نعم، فمع كل هذه المقامات العلمية أين نحن منهم؟! وما صبرنا بالقياس إلى صبرهم؟! وما عبادتنا بالنسبة لعبادتهم؟!

لقد كانوا في صبرهم على المصائب في المرتبة القصوى، ويمثّلون الأنبياء والأوصياءعليهم السلام في ذلك، مع فارق أنّ الأئمة والأنبياءعليهم السلام كانوا متعمّدين [لذلك].

مكاشفة للعلامة الطباطبائي قدس سره

قال العلاّمة الطباطبائي: «في سنوات تحصيلي بحوزة النجف الأشرف كنت أتلقّى مصارفي من والدي، وكنت فارغ البال مشغولاً بالتحصيل، حتّى مرّت بعض الشهور علَيَّ ولم يأت أحد من المسافرين الإيرانيّين إلى العراق، ونفد مصرفي، وذات يوم بينما كنت مشغولاً بالمطالعة وأُفكر في مسألة علميّة، زاحمتني أفكار خلو اليد من المال ووضع العلاقات بين إيران والعراق، وانشغلت بنفسي، فخرجت عن التفكير في المسألة العلمية، ولم تمرّ لحظات حتّى سمعت طرق الباب، وكنت في تلك الحالة واضعاً رأسي على يدي، ويدي على المنضدة، فلما أردت أن أفتح باب المنزل رأيت رجلاً طويل القامة، وله لحية مخضبة بالحناء، ويرتدي لباساً لا يشبه لباس رجال الدين في عصرنا لا من ناحية القباء ولا من ناحية العمامة، ومع كلّ ذلك فقد كانت له هيئة جذّابة، فما إن فتحت له الباب حتّى بادرني بالسلام وقال: أنا الشاه حسين وليّ، إنّ الله المتعال يقول: في هذه المدّة (الثمانية عشر عاماً) هل تركتك جائعاً حتّى تركت درس المطالعة وأخذت تفكّر في معيشة يومك هذا؟

ثمّ ودعني وخرج.

وبعد أن أغلقت باب المنزل ورجعت لأجلس خلف المنضدة تعجّبت ممّا رأيت، وخطر لي بعض الأسئلة، منها:

السؤال الأوّل: هل من الصحيح أنّي قمت من خلف المنضدة وذهبت إلى باب المنزل، أم إني رأيت ما رأيت وأنا هنا، مع العلم بأنّ لي يقيناً بأنّي لم أكن نائماً؟

السؤال الثاني: من هذا الشخص الذي عرّف نفسه باسم الشاه حسين وليّ؟

وقد بقي هذا السؤال بدون جواب إلى أن كتب لي والدي من تبريز أن أزور إيران في الصيف، وفي تبريز وحسب العادة المتّبعة في النجف كنت أمشي بين الطلوعين وفي أحد الأيام مررت من المقبرة القديمة في تبريز فنظرت إلى أحد القبور وكان يبدو أنّه قبر أحد الأعاظم، وعندما قرأت الكتابة على الصخرة وجدت أنه قبر رجل عارف باسم الشاه حسين ولي وأنّه متوفّى حدود ثلاثمائة سنة قبل أن يأتي إلى منزلي.

والسؤال الثالث الذي خطر ببالي هو أن تاريخ ثمانية عشر سنة، متى يبدأ، فهل هو من حين شروعي بتحصيل العلوم الدينيّة؟ فإنّ لي خمسة وعشرين عاماً، أو من حين الوقت الذي تشرّفت به إلى حوزة النجف الأشرف؟

وهذا أيضاً لم يتجاوز عشرة سنين، وبعد أن فكّرت جيّداً رأيت أن ثمانية عشر سنة هو مدّة تلبسي بلباس رجال الدين.

من مقدمات نيل الحكمة والمعرفة

اشترى السيد محمد الشفتي رحمه الله قطعة من لحم الكبد لعائلته، وفي طريق رجوعه إلى داره رأى حيواناً مع أولاده، فرقّ قلبه لحاله ورمى له قطعة من ذلك الكبد، ثم قطعة أخرى... وهكذا إلى أن لم يبق منه شيء. وكأنّ السيد محمد رحمه الله شخّص أن هذه الحيوانات أحوج إلى قطعة الكبد هذه من أفراد عائلته. ومن ذلك الوقت فُتحت أبواب الحكمة والمعرفة في وجهه.

...أيضاً من كرامات الشيخ الأنصاري (رحمه الله)

أعطى الشيخ الأنصاري رحمه الله مبلغاً من الحقوق الشرعية مقداره أربعمائة تومان

للشيخ محمد حسين الكاظمينيرحمه الله، وبما أن الشيخ الكاظميني كان واقعاً تحت دين فساوره التفكير أنّ هذا المبلغ الذي أعطاه إيّاه الشيخ، هل هو لإيفاء قرضه، أم لتوزيعه بين الطلاب؟ ولهذا فقد أخّر توزيع المال على الطلاب يوماً واحداً. وفي اليوم التالي وأثناء مرور الشيخرحمه الله قريباً منه ناداه قائلاً: وزّع هذا المال بين تلاميذك وسنجد حلاً لأداء قرضك.

وطبعاً، فقد اطّلعنا على هذه الأمور بعد وفاة الشيخرحمه الله، والأساتذة الذين نقلوا هذه القصص كانوا هم أنفسهم من أصحاب هذه الأمور، أو ربما إذا نقلوها عن الآخرين فيحتمل أن يتُصور أنّهم أيضاً من أهل هذه الكرامات. وطبعاً كانوا يبيّنونها بنحو تنصرف الأذهان عنهم. وهؤلاء مع كل هذا الفقر، كم كانت لهم من مقامات وحالات. بينما نحن لسنا على شيء، مع جميع ما نمتلكه من وسائل الرفاه المادية هذه؟! فكم نحن مسلوبي التوفيق وكسالى!

رؤيا الشيخ جواد مشكور

رأى الفقيه العادل المرحوم الشيخ جواد بن مشكور في ليلة (٢٦ / صفر / ١٣٣٦ هـ) في النجف الأشرف في منامه عزرائيل، وبعد السلام سأله الشيخ: من أين جئت؟

فقال: جئت من شيراز بعد أن قبضت روح الميرزا إبراهيم المحلاّتي.

فسأله الشيخ: كيف حال روحه في البرزخ؟

فقال: في أحسن حال، وفي أفضل بساتين عالم البرزخ، وأنعم الله عليه بأن جعل له ألف ملك يمتثلون أمره.

فسأله الشيخ: ما الذي عمله حتّى وصل إلى هذا المقام؟

قال: لكونه كان يقرأ زيارة عاشوراء (وكان المرحوم الميرزا المحلاّتي قد واظب

على زيارة عاشوراء ثلاثين سنة في أواخر عمره) فلما انتبه الشيخ جواد من نومه ذهب من الغد إلى منزل آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي ونقل له ما رآه في منامه، فبكى المرحوم الميرزا الشيرازي، فلمّا سئل عن سبب بكائه؟

أجاب: ذهب الميرزا المحلاّتي من هذا الدنيا، وكان أسطوانة الفقه.

فقيل له: لعلّه لا يصحّ نبأ وفاته، والشيخ رأى مناماً ويحتمل أن لا يصدقه الواقع.

فقال الميرزا الشيرازي: نعم، إنها رؤيا في المنام، ولكنّها رؤيا الشيخ مشكور.

وهذه الحكاية رواها البعض من فضلاء النجف عن المرحوم آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي الذي كان حاضراً في منزل الميرزا محمّد تقي الشيرازي عند ورود الشيخ مشكور ونقل الرؤيا، وكذلك نقل هذه القصة الحاج صدر الدين المحلاتي حفيد المرحوم الميرزا إبراهيم المحلاّتي.

تواضع العلماء في المقامات المشرفة

لقد رأينا علماء في الحرم والمشاهد المشرّفة، في النجف وكربلاء وغيرهما بحالات عجيبة من التوسّل والتضرّع والبكاء والإقبال إلى الله عز وجل، وكأنّهم لا يعلمون بوجود الرياء في العالم، وكأنّهم لم يسمعوا شيئاً عن الرياء والتظاهر، أو أنهم لا يشعرون بوجود أشخاص حولهم يرونهم ويلتفتون إليهم.

تقنين في إصدار الأوامر

نحن لسنا جاهلين بمقامات أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل لا نستطيع التحدّث عن العلماء ومقاماتهم العلمية؛ لأنّه قد نُقلت العجائب والغرائب حول علمهم وأعلميتهم ومقاماتهم العلمية.

يقول أحد الأشخاص: ذهبنا إلى المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي بعد مضي ساعتين أو ثلاثة من صلاة الظهر، فوجدناه جالساً وأمامه إناء فيه ماء لحم لم يتناول منه شيئاً. فسألناه عن سبب تأخره عن تناوله، فقال: إنّهم لم يأتوا بالخبز. فهو لم يكن مستعداً أن يصدر أمراً لأحد [حتى لو كان من قبيل طلب الخبز، بل كان ينتظر ليقوم أهل بيته بذلك من أنفسهم].

قرّاء دعاء أبي حمزة الثمالي في قنوت الوتر

لم أرَ في عمري من يقرأ دعاء أبي حمزة الثمالي في قنوت الوتر من صلاة الليل، بينما ينقل أحدهم فيقول: سمعتُ من شخص أنّه رأى في زماننا سبعون شخصاً ممن يقرأون دعاء أبي حمزة الثمالي في القنوت في ليلة واحدة في الحرم. ويقول: وقد ذهبت بنفسي وأحصيتهم في الحرم والرواق وحواليه، فوجدت خمسين شخصاً يقرأون هذا الدعاء في قنوت الوتر.

في كفالة أمير المؤمنين (عليه السلام)

روى العالم المتقي الحاج ميرزا محمّد الصدر البوشهري (عليه الرحمة) قال: «عندما سافر والدي (المرحوم الحاج الشيخ محمّد علي) من النجف الأشرف إلى الهند كان لي ولأخي الشيخ أحمد من العمر ستّ وسبع سنين، وقد طال سفر والدي بحيث نفد المبلغ الذي تركه عند أُمّي لنفقتنا، وقد بكينا من شدّة الجوع وكان الوقت عصراً وقد تعلّقنا بأُمّنا.

فقالت لنا الوالدة: أسبغا الوضوء والبسا ثياباً طاهرة، وخرجت بنا من المنزل حتّى دخلنا الصحن المقدّس، ثم قالت لنا: سأجلس في هذا الإيوان، وأنتما اذهبا إلى الحرم

وقولا لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أبانا غائب ونحن الليلة جياع، وخذا من الإمام عليه السلام مصرفاً وأتيا به حتّى أهيّئ لكما عشاءً.

فدخلنا الحرم ووضعنا رأسينا على الضريح المقدس وقلنا: إنّ أبانا غائب عنّا ونحن جياع، ومددنا أيدينا إلى داخل الضريح وقلنا: أعطنا مصرفنا حتّى يمكن لأُمّنا أن تهيّئ لنا عشاءً، ولم يمض من الوقت إلاّ قليل حتّى حان أذان المغرب، وسمعنا صوت: قد قامت الصلاة، فقلت لأخي: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام الآن مشغول بالصلاة ـ وبتصوّر الطفولة، قلت: إنّ حضرة الأمير عليه السلام يصلّي صلاة الجماعة ـ ثم جلسنا في زاوية من الحرم المطهّر بانتظار انتهاء الصلاة، وبعد أقلّ من ساعة وقف شخص في مقابلنا وأعطاني كيساً من المال وقال: «خذ هذا الكيس وسلّمه لأُمّك، وقل لها: لتراجع في كلّ ما تحتاجه المحلّ الفلاني إلى أن يأتي والدكما» (وقد نسيت الآن المحلّ الذي حوّلنا عليه).

والخلاصة: أنّ سفر والدنا قد دام شهوراً، وفي هذه المدّة كنّا نعيش بأحسن ما يكون إلى حين رجوعه».

التوسّل بالصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) والنجاة من الموت

كان الحاج الميرزا محمّد رضا الفقيه الكرماني يخوض صراعاً شديداً مع بعض المنحرفين، وقد دعا المرحوم الحاج سيّد يحيى الواعظ اليزدي للتبليغ ومكافحة أُولئك المنحرفين، فقام السيّد بفضحهم..

فصمّموا على قتل السيّد يحيى وقد دبّروا خطّة عجيبة للقضاء عليه؛ إذ دعوه للخطابة وقراءة العزاء في أحد المنازل، ومن ثمّ أخذوه إلى بستان خارج المدينة، وفي البستان أحسّ السيّد بخطر الموت، ولم يكن ثمة من يعلم بخبره أو مكانه، فتوسّل

بالزهراء (سلام الله عليها)، وصلّ صلاة الاستغاثة إليها وشرع بقراءة: يا مولاتي! يا فاطمة! أغيثيني، فلم تمرّ لحظات حتّى سمع أصوات التكبير تقترب، ثمّ تسلق مجموعة أشخاص جدران البستان، ودخلوه وأنقذوا السيّد يحيى، ثم جيء به إلى منزله يصحبه المرحوم الحاج ميرزا محمّد رضا الكرماني.

ولمّا سئل آية الله الكرماني عن أنّه كيف عرف أنّ السيّد يحيى في معرض الخطر والمحنة؟

قال: كنت نائماً، فرأيت في عالم الرؤيا السيّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وقالت لي: «يا شيخ محمّد رضا، أسرع لنجاة ابني السيّد يحيى، فسيقتل إن تأخّرت عنه»، ودلّتني على مكانه، ولذا جمعت الناس وأتينا حتّى أنقذناه.

مكاشفة للسيد جمال الدين الكلبايكاني (قدس سره)

نقُل عن السيّد جمال الدين الگلپايگاني قدس سره أنّه قال:

رأيت المرحوم الشيخ آقا ضياء الدين العراقي في قنوت صلاة الوتر وهو يقول: سماحة الشيخ[1]، وقد التحق بنا.

وقد كان ذلك ليلة وفاة المرحوم الأصفهاني.

سؤال: هل رأى ذلك في عالم اليقظة أم في عالم المنام؟

الجواب: لقد نهض بعد صلاة الوتر، وأتى بصلاة الصبح ونافلته من غير أن يجدّد وضوءه، وعلى هذا فيكون قد رآه في عالم اليقظة.

---

(١) آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله، وقد توفي بعد رحيل المحقق العراقي بأسبوع واحد فقط.

اختبار في العبودية

نُقل عن المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي أنّه قال: هل حدث أن أُمتحنت في صدق عبوديتك، لكي تعلم هل أنت عبد لله أم لا؟ فكّر أنك إذا كنت تهيأت مع زوجتك وأولادك للسفر لزيارة كربلاء، وبعد تحمّل المشاق الكثيرة وإنفاق المال الكثير وصلتم إلى الحدود، ولكن فرض عليك هناك ارتكاب محرّم «مثل كشف الحجاب أو نظر الأجنبي إلى زوجتك وبناتك» لكي تستطيع الخروج من نقطة الحدود وأخذ الجواز، ففي هذه الحالة كيف تتصرّف؟ هل تقول في نفسك:لا أهمية لذلك، إنّه مجرد ذنب واحد، وقد أنفقنا كل هذه الأموال وتحمّلنا هذه المشاق حتى وصلنا إلى هنا فلنرتكب هذا الحرام ونعبر الحدود. أو أنّك وبكل شجاعة ورجولة، ومع جميع ما تحملته من مشاق وبعد المسافة، ومع كل ما أنفقت من أموال ترجع مع عائلتك؟ وتقول: إنّ من أمرني بقوله: إنّ الزيارة مستحبّة، وهو نفسه من أقصده للتقرّب، ومجيئي إلى هنا وتحمّلي كل هذه الخسارة المالية كان من أجله، لا يجوّز ارتكاب الحرام فيجب عليّ الرجوع من دون أي قلقٍ أو انزعاج استجابة لداعي نهيه وزجره؛ لأنّني عبد، وأريد زيارة سيّد الشهداءعليه السلام من أجل رضا الله سبحانه، لا إرضاءً لقلبي. وإذا كان هذا العمل لله، فالله تعالى ينهى عن ارتكاب الحرام، وينهى عن الزيارة إذا توقفت على ارتكاب الحرام، ولذا عليَّ الامتثال وترك الذهاب للزيارة [بهذا الشكل].

وعليه فلو لم يعدل ويرجع فهو يقيناً ناقص الإيمان؛ فإنّ الله عز وجل يقول: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

(١) النساء: ٦٥.

فالعبد المؤمن يجب أن يسلّم لأمر الله وحكمه، لا أن يكون تابعاً لرغباته وهواه ومطيعاً للنفس والشيطان.

استشهاد ابن السكيت في محبة أهل البيت (عليهم السلام)

كان أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت عالماً بالنحو والقرآن واللغة والشعر، راوية ثقة، وله تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وتفسير دواوين العرب.

قال ابن خلّكان في (وفيات الأعيان): «وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقدّم علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يؤدّب أولاد المتوكّل، وكان المتوكّل كثير التحامل على عليّ بن أبي طالب وعلى ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فبينما هو مع المتوكّل يوماً إذ جاء المعتزّ والمؤيّد، فقال المتوكّل: يا يعقوب، أيّهما أحبّ إليك: ابناي هذان أم الحسن والحسين؟!

فقال ابن السكّيت: والله، إنّ قنبر خادم عليّ عليه السلام خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكّل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا به فمات، وكان ذلك لخمس خلون من رجب سنة ٣٣٤ هـ عن ثمان وخمسين سنة.

الكلباسي ودعاء الاستسقاء

كتب المرحوم الحاج ملاّ إسماعيل السبزواري في كتاب (جامع النورين) قائلاً: «ببالي أنّ المطر انقطع عن الهطول لمدّة سنة كاملة وذلك في عهد الحاج الشيخ الكلباسي، فجاء منوجهر خان ـ معتمد الدولة ـ إلى الحاج الكلباسي وقال: إنّ النّاس يلتمسون من سماحتكم أن تشرّفنا للدعاء بنزول المطر، فاعتذر له الحاج بقوله: أنا شيخ كبير السنّ ولا أقدر على الحركة فكيف ذلك؟

فقال له معتمد الدولة: أرسل لكم تختاً متحرّكاً، تجلس عليه وتشرّفنا.

فقال الحاج الكلباسي: وأخيراً أدعو الله بإنزال المطر من على تخت مغصوب، وهل يستجيب الله تعالى مثل هذا الدعاء؟

فقال له ابنه محمّد مهدي: نحن نصنع لك تختاً جديداً، وعندنا أخشاب في البيت.

فقال الحاج: لا بأس، فأرسلوا إلى النجار في صنع ذلك، ثمّ أعلنوا بين الناس بأن يصوموا من يوم السبت إلى الاثنين ويلتحقوا بالشيخ للدعاء بإنزال المطر، فصام الناس واجتمعوا في اليوم الموعود، فجلس الحاج على التخت، فأخذوا بأطراف التخت وذهبوا به باتجاه منطقة تخت فولاذ، ومن جهة أُخرى جاء أرامنة منطقة جلفا من توابع أصفهان واصطفوا، كما جاء يهود أصفهان ينظرون أيضاً.

فلما رأى الحاج أن الأرامنة قد اصطفوا في جانب، واليهود اصطفوا في جانب آخر، رفع رأسه إلى السماء بعد أن رفع العمامة عن رأسه، وقال: إلهي! قد ابيضّت شيبة إبراهيم في الإسلام، فلا تخجلنا هذا اليوم أمام اليهود والنصارى، وما إن تمت دعوته حتّى غطى السحاب السماء وبدأ المطر في تلك الساعة بالنزول.

الشيخ الأنصاري وأُمّه الصالحة

رأت أُمّ الشيخ الأنصاري قبل أن تولد الشيخ في المنام الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد أعطاها قرآناً مذهّباً، ولعله لهذا السبب كانت (رحمها الله) تتوضأ كلّما أرادت إرضاع ولدها الشيخ لترضعه على وضوء.

المحبة تسلب الاستقرار

عندما كنّا في كربلاء كان الشيخ عبد الله المامقاني رحمه الله على قيد الحياة، وكان يقال

أنّه كان ينام أربع ساعات في اليوم والليلة. ولكنّه ذكر في كتاب الرجال الذي ألّفه أنّه أنجزه خلال ثلاث سنوات، وأنّه كان ينام خلال هذه المدة ثلاث ساعات فقط في اليوم والليلة.

وهذا إتمام للحجّة على من يتخيل أنّه سيموت إذا قلّ مقدار نومه عن ثمان ساعات.

وكان الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله أيضاً خلال فترة التأليف ينام وهو جالس وكان يكتب في كل يوم مقداراً، وحتى اليوم الذي مات فيه اتكأ على جانبه وكتب بعض ما كان يكتب.

وينقل أحد الأفاضل عن والده أنّه استمر ينام وهو جالس مدة ثلاث سنين، ولم يُمَدّ له فراش لينام عليه طيلة هذه المدّة.

هكذا كانوا يعشقون العلم والعمل، فهل كان من الممكن تقليل النوم والإكثار في العمل إلى هذا الحد لولا وجود المحبة؟! طبعاً من الممكن أن لا ينام الإنسان بسبب التكدّر وفقدان الراحة، ولكن أين هذا من طريق المحبّة الذي لا يدع المحبّ يعرف الهدوء مطلقاً.

ضريبة تناول الطعام المكروه

أراد أحد الطلاب الرجوع إلى إيران بعد إكمال دراسته في الحوزة العلمية في النجف، فذهب إلى السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله وطلب منه إجازة في الرواية ونقل الحديث. فاستغرق الأمر أياماً دون أن يلبّي السيّد طلبه.

يقول ذلك الشيخ: فقلت في نفسي: إنّي لم أطلب من السيّد إجازة في أخذ الحقوق حتى يمتنع عن إعطائي إياها، كما أنّه من غير المعلوم أنّ أحداً في إيران يعرف

السيّد رحمه الله. ولهذا كان غيظي يشتدّ على السيّد كلّما رأيته.

وبعد مضيّ عدّة أيام أعطاني المرحوم السيّد تلك الإجازة واعتذر عن التأخير قائلاً: كنت قد أكلت في هذه المدّة طعاماً مكروهاً ـ لحم كلية أو شيئاً آخر ـ فأردت أن يزول أثر هذا الطعام من بدني بشكل كامل، حتى أتمكن من إقامة الارتباط بسلسلة سند الروايات مع الأولياء العظام وعلماء الدين، وأكون في زمرة رواة الأحاديث، وحينئذٍ أعطيك إجازة الرواية!

..علماء عاصرناهم

نفس هذه الصلاة التي نؤدّيها مع التهديد بالعصا والسوط والوعيد بالإلقاء في جهنم على تركها، يقول عنها بعض السادة: إنّها ألذّ من كل شيء. الصلاة شراب من ألذّ اللذائذ، فلا يوجد في عالم الوجود شراب بهذه اللذة.

كيف كانت حالة الأنبياء عليهم السلام وحواريّيهم؟ نسأل الله تعالى التوفيق للعمل بتكليفنا، وأن لا نُمنع من العمل لا من داخلنا وباطننا ولا من خارجنا، لقد رأيت علماء [على درجة من العبادة والعمل] ولو لم أكن قد رأيتهم لما كنت لأُصدّق ما يُنقل عن عباداتهم وحالاتهم المعنوية. لقد رأينا أنواراً بين الأشخاص، لكننا لا نستطيع التحدّث عنها، وكأنّنا ممنوعون عن حالاتهم المعنوية تلك أو عن بيانها.

التوسل بصاحب الزمان (عج) وزيارة عاشوراء

نقل المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري قال: «كنت يوماً عند الميرزا الشيرازي رحمه الله بسامراء أقرأ عليه، وفي أثناء الدرس دخل أُستاذنا الكبير آية الله السيّد محمّد الفشاركي وعليه آثار الانكماش نتيجة ظهور مرض الوباء الذي شاع في العراق

في ذلك الزمان.

فقال لنا: هل تعتبرونني مجتهداً أم لا؟

فقلنا: نعم، قال: وهل تعتبرونني عادلاً؟ قلنا: نعم، وكان مقصوده أخذ إقرارهم واعترافهم بجامعيته لشرائط الحكم والفتوى أو عدمه.

فقال بعد ذلك: أحكم على كافة شيعة سامراء من الرجال والنساء أن يقرأ كلّ واحد منهم زيارة عاشوراء يوميا نيابة عن والدة إمام الزمان، لكي تشفع هذه المكرمة لدى ابنها حضرة ولي الأمر ليشفع بدوره عند الله المتعال حتّى ينجو الشيعة من هذا البلاء.

قال المرحوم الحائري: عندما أصدر هذا الحكم، أطاعه جميع الشيعة من سكنة سامراء، وكانت النتيجة أنّه لم يتلف أحد من الشيعة في سامراء، في حين كان يتلف عشرة أو خمسة عشر يومياً من غير الشيعة من أثر الوباء».

فكّر بنفسك

نقل عن المرحوم المجلسي الأول أنّه ذهب إلى مقبرة (تخت فولاد) بأصفهان بصحبة الشيخ البهائي لزيارة أهل القبور، قال: فلمّا وصلنا قبر بابا ركن الدين سمع الشيخ البهائي صوتاً من داخل قبر يقول له: يا شيخنا! فكّر بنفسك.

فالتفت إليّ الشيخ البهائي وقال: هل سمعت هذا الصوت؟

قلت: كلا. فأخذ الشيخ بالبكاء، وراح يدعو الله. فأصررت عليه أن يشرح لي ما جرى؟

فقال: أخبرني بأن أستعد للموت.

ولم يمض على هذه القضية إلاّ ستّة أشهر حتّى فارق الشيخ الحياة في أصفهان.

الوحيد البهبهاني يأتمر بأمر الإمام الحسين (عليه السلام)

كان للوحيد البهبهاني في كربلاء حوزة درس ومرجعية تامّة، وكان يخطر على باله في بعض الأحيان أن يغادر كربلاء إلى إحدى المدن الأُخرى، حتّى رأى في المنام الإمام الحسين عليه السلام وهو يقول له: «أنا غير راض بخروجك من مدينتي»، فعدل عن رأيه السابق وصمّم على البقاء بجوار الحسين عليه السلام.

وهل تصمد النحوسة أمام قيام الليل

صاحب المناهل ـ الدار التي أعطوك إياها بعنوان حقوق شرعيّة منحوسة ويسكنها الجن، وهذا هو السبب في إعطاء صاحبها لك؟ إذ لم يكن يستطيع الانتفاع منها. فقال: سأُزيل نحوستها بدعاء الليل. وكانت النتيجة أن وصل الأمر بعد ذلك أن صار الناس يتبرّكون ويتيمّنون بإقامة عقود الزواج في هذه الدار.

استقبال الحاكم ذلٌّ لأبناء الزهراء (عليها السلام)

كان حجة الإسلام السيد محمد باقر الشفتي رحمه الله يقرأ القرآن بصوت عال أثناء سيره وتنقلاته من مكان إلى آخر، كما كان يجري الحدود الشرعية بيده. وقد قام أوائل وروده إلى أصفهان بتعزير أحدهم، مما حدا الحكومة أنذاك إلى حبسه، لكنهم أطلقوا سراحه بعد توسّط إمام جمعة أصفهان ذلك الوقت، لكنّه لم يترك إقامة الحدود والتعزيرات إلى آخر عمره. إلى أن جاء الشاه يوماً إلى بيته مع خدمه وحشمه، لكن السيد رحمه الله بقي داخل البيت وامتنع عن المجيء إلى غرفة الاستقبال للقائه. ودعا ربه حينئذٍ قائلاً: إلهي لا تسمح بإذلال ابن الزهراء عليها السلام أكثر من هذا. فتوفِّي بعد ثلاثة أيام. فيا له من دعاء.

والشاه من ناحيته، وانتقاماً من السيد حيث رفض لقاءه، قام بإجراء جعل ورثة السيد رحمه الله يخسرون بسببه ثلاثين ألف تومان[١].

قصّة العثور على جسد قطب الدين الراوندي طرياً في قبره

عندما أرادوا إحداث الحديقة العامة في قم، قرب مبنى البلدية القديم، في موضع كان مقبرة لدفن العلماء، عثروا على أجساد طرية كثيرة. ومنها قبر قطب الدين الراوندي إذ أنهم وجدوا عندما وصلوا في الحفر قريباً من قبره شقّاً في الأرض حيث عثروا فيه على جسده لا يزال طرياً، بل حتى الكفن وجدوه باقياً على حاله جديداً!

ومع كل هذا نرى البعض ينكر هذه الوقائع حتى بالنسبة لأجساد الأنبياء والأوصياء عليهم السلام! ومن أين لنا نحن أن ندرك مقامهم عند الله عز وجل (حتى نتساهل في الإنكار إلى هذا الحد)؟!

«للبيت ربٌ سيمنعه» آخر الدواء أم أوّله

كان أحد العلماء يدرّس الأخلاق، ويجتمع في درسه عدد كبير من طلاب العلم لكنه قام بتعطيل درسه بعد مدّة، وعندما سألناه عن علّة ذلك قال: لم أجد له تأثيراً، لقد وصل الأمر إلى درجة يجب معها أن نقول لكل شخص على حدة: لقد عملت هذا العمل وارتكبت هذا الذنب، حتى يتأثر ويقلع عن تلك الذنوب.

وقال أيضاً: إن هذا الدرس لم يؤثر لا في القائل ولا في السامع.

وحالنا كذلك فقد فاتتنا الواضحات عمداً، ولقد قال عبد المطلب في آخر كلامه لأبرهة بعد أن بذل ما بوسعه وقام بتكليفه، ولم يعد يجد ما يقوم به: «**أنا ربّ الإبل، إنّ**

---

(١) كان يعتبر هذا المبلغ هائلاً ذلك الوقت.

للبيت ربّاً سيمنعه»[١]، ولكن آخر كلامه أوّل كلامنا[٢].

زهد وورع الملاّ عبد الله التستري (رحمه الله)

كان المولى الفاضل الملاّ عبد الله التستري يقول لابنه وهو يعظه: يا بني، إنّي بعدما أمرني مشايخي (رضوان الله عليهم) بجبل عامل بالعمل برأيي ما ارتكبت ـ مباحاً ـ حتّى الأكل والشرب، وكان يعدّ ذلك بأصابعه، وهو أصدق من أن يتوهّم في مقاله غير محض الحقيقة.

وكأن ما يوجد في بعض المواضع من أن بعض العلماء، كان يقول: لم يصدر منّي منذ ثلاثين سنة إلى الآن من الأحكام الخمسة سوى الواجب والمندوب، أيضاً يشير إلى هذا العالم الكبير.

وروي: أنه جاء يوماً إلى زيارة الشيخ البهائي، فجلس عنده ساعة إلى أن أذّن المؤذن، فقال الشيخ: أدِّ صلاتك هاهنا حتّى نقتدي بك ونفوز بثواب الجماعة! فتأمل ساعة، ثمّ قام ورجع إلى المنزل، ولم يرض بالصلاة جماعة هناك، فسأله بعض أحبته عن ذلك، قائلاً: إنّك مع غاية اهتمامك بالصلاة في أوّل الوقت لِمَ لم تجب الشيخ إلى سؤاله؟! فقال: راجعت نفسي سويعة، فلم أرَ نفسي لا تتغير بإمامتي لمثله، فلم أرض بذلك.

ونقل أيضاً أنّه كان يحب ولده المولى حسن علي كثيراً، فاتّفق أنّه مرض مرضاً

---

(١) مستدرك الوسائل ٣٤٢/٩، بحار الأنوار ١٢٥/١٥، مناقب ابن شهر آشوب ٢٥/١.

(٢) مراد الشيخ حفظه الله أن عبد المطلب ترك الأمر لله وتكلم بهذا الكلام بعد أن عجز عن القيام بشيء، أما نحن فمنطقنا هو هذا منذ البداية، فقد تركنا أوضاعنا وتخلينا عن معالجتها دون بذل أي جهد أو محاولة متمنين غروراً أن يصلحها الله تعالى. (المترجم).

شديداً فحضر المسجد لأداء صلاة الجمعة مع تشتّت حواسه، فلمّا بلغ في سورة المنافقين إلى قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوالُكُم وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله﴾، ﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوالُكُم وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله﴾ ﴿إِنَّني أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْني وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْري﴾ جعل يكرر ذلك، فلمّا فرغ سألوه عن ذلك؟ فقال: إنّي لمّا بلغت هذا الموضع تذكرت ولدي، فجاهدت مع النفس بتكرار هذه الآية إلى أن فرضته ميّتاً وجعلت جنازته نصب عيني، ثمّ تلوت ما بعدها.

وكان من عبادته أنّه لا يفوته شيء من النوافل، وكان يصوم الدهر، ويحضر عنده في جميع الليالي جماعة من أهل العلم والصلاح، وكان مأكوله وملبوسه على أيسر وجه من القناعة، ونقل أنه اشترى عمامة بأربعة عشر شاهياً وتعمّم بها أربع عشرة سنة وكان مبجّلاً للغاية عند الناس.

سبب تأخّرنا

لقد عاش السيّد بحر العلوم رحمه الله مع جميع هذه البركات عمراً أقل من عمر الشيخ الأنصاري رحمه الله. وكم للشهيد الأول رحمه الله من كتب نافعة وقوية ومتينة. فالتوفيق في تحصيل العلم شيء آخر، وليس هو بمجرد كثرة الاشتغال والدرس.

وإنّه لمن الخطير جداً أن لا نعرف الطريق الذي سلكه العلماء والمتقدّمون.

إن سبب تأخّرنا هو أنّنا نأكل الأموال المشتبهة، والمال المشتبه يوجد التردّد والشبهة ويسببها. ولا نكتفي بمثل الخبز ومقدار الضرورة. وهذه الأمور هي المؤثرّة في حصول الإيمان واليقين، والتوفيق في طلب العلم وآثاره وبركاته، ولهذا كان بعض العلماء يحرصون على تهيئة الخبز في داخل البيت ليطمئنوا إلى طهارته و حلّيته.

إنّ التصرّف في المال وإنفاقه بغير رضا صاحبه يترك أثراً سيئاً في أمورنا العلمية والعملية.

لقد كان ناصر الدين شاه يظهر احتراماً بالغاً للمرحوم الكني[١]، ولهذا أعفاه من دفع الضرائب، ولكنّ المرحوم الكني قال له: أرجو أن تأمروا بأخذ الضرائب من أملاكنا أيضاً. وكان قصده أنّه لو قلّت الضرائب من جهة ما فسيضاعفونها على جهة أخرى وأنّهم إذا لم يأخذوا منه ضريبة على أملاكه فسيعملون على تحصيل ما فاتهم بذلك من مضاعفة ضرائب الآخرين.

لقد كان علماؤنا من أهل القناعة في الإنفاق، بالإضافة إلى تفقدهم أحوال الآخرين. بينما سلكنا نحن طريقاً آخر، فلم نبالِ بتصرفاتنا، كما لم نغتن بأوضاع الآخرين بل نحن وبسبب عدم قناعتنا، وإيغالنا في الماديات وكماليات الحياة، نعيش تحت وطأة الديون باستمرار، والقرض في الواقع غلّ آني للإنسان. والله يعلم كم يجب على الإنسان السعي وبذل الجهد لأداء قرضه ودينه.

علماؤنا وتجسيد وراثة مقامات الأنبياء والأولياء

لقد رأينا علماء من أصحاب الكمالات كانوا على إيمان راسخ ودرجات عالية ومن أهل الصبر والاستقامة والثبات في الإيمان، بنحو لا يمكن معه مقارنة علوّ مقامهم بما نحن فيه بأيّ وجه من الوجوه. وإذا حدّثنا به هذا الجيل فإنّه يعجز عن تصديقه والقبول به. وفي الحقيقة لقد كانت درجاتهم وكمالاتهم ومقاماتهم مما يعجز عنه البيان، وإن الإنسان ليخجل من نفسه عند الحديث عنها!

فهل أنّ البلاءات الدنيوية والمادية لم تكن تنزل على رؤوسهم؟ بلى كانت تنزل

---

(١) الملاّ علي الطهراني الكني من العلماء الكبار (١٢٢٠ـ١٣٠٦).

عليهم، ولكنّ تأثيرها فيهم كان ضعيفاً، بينما تأثيرها فينا قويّ، لأنّنا قد خرّبنا توجّهنا إلى الله والآخرة، وصرنا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي....﴾، وعملنا على إعمار حياتنا الدنيوية مما لم يرجع علينا بغير الأذى والتعب في الدنيا والحرمان من الدرجات والمقامات والكمالات، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1].

إنّنا لنحزن إذا قلَّ [من مالنا] أو ضاع تومان واحد من مجموع الخمسين توماناً التي نملكها، ونأسف على ما خسرناه وفقدناه. إنّ التفاوت بيننا وبينهم كبير جداً، ومن العجيب أنّ هذا التفاوت الكبير قد تحقق في مدّة قليلة وقصيرة، وكأنّه قد حدثت طفرة إذن فالطفرة المستحيلة جازت هنا [في حقنا]؟! لقد كانت مقاماتهم وكراماتهم تحكي كرامات الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

التخلي عن الذات

كان المرحوم آية الله السيّد حسين الكوه كمري من تلامذة صاحب (الجواهر) وكان مجتهداً مشهوراً ومعروفاً، وكان ـ على طبق المتعارف ـ يدرس في ساعة معينة في أحد مساجد النجف الأشرف، وقد صادف في أحد الأيام أن حضر قبل الوقت المقرّر للدرس فجلس في المسجد بانتظار أن يجتمع الطلاب، ولكنه التفت فرأى في إحدى زوايا المسجد شيخاً يقوم بتدريس مجموعة من الطلاب تلتف حوله.

فأخذ السيّد حسين يستمع جيداً إلى كلام هذا الشيخ ليكتشف مع كمال التعجّب أن هذا الشيخ محقّق كبير، وفي اليوم الثاني تعمد المجيء قبل وقت درسه لينتحي جانباً

---

(١) طه: ١٢٤.

من المسجد ويستمع جيداً إلى درس الشيخ، وبعد عدة أيام «على هذا المنوال» تيقّن أنّ هذا الشيخ أفضل منه في التدريس، وأن طلابه لو حضروا درس هذا الشيخ لكانت استفادتهم أكثر.

وفي اليوم التالي عندما جاء الطلاب واجتمعوا حوله خاطبهم قائلاً: أُريد اليوم أن أقول لكم شيئاً جديداً، وهو أنّ هذا الشيخ الذي يدرس في زاوية المجلس أراه أكفأ منّي في التدريس فلنذهب سوية إلى درسه، ومن ذلك اليوم أصبح من حضّار درس الشيخ.

كان هذا الشيخ هو الشيخ مرتضى الأنصاري الذي عرف فيما بعد، ولقب بأُستاذ المتأخرين، وكان الشيخ في ذلك الوقت قد جاء من السفر تواً، بعد أن زار ولسنوات طويلة كلاً من: مشهد وأصفهان وكاشان.

له دعوة الحق

كان الحجة الكوه كمري من الفقهاء الكبار والمراجع المعروفين في مدينة قم المقدّسة و عندما شعر بدنوّ أجله. ا ستخار الله بالقرآن على كسر ختمه، فخرجت هذه الآية: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ﴾.

فعرف أنّ الآية نداء له لتلبية دعوة الله سبحانه، فكسر ختمه وأخذ شيئاً من التربة الحسينية وتناولها وقال: هذا آخر زاد لي من الدنيا، ثمّ لبّى نداء ربّه وفارقت روحه الدنيا.

موضوعية وتواضع

بعث المرحوم السيّد محمّد كاظم اليزدي من النجف ببرقية إلى الميرزا الشيرازي

في سامراء وخاطبه فيها بعنوان (ركن الإسلام)، إلاّ أنّ الميرزا كتب له في جوابه بصفة حجّة الإسلام وكان هذا اللقب أعلى صفة «ورتبة» للعلماء.

فاعترض الشيخ يونس على الميرزا وكان من طلاّبه قائلاً: كتب لك (ركن الإسلام) وأنت تجيبه بحجّة الإسلام؟!

قال: إنه لا يعتقد باجتهادي إلاّ أنّني أعتقد باجتهاده.

والحال أنّ الميرزا كان من أدق علماء عصره بل الأعصار السابقة أيضاً.

كان علماء سامراء يقولون لعلماء النجف آنذاك: إنكم تغرفون من البئر بينما نحن نتناول من النهر.

وقيل: إن المرحوم الميرزا بحث في مبحث (الاستصحاب الكلي) لمدة ثلاثة أشهر.

حول محي الدين بن عربي

سؤال: هل محي الدين بن عربي ضالّ ومضلّ؟

الجواب: يجب أن يُسأل هذا السؤال من السيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله، الذي كان محتاطاً في ذلك [فلم يُفتِ بكفره] مع جميع ما كان يتمتع به من ورع[1]. وطبعاً فلا يمكننا اتّباع محي الدين وأمثاله، والأخذ بأقوالهم والبناء على أنّ كلّ ما يقوله حقّ. بل علينا أن نتبع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الاعتقاد والعمل وأن نكون معهم.

ولكن لا يمكننا أيضاً أن نقول: إنّ هؤلاء كفّار ولا يجوز التناكح معهم؛ لأنّهم كانوا ملتزمين بالصلاة والصيام، وكلماتهم قابلة للتأويل، كأمثال بايزيد البسطامي والجنيد من أصحاب الشطحات.

---

(١) راجع: العروة الوثقى، كتاب الطهارة، النجاسات: الكافر.

وبشكل عام فموقفنا تجاه الأشخاص الذين لا نعرف كيف كانوا وكيف كانت عاقبتهم هو أنّنا نوافق كل شخص كان مؤيداً لأهل البيتعليهم السلام، ونخالف كل شخص كان مخالفاً لهم.

فعلى كل حال يجب علينا تقليد الثقلين، والثقلان هما مرجع جميع المسلمين.

الفناء في المحبة

حاول أخ السيّد خادمي[1] الذي كان من الأشراف والأعيان قتل نفسه بالحربة من خلال ضرب رأسه بها، ولكنّه بقي حيّاً، ونُقل على أثرها إلى الطبيب وعُولج وشُفي. وقد سأله الأطباء في المستشفى عن علّة ما فعله بنفسه قال: فعلت ذلك لأتشبّه بآبائي وأجدادي! فقالوا له: إنّ جدك قتله الشمر! قال: لقد انتظرتكم كثيراً فلم تأتوا.

وكان قد قال لأخيه: لقد فقدت السيطرة على نفسي بنحو لم أعِ ما فعلته، وكنت مسلوب الإرادة. [إن دعاء]: «**واجعل قلبي بحبّك متيّماً**»[2]، يتضمن موضوع رؤية الأنا ومشاهدة الذات، وذلك بأن تصبح فراشة تصل إلى النور [وتُمحى فيه] لتصبح نوراً.

نسال الله سبحانه التوفيق للتخلّي عن ذواتنا والانسلاخ عنها، وفقدانها إلى درجة نُسلب فيها الشعور والوعي أمام عظمته تعالى.

عدم منافاة الزهد مع امتلاك الدنيا

قال أحدهم: أنتم العلماء والمراجع تتركون الدنيا أيام شبابكم، ولكنّكم تنسون ذلك أيام شيخوختكم عندما تصلون إلى الرئاسة، بينما نحن موظفي الإدارات والناس

---

(١) السيّد المجلس الأصفهاني رحمه الله كان من علماء أصفهان البارزين في عصره.

(٢) إقبال الأعمال: ٧٠٩، البلد الأمين: ١٩١، مصباح الكفعمي:٥٥٩، مصباح المتهجّد: ٨٤٩

العاديين نركض أيام شبابنا وراء اللذائذ والشهوات، ولكنّنا في أواخر عمرنا، عندما نترك العمل أو نحصل على التقاعد، نعكف على التوبة والعبادة والزهد.

إن الزهد لا ينافي امتلاك الدنيا، بل «**الزهد أن تملك نفسك لا أن تملكك نفسك**».

والميزان في الزهد ليس هو امتلاك الدنيا أو عدم امتلاكها، بل الميزان هو تعلّق القلب بها أو عدم تعلّقه.

السيد بحر العلوم وتحديد قبر هود وصالح (عليهما السلام)

لم يكن مكان دفن ومزار هود وصالح عليهما السلام معلوماً ومعيّناً إلى أن أمر السيد بحر العلوم رحمه الله بالحفر في موضع في وادي السلام في النجف الأشرف فحفروه، فظهر لوح مكتوب عليه: «هذا قبر هود وصالح». ومرقدهما الآن في وسط وادي السلام مزار معروف. وقد جاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «**السلام عليك وعلى جاريك هود وصالح**».

ولم أرَ قبله من تحدّث في هذا الموضوع.

البهائية صنيعة اليهود

يُنقل أنّ بهائياً كان يدعو أحد اليهود إلى عقيدته، ويبيّن له حقّانيّتها، بينما يلوذ اليهودي بالسكوت مهما حاول البهائي إقناعه. حتى اعترض البهائي عليه في أحد الأيام قائلاً: لِمَ لا تقتنع رغم كل ما حدثتك به من حقانية ديننا، وتلزم الصمت مهما دعوتك إلى ذلك؟ فضحك اليهودي في هذه المرّة، فسأله البهائي عن سبب ضحكه، فقال اليهودي: إنّي أضحك من أنّك تدعوني إلى دين نحن الذين صنعناه، ودعوناكم إليه

ونشرناه بينكم!

ذكر الميرزا النائيني (رحمه الله) قبل الشروع في الدرس

كان أُستاذنا المرحوم الميرزا النائنيي ينصرف إلى ذكر الله عز وجل مدة مديدة قبل بدء الدرس، وقد حدس بعض الطلاب بأنّه كان يقرأ سورة يس، وفي أواخر عمره أخذ الذكر المقدمة يستغرق مدّة أطول من الوقت الذي يستغرقه نفس الدرس.

وكان أهل العلم والطلاب ينتظرون لحظة بدء الدرس، في حين كان الميرزا مستغرقاً بالذكر وقراءة دعاء مقدمة الدرس وكأنّ لا أحد حوله، حتى قال لي مرة السيد الخوئي قدس سره: لنقل للأستاذ أن يأتي بهذه الأذكار في بيته، وفي وقت خلوته. وكأنّ السيد الخوئي كان يصعب عليه أن يصدّق بوجود شخص، له مثل هذه الحالة من الخضوع والخشوع والتوجّه إلى الله تبارك وتعالى مع وجود جمع من الناس، من غير أن يهتم بهم وبما يدور حوله.

بين ذلّة الدَيْن و التصرّف في سهم الإمام (عليه السلام)

يحتاط البعض في التصرّف في سهم الإمام عليه السلام، وخصوصاً فيما هو أكثر من الضرورة ومقدار شؤوناته الخاصة.

وكان بعض علماء النجف يدبّر أمر معيشته من إجارة دار له في أراك مع كون مقدارها زهيدا جداً، ويقول: ذلّة الدّيْن من الدكاكين أرجح عندي من التصرّف في سهم الإمام عليه السلام.

وكان الشيخ الأنصاري يحتاط أيضاً، ونُقل أن الآخوند الخراساني رحمه الله وسّع على نفسه في أمر معيشته في أواخر عمره، حتى نُقِل أنّ أحد الطلاب جاءه وطلب منه التوقيع

على إيصال بقبض سبعمائة تومان، فوقّع عليه فوراً ـ وكان التومان والتومانان لهما قيمة كبيرة في ذلك الوقت، بحيث أنّه يوجد في النجف زقاق باسم زقاق المائة تومان ـ فاعترض عليه أحد أفراد حاشيته، ولكنّه قال له: إذا كنت قد أعطيتك هذا المبلغ أكنت تعطي منه أحداً؟! ثم قال: دعه يعيش سنة واحدة براحة.

الأصمعي و موعظة المرأة الشابة

يقول الأصمعي[١]: شاهدت يوماً خيمة في الصحراء فاتّجهت إليها، فصادفت فيها امرأة شابة، وما إن وقعت عينها عليّ حتى رحبت بي ودعتني للدخول. فدخلت وطلبت منها ماءً، فرأيت وجهها قد تغيّر ولم تكلّمني ولم تسقني، بل كانت تحدّ النظر خارج الخيمة، إلى أن وصل رجل على جمل له من بعيد، فنهضت المرأة وحملت ذلك الماء الذي لم تسقني منه، وذهبت به إلى ذلك الرجل الأسود العجوز لتغسل به يديه ورجليه. وكان هذا الرجل على درجة عالية من سوء الخلق، فلم يبال بي، كما كان يتصرف بخشونة مع تلك المرأة أيضاً.

وعلى أية حال فقد نهضت من مكاني لأنصرف فجاءت تلك المرأة لتشيعني وتودّعني، فقلت لها: أيتها المرأة أليس مضيعة أنّك ـ مع جمالك هذا وشبابك ـ قد ارتبطت بهذا الرجل، فما الذي حبّبه إليك، ماله أم أخلاقه أم جماله؟ وما هو إلاّ عجوز سيئ الطبع.

فتغيّر وجه المرأة وقالت: ما كنت أظن يا أصمعي وأنت وزير هارون بأنّك رجل نمّام؟! يقول النبي صلى الله عليه وآله: «**الإيمان نصفه الصبر ونصفه الشكر**»[٢].

---

(١) وزير هارون.

(٢) انظر بهذا المضمون: بحار الأنوار ١٥٣/٧٤، تحف العقول: ٤٨.

من واجبي أن أشكر الله تعالى على ما وهب لي من الجمال والشباب والأخلاق الحسنة، وذلك بأن أحسن عشرة زوجي وأصبر على سوء خلقه، فإنّ الدنيا ماضية وأُريد أنّ أذهب منها وأنا كاملة الإيمان.

الطمأنينة في ظلّ التوكّل وذكر الله

تحدّث البعض عن القحط والغلاء أمام السيّد عبد الهادي الشيرازي رحمه الله قبل تصدّيه للمرجعيّة فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1].

لا يحصل الاطمئنان للإنسان إلاّ بالتوكل وذكر الله، ولا يجعل الحياة مُرّة وعقيمة غير الإعراض عن ذكر الله والغفلة عنه سبحانه.

مشاهدة أنوار آيات القرآن

كتب آية الله طهراني يقول: «قال آية الله العظمى بهجت: في زمن شبابنا كان هنالك رجل أعمى يفتح القرآن ويضع إصبعه على أيّة آية يطلبوها منه، فأردت أن أُمازحه يوماً فسألته أين الآية الفلانية؟ ففتح القرآن ووضع إصبعه على الآية فقلت له: كلا إنّها آية أُخرى، فقال لي: هل أنت أعمى ألا ترى الآية؟».

إحياء السنن

يقول حجّة الإسلام والمسلمين قدس أحد تلامذة آية الله بهجت: «كان الشيخ يوصينا دائماً: أن لا ندع السنن تُنسى، وتحل العرفيات أو البدع محلّها.

فقد قال لنا ذات يوم: كان آية الله الحاج الشيخ مرتضى الطالقاني (من أساتذة

---

(١) المنافقون: ٧.

الأخلاق وجهابذة العلماء في النجف الأشرف) مدعواً إلى الإفطار في يوم من الأيام مع عدد من العلماء، ومن جملتهم آية الله العظمى المرحوم الخوئي.

وعندما يحضر الطعام ويجلس الجميع حول المائدة، يقول الشيخ الحاج مرتضى طالقاني: لا يوجد ملح في المائدة، ولم يمدّ يده إلى الطعام، مع أنّ المسافة بين محل المائدة والمطبخ كانت كبيرة، ويبدو أنّ الطعام كان يأتي من بيت آخر.

على أي حال لم يمد الشيخ يده إلى الطعام حتّى جاؤوا بالملح ولم يمد الآخرون أيديهم أيضاً احتراماً للشيخ وكان من جملتهم المرحوم آية الله الخوئي.

وبعد اختتام المجلس وعندما أرادوا التفرق، خاطب السيّد الخوئي الشيخ الطالقاني قائلاً: يا سماحة الشيخ، إن كنت مقيّداً بهذه السنّة إلى هذا الحدّ فمن الأفضل أن تحمل معك قليلاً من الملح حتّى لا ينتظرك الناس هكذا. فأخرج الشيخ الطالقاني كيساً صغيراً من الملح من جيبه وقال: كنت أحمل الملح معي، ولكنّي أردت أن يُعمل بهذه السنّة الإسلامية الحسنة».

الأسبوع المقبل سيأتون بك!

كان هنالك رجل عجوز يقيم في إحدى مقابر الأشخاص المعروفين بصفة خادم وحارس أو قارئ قرآن فيها، ولم يكن يخرج من المقبرة إلاّ لضرورة وقضاء حاجة. وبعد مضي أحد عشر شهراً جاءه أحد أصحاب المقبرة لقراءة الفاتحة، وبعد وصول هذا الشخص بقليل أرسل إليه ناصر الدين شاه أمراً بالرجوع، وعند خروجه من المقبرة توجه لذلك الرجل العجوز قائلاً: سأتي في الأسبوع القادم، فقال له العجوز: [بل] سيأتون بك في الأسبوع المقبل، وهكذا كان [فقد توفي الرجل وجيء به].

موقف السيّد اليزدي (رحمه الله) من مخلفات الجيش العثماني

سُئل السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله أنّ الجيش العثماني خلّف عند هزيمته صندوقاً مملوءاً من المال بالإضافة إلى السلاح والأعتدة، فماذا نفعل به؟

فأجاب: يجب عليكم الاحتفاظ به وإرساله إلى اسطنبول.

لقد كان قادتنا يسعون إلى هذه الدرجة للوحدة الإسلامية بين الشيعة والسنّة، مع كل ما لاقوه من معاناة جراء ظلم رجال الدولة العثمانية.

السيد الشفتي ومخالفة الهوى

وضع حجة الإسلام السيّد محمد باقر الشفتي رحمه الله مرّة عنقود عنب في غرفته وعندما ذهبوا بعد أسبوع وجدوا ذلك العنب على حالهً في الغرفة، فسألوه عن علّة عدم تناوله للعنب، فقال: إنّي أحبّه كثيراً، ولكنّي أُريد أن أُخالف هوى نفسي!

علينا العمل بنحو لا نصبح فيه ممّن يقول: إنّنا نحبّ الفقه والفقهاء، ولكن دون أن نسلك طريقهم أو نقتدي بتصرفاتهم.

أثر الغذاء الملوّث

للأنبياء والأئمة عليهم السلام مقامهم المعلوم في الاطلاع على علم الغيب، ولكن لبعض العلماء اطلاع على الغيب أيضاً.

قال أحد العلماء مرّة لزوجته: كأنّ الطعام الذي نتناوله ملوّث! وبعد الفحص الكثير عثرت الزوجة على فأرة ميتة في إناء الماء الذي يصنعون منه الخبز والطعام، وحينئذٍ عرفوا سبب تلوّث الطعام.

موقف الميرزا محمد تقي الشيرازي من الإنكليز

جاء أحد الضباط الإنكليز إلى المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي بعد سيطرة القوات البريطانية على النجف وقال له: يجب عليك الذهاب إلى لندن، فقال الميرزا في جوابه على الفور: ذاك المكان حسن لك وهذا المكان حسن لي. أي أنّه يجب عليك أيضاً أن لا تبقى في هذا المكان، وهذا ليس مكانك.

وكانت النتيجة بسبب الفتوى التي أصدرها بتحريم حكم الكفار لبلاد المسلمين أن عجز الانكليز عن حكم العراق والنجف بشكل مباشر، وقُتِل الحاكم الانكليزي. وإن كانوا قد قتلوا قاتليه، لكنهم في النهاية اضطروا إلى حكم العراق بشكل غير مباشر وبواسطة حكومة وطنية.

الشفاء بقراءة سورة الفاتحة

مرضت في إحدى الأيام بنت المرحوم الميرزا النوري، فتوجّه رحمه الله إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام [متوسلاً] وداعياً لشفائها هناك. ولدى خروجه من الحرم يلتقي بأحدهم فيسأله عن أحواله وعن سبب تغيّر لونه، فيخبره الميرزا بمرض ابنته. عندئذٍ يقرأ ذلك الشخص سورة الفاتحة، ويقول للميرزا النوري: لقد شُفيت ابنتكم.

وعندما ذهب الميرزا النوري إلى البيت وجد ابنته قد عوفيت منذ تلك الساعة التي قرأ فيها ذلك الشخص سورة الفاتحة (١).

---

(١) وأضاف الأستاذ مدّ ظلّه في مكان آخر قائلاً: وقد التفت الميرزا النوري أنّ قراءة ذلك الشخص لسورة الفاتحة كان فيها خلل، فذهب إليه ليصلح له قراءته، فقال له ذلك الشخص:لقد استرجعت سورة الفاتحة. وعندما رجع الميرزا النوري إلى الدار وجد أن المرض قد عاد إلى ابنته.

ختم آية الكرسي

قال الميرزا محمد لفتح علي شاه: سآتيك بعد أربعين يوماً برأس عدوّك.

وفي اليوم الأربعين جاء رسول فتح علي شاه إلى دار الميرزا محمد وقال له: هذا هو اليوم الأربعون فأين وعدك؟! فقال له الميرزا: اصبر، وخرج من داره بعد ساعتين تقريباً، وكان وصوله إلى قصر فتح علي شاه مقارناً لمجيئهم برأس عدوّه، وحكاية الحال أنّه كان قد التزم بختم آية الكرسي بعدد الأيام في كل يوم خمسمائة مرّة[(١)].

اعبد ربّك عبادة حسنة

كيف وجد عظماؤنا هذه البركات والتوفيقات؟! يقول أحد أسباط الميرزا القمي رحمه الله: رأيت في عالم المنام المرحوم الميرزا القمي نائماً على قبره إلا أنّ عينه مفتوحة، وكانت عجيبة الشكل وكأنها عين غزال، وعندما اقتربت منه قال لي: اعبد ربّك جيداً.

المجتهد التبريزي وناصر الدين شاه

استدعى الشاه ناصر الدين القاجاري الميرزا جواد آقا المجتهد التبريزي قدس سره جدّ عائلة المجتهدي إلى طهران بسبب إتيانه بعمل أغضب الشاه، وقال له لدى مقابلته: «يا فلان إنّ أهل تبريز لا يريدونك». أي إنّنا لا نريدك.

فقال الميرزا في **جوابه** على الفور: إذا كان أهل تبريز لا يريدونني، فإنّني أحمل قلمي وأوراقي وأذهب إلى مكان آخر، ولكن إذا لم يريدوا الشاه فماذا سيفعل الشاه

---

(١) لعل الإتيان بهذا الختم يحتاج إلى شروط أُخرى لم يذكرها الشيخ بهجت دام ظله. وعلى كل حال فإنّ الإتيان به بدون إذن غير جائز.

حينئذٍ؟ فهل يستطيع أن يذهب إلى مكان آخر ويكون ملكاً هناك؟!

أموال الكلباسي لا تغرق

أُخبِر الشيخ إبراهيم الكلباسي رحمه الله[1] الذي كان يمارس التجارة ويعتاش منها عن غرق سفن تجارية محمّلة بالبضائع، وأنّ أمواله وبضاعته من ضمنها.

فأجاب قائلاً: إنّ أموالي لا تغرق، لأنّي قد أخرجت ما يتعلّق بها من حقوق شرعيةّ.

ثم جاء الخبر بعدها بأنّ البضائع العائدة له ـ والواردة باسمه وذات العلامات المعينة ـ لم تغرق من بين جميع البضائع.

الحرص على إيصال الحقوق

كان في زماننا في النجف عالم من أهالي تبريز، نقل لنا بنفسه أنّه وصل إليه مقدار من الحقوق الشرعية، وأراد تقسيمها في نفس الليلة التي وصلت فيه بين طلاب العلوم الدينية من أهالي تبريز، فقال له ولده وصهره: أجّل هذا العمل إلى صباح الغد؟

فأجابهما قائلاً: لربما لم أبقَ على قيد الحياة إلى الغد. يقول رحمه الله: ولذا قمت بمساعدة ابني وصهري وأخي زوجتي، وقسمت الأموال إلى ثلاثة أقسام، بتقسيم المناطق التي يسكنها الطلاب التبريزيين إلى ثلاثة مناطق، تولّى كل منهم إيصال قسم من المال إليهم، وهكذا إلى أن تمّ توزيع هذه الأموال قبل الصباح.

(١) الفقيه الكبير محمد إبراهيم بن محمد حسن الكاخكي الأصفهاني الكلباسي (١١٨٠ ـ ١٢٦٢) صاحب كتاب إشارات الأصول.

مصائب كل إنسان من نفسه

شوهد مرّة الآخوند ملاّ علي رحمه الله وقد ترك أصفهان [وخرج مهاجراً منها] فسُئل عن سبب خروجه. فقال: لا يمكن العيش مع هؤلاء الناس.

فقيل له: وهل تركت نفس الآخوند ملاّ علي في أصفهان، أم أخذتها معك؟!

وهذا كناية عن أنّه مادامت نفسك مصاحبة لك، فلن يكون لك استقرار وراحة بال وأين ما ذهبت فإنّ الأمر سيكون كذلك.

يُنقل أنّ طائراً أراد أن يطير من قفصه إلى مكان آخر، فراراً من رائحة فضلاته فقيل له:مادمت تحمل كذا [مخرجك] معك فإن أسباب الإزعاج سوف تستمر أينما ذهبت.

التعويل على حلم الرسول (صلى الله عليه وآله)

جذب أحد الأشخاص رداء رسول الله صلى الله عليه وآله حول رقبته بشدة مما أدى إلى إصابته صلى الله عليه وآله بالخدش والأذى. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ألم تخشَ الانتقام؟

فقال الرجل: كنت مطمئناً أنّك لا تنتقم [ولا تعاقبني].

علينا السعي لتحصيل الصبر والحلم والتواضع، وأن نحترز من أن يكون احترام الآخرين لنا ناشئاً من خوفهم منّا، [وهذا الأمر يتأكد أكثر] وبشكل خاص بالنسبة للمتصدين للمسؤولية والمراجع، ورؤساء الإدارات، ومتولّي البيوت والمدارس.

أفقه الثلاثة وأحضر الثلاثة

يقول المرحوم آقا ضياء العراقي: آية الله الخوانساري أفقه الثلاثة والمرحوم السيّد

علي اليثربي أحضر الثلاثة [١].

كرامة للسيد بحر العلوم أيضاً

خطب السيّد محمد باقر ابن أخت المرحوم السيّد بحر العلوم ابنة السيّد لولده، فرفض المرحوم السيّد قائلاً: أنا لا أزوّج ابنتي من ابنك. وقد شق رفض السيّد رحمه الله على ابن أخته، فسأله عن سبب ذلك فقال: لأن عمر ابنك سيكون قصيراً، ثمّ التفت إلى ابن أخته وقال له: ولكنّي أُبشّرك بأنّ الشيخ حسيناً رحمه الله سيصلّي عليك، بينما أنا لن أنال توفيق أن يصلّي عليّ. و هكذا حدث بالفعل.

معاناة العلماء خلال سبعين عاماً من الحكم الشيوعي

الله يعلم ماذا جرى على الدين والمتدينين في القفقاز وبادكوبه وايروان ونخجوان وروسيا خلال السبعين سنة من الحكم الشيوعي! وهل كان أحد يستطيع التظاهر بالتديّن!

والله يعلم إن كانت المساجد التي كانت تقام فيها الصلوات قد ظلت على ما كانت عليه أم لا؟ لقد قتلوا العالم الجليل الميرزا غني رحمه الله بشكل فظيع! فقد حملوا صورة لينين في السوق والشوارع وهم يهتفون: هذا أعقل من محمد صلى الله عليه وآله. فصعد الميرزا غني المنبر وقال: إنّ لينين إنسان عاقل ولكنّه لا يساوي نعل محمد. فقبضوا عليه وقتلوه بنحو فظيع لعن الله قاتله.

وعلى كل حال فقد أجبرت الظروف في بادكوبه العلماء إمّا على العمل بالتقية أو الهروب.

---

(١) لم نعرف من هو الثالث.

من أحوال السيد حسين البادكوبي (رحمه الله)

يقول أُستاذنا[١]: كان المرحوم السيّد حسين البادكوبي[٢] يدرّس في اليوم درسين ولكنّه في بقية الأوقات التي لا يدرّس فيها يبقى ساكتاً وكأنّه لا لسان عنده، اللهمَّ إلاّ أن ينطق بذكر الله، وإلاّ فقد كان يقضي وقته في سكوت مطلق.

وكان العلاّمة الطباطبائي قدس سره قد دعاه إلى طعام العشاء في ليلة عيد الغدير في إحدى السنوات مع مجموعة من العلماء والفضلاء، وكان أحد المعاصرين للسيّد حسين البادكوبي حاضراً في تلك المأدبة، فكان يدير دفة الحديث في معظم الوقت الذي استغرقه ذلك المجلس، بينما السيّد البادكوبي لم ينطق بكلمة واحدة.

فالعجب من حديث ذلك المعاصر وسكوت هذا السيّد!

استعداد المحقق الأصفهاني (رحمه الله) للموت

نقل المرحوم العلاّمة الطباطبائي عن أستاذنا المرحوم الشيخ[٣] أنّه قال: طلبت من الله عز وجل أن أنتقل من هنا إلى عالم البرزخ ولا أرجع ثانية.

يقول العلاّمة: لم نفهم ما هو مقصوده من هذا الكلام، إلى أن مضى من أول الليل خمس ساعات وكان مستيقظاً، ثمّ نام ولم يستيقظ بعدها.

وأنا لم أسمع هذا الموضوع من الأُستاذ، بل سمعه منه السيدّ الطباطبائي قدس سره وغايتي من هذا الكلام أنّه كان مستعدّاً جدّاً للموت، وكأنه كان شديد الاعتقاد بدعائه

---

(١) الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله.

(٢) أُستاذ الفلسفة في النجف الذي تتلمذ على يديه العلاّمة الطباطبائي قدس سره وآية الله العظمى الشيخ بهجت مدّ ظلّه.

(٣) المحققّ الكبير الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني رحمه الله.

وكان دعاؤه يستجاب وتقضى حوائجه على ضوء ما يدعو به بجميع القيود التي يريدها. فمثلاً طلب مرّة من الله عز وجل أن يعطيه بيتاً ولو إجارة بشرط أن لا يكون فيه قبو (سرداب)، وهكذا حصل بالفعل، فقد هيأ الله تعالى له داراً ليس فيها قبو.

ونحن أيضاً علينا أن نلتفت حين دعائنا إلى أن نذكر ما نريد بجميع شروطه وقيوده.

انظر في الأمور المادية إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك

قال أحد الخطباء في ضمن خطبة له في أوائل أمر البلاشفة والحكومة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق: لا ينبغي أن ننظر في الأمور المادية والدنيوية إلى من هو أعلى منّا، بل ينبغي أن ننظر إلى من هو دوننا. وقد أوقعته هذه الكلمة في مضايقات من قبل السلطة، لأنّها لا تنسجم مع المنهج الماركسي.

وهذه الكلمة التي جاءت في ضمن الكلمات القصار لأمير المؤمنين عليه السلام [من الكلمات] المعجزة، وهي تعتبر النظام الشيوعي مردوداً بشكل كامل. يقول عليه السلام: «**انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك**»(١).

صحيح أنّه أكثر منك ثروة، وأعلى منك في بعض الأمور المادية، ولكن هل سيكون أيضاً أطول عمراً، وأفضل صحة، وأكثر أولاداً منك؟ أو أنك ستفضل عليه في هذه الأمور وأمور أُخرى من النعم الظاهرية والباطنية؟!

فالمفروض ملاحظة كل الأشياء من حيث المجموع، فالله العليم والحكيم قد قسّم جميع الابتلاءات بالعدل والمساواة: «**المصائب بالسوية مقسومة بين البرية**»(٢).

---

(١) انظر: بحار الأنوار ١٧٣/٦٧و٣١٨، ٤٢/٦٩، ١٩٨/٧٥.

(٢) مستدرك الوسائل ٤٨١/٢، بحار الأنوار ٥٣/٧٥، ١٣٤/٧٩، تحف العقول: ٢١٤، الدعوات:٢٨٨، غرر الحكم: ١٠١.

فكل شخص له إناء من الابتلاءات تتناسب مع استعداده، وقد امتلأت هذه الأواني من الابتلاءات، ولكن الله سبحانه يحب الجميع، فهل يتركنا [ويتخلّى عنا] في طوفان الحوادث في السفينة وسط البحار، أو أنّه يهتم بأمورنا باستمرار؟!

وقد جاء في وصايا الرسول الأكرمﷺ لأبي ذر رحمه الله [ما معناه]: إنّ الله تعالى يرى جميع الأشياء في جميع الأوقات ولا يغيب عنه شيء.

إن عُدتم عُدنا

يقول المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني: منذ ذلك اليوم الذي عُلّق فيه المرحوم الشيخ فضل الله نوري على حبل المشنقة، فسوف لن ترى هذه الأمة يوم سرور.

لكننا نعلم أنّ الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿**إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾[2].

وقد جاء في الرواية أيضاً: «**من أصلح فيما بينه وبين الله، أصلح الله فيما بينه وبين الناس**»[3].

فلنسعَ لإصلاح العلاقة بيننا وبين الله سبحانه من خلال الورع والتقوى والاستغفار لتستقيم لنا أمور الدنيا والآخرة جميعاً.

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) الإسراء: ٨.

(٣) الكافي ٣٠٧/٨، من لا يحضره الفقيه ٣٩٦/٤، وسائل الشيعة ٢٩٧/١٥، ٢٩٨.

ضرورة التعاضد بين المؤمنين ومشاركة بعضهم البعض

لم يأت الأنبياء والأئمة عليهم السلام ليصرفوا الناس عن الانتفاع بالدنيا بشكل مطلق، بل جاءوا ليعلّمونا طريقة الانتفاع من الدنيا [مقرونة] بالسعادة والعزّة وأمثال ذلك. والإنفاق والإحسان و الصداقة والمحبّة، وأن يحمل أحدنا هم الآخر كل ذلك من طرق سعادتنا الدنيوية. فلئن حملنا همَّ بعضنا البعض، وتعاونّا فيما بيننا، وتقاسمنا أحزاننا، فإننا نكون في الواقع قد اهتممنا بأنفسنا [وقدمنا العون لأنفسنا] وحفظنا دنيانا بالنتيجة أيضاً.

نسأل الله أن يهب لنا الانتباه لئلاّ نهزم [ونخسر] بسبب [غفلتنا و] عدم تنبّهنا، وأن نتنبّه إلى السبب [في خطئنا] إذ لم نفكّر في كيفيّة إعمار دنيانا، من خلال اتّباع خطى الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

عندما اقترب موعد اللقاء...

عندما شنّت إحدى الفرق الإسلامية هجوماً على كربلاء، كان أحد العلماء[1] يمشي في داره ويقرأ هذا البيت من الشعر: عندما اقترب موعد اللقاء ازدادت نار العشق لهيباً.

وكتب المرحوم صاحب مفتاح الكرامة يقول: لقد هجموا على كربلاء مرّتين: المرّة الأولى في سنة ١٢١٦هـق، والمرّة الثانية في سنة ١٢٢١هـق ومن المحتمل أنّهم قتلوا في هذين الهجومين عشرة آلاف شخص، ثم دخلوا الحرم وأضرموا النار في الضريح،وجلسوا في الحرم فأعدّوا القهوة وشربوها هناك.

---

(١) الظاهر أنّه الشيخ عبد الصمد الهمداني رحمه الله صاحب كتاب «بحر المعارف».

طريقة الآخوند ملا فتح علي في العلاج

كان المرحوم الآخوند ملاّ فتح علي السلطان آبادي رَحِمَهُ الله من أهل الكرامات، وكان يقول للمرضى بعد إعطائهم وصفة الدواء: قلّل من كمية الدواء الذي كتبته لك في هذه النسخة، وادفع ثمن ذلك المقدار صدقة لفقير، وإن شاء الله ستتماثل للشفاء بعد يوم واحد.

وكان العلماء الكبار يعتقدون به، ويعملون بأوامره وإرشاداته، وكانوا يحصلون على النتيجة المرجوّة.

قناعة الشيخ الأنصاري (رحمه الله) وجدّيته

بالرغم من أنّ والد الشيخ الأنصاري كان يرسل لولده قيمة رغيف واحد من الخبز يومياً فقط، ولكنّه مع ذلك كان قد كيّف معيشته وحياته على ذلك. وكان [مجدّاً] ويعمل بمزاج قوي بالرغم من قلّة الطعام وقلّة النوم وقلّة الماء، وقد مرّ عليه زمان كان يتأخّر فيه وصول ثمن الخبز إليه مرّة يومين أو ثلاثة فكان يتحمّل ما يتحمّل من الأذى في سبيل أن يقترض من الخباز في كل يوم قرصاً من الخبز، إلى حين وصول ثمنه بعد عدّة أيام.

و نحن إنّما سمعنا حالات الشيخ الأنصاري قُدِّسَ سِرُّهُ بالواسطة.

بين السيد جمال الدين وناصر الدين شاه القاجاري

عندما كان السيّد جمال الدين الأسد آبادي حاضراً في مجلس ناصر الدين شاه تناول تفاحة وأخذ [يعبث بها بأن] يرمي بها إلى أعلى ثم يتلقفها، فاعترض عليه السلطان قائلاً: أتلعب بالتفاحة في مجلسنا؟ فأجابه جمال الدين: إنّ السلطان يلعب بحياة

عشرين مليون إنسان ويمنعني أن ألعب بتفاحة؟!

ويُنقل أيضاً أنّ ناصر الدين شاه سأل جمال الدين الأسد آبادي [وقد ضاق به وبانتقاداته]: أيها السيّد ما الذي تريده منّا؟

فأجابه السيّد: أُريد منكم أذنين صاغيتين.

اعتراف قاتل ناصر الدين شاه بالتسرع

قالوا: إن الميرزا رضا الكرماني قاتل ناصر الدين شاه كان قد قتله بأمر السيّد جمال الدين الأسد آبادي.

وقد سأل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) في طهران [ذلك الوقت] الميرزا رضا: لماذا قتلت السلطان؟

فأجابه: لأنّه كان ظالماً، ولا يستجيب لصرخات المظلومين.

فقال له الصدر الأعظم: وهل أعددت أولاً أنوشيروان العادل على بوابة طهران [بدلاً عن السلطان] حتى تقتله؟!

فأجابه الميرزا رضا: لو كنت فكّرت بهذا لم أقدم على قتله.

أدِّبوا ملككم

كان الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاءقدس سره على مرتبة عالية من الشجاعة، فقد قال يوماً للشاه رضا خان البهلوي: مهما علت سلطتك وقدرتك وشوكتك، فهي لا تصل إلى سلطنة السلطان عبد الحميد الذي آل مصير أولاده من بعده إلى التسول في شوارع الهند.

وفي العراق توجه في إحدى المرات إلى بغداد، حيث التقى مع الملك غازي، فلم

يعامله الملك بالاحترام المطلوب، وعند خروجه من البلاط قال بصوت عالٍ لحاشية الملك: أدِّبوا ملككم، أدِّبوا ملككم.

حلم السيد أبي الحسن الأصفهاني (رحمه الله)

رحم الله الفاضل... [فلاناً] كان صاحب صوت جذاب وقوي يسمع من بعيد... وقد وجّه في الدرس يوماً اعتراضاً على كلام السيد أبي الحسن الأصفهانيقُدِّسَ سِرُّهُ [وقام السيد بالإجابة لكنه لم يقتنع] ثم بادره قائلاً: إنّك لم تمسّ كلامي [ومرادي]. ولو قيل هذا الكلام لغير السيدقُدِّسَ سِرُّهُ لانزعج لكن السيد [بدلاً من ذلك] أجاب [بكل هدوء] مقتصراً على القول: أجل، لا يمسّه إلاّ المطهرون.

المرجعية الرشيدة

يقوم أحد المراجع الكبار بجمع طلابه يوماً ويقول لهم: لقد كان لدي حسن الاعتقاد تجاهكم، ولكني الآن رجعت عن ذلك وساء ظني بكم أو أوشك أن يسوء، فمنذ فترة ضعف استحضاري للمسائل، فلماذا لا تخبرون الناس، وتكتبون إلى الأطراف بذلك، لكي يختار المقلّدون مرجعاً غيري؟! بدلاً من أن تبقى الاستفتاءات هكذا من دون جواب ـ والظاهر أنّ المراجعات إليه كانت مستمرة ـ فيعتذر الطلاب عن ذلك بأنّهم لم يلمسوا ذلك، ولم يطّلعوا عليه.

فيصار بعد ذلك إلى الكتابة إلى مختلف البلدان والأطراف لكي يختاروا مرجعاً آخر للتقليد بدلاً عنه، هذا مع كونه المرجع الأبرز، والذي كان يعتبر الأعلم من بين الموجودين ذلك الوقت. وهذا أمر في غاية الأهمية.

ترف في بيت الشيخ الأنصاري (قدس سره)

يدخل الشيخ الأنصاري قدس سره المنزل فيجد ابنته الصغيرة باكية إلى جانب التنور، فيسأل عن السبب، فيقال له: إنّها تريد شيئاً تأكله مع الخبر من سمن أو نحوه.

فيعلق الشيخ قدس سره منزعجاً [من هذا الترف]: وهل يحتاج الخبز الحار الطازج إلى إدام؟!

مقارنة صلاتنا بصلاة علماء السلف

لقد كانت صلاة بعض العلماء بنحو تستحق أن يقال في حقهم وحالهم «إنّ الله جعل قرة عيني في الصلاة» وقد سمعنا عن بعضهم التصريح بذلك. وما نحن بالقياس إليهم والمقارنة معهم إلاّ كمثل الأطفال المتلهين بلعبهم.

أسرار الشيخ الأنصاري (رحمه الله) ومقاماته

للشيخ الأنصاري رحمه الله كلمات تنبئ عن مقاماته العالية، وذلك أنّ من لم يتوفر على علوّ المقامات لا يمكنه التفوّه بمثل هذه الكلمات، حتى إن المرحوم السيد علي الشوشتري ـ الذي يمكن القول بأن الشيخ الأنصاري كان يحضر درسه في الأخلاق بينما كان هو يحضر درس الشيخ الأنصاري في الفقه ـ يقف على جنازته ليخاطبه قائلاً: لم تجد أحداً تعطيه أسرارك.

السيد محمد الفشاركي (رحمه الله) طريد الخباز

عندما جاء السيد محمد الفشاركي رحمه الله إلى النجف أمر المرحوم الآخوند الخراساني طلابه بالحضور في درسه. وكان يحضر في درسه جميع الأجلة من العلماء

أمثال السيد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ عبد الله اللنكراني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، وآخرين قدس الله أسرار الجميع. والشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره كان معه منذ كان في سامراء. لكن نفس هذا السيد الفشاركي رحمه الله، الذي كان من كبار أساتذة حوزة النجف، وصل به الأمر إلى أن يقصد الخباز ليشتري خبزاً فيمتنع الخباز من إعطائه الخبز؛ لأنّه لم يكن يملك ثمنه، ولم يعد يستطيع أن يبيعه إياه بالدين أيضاً لأنّ قرضه صار كبيراً. ويصادف وجود أحد الطلاب فيتبرع بضمان ثمن الخبز للسيد، ويخرجه من ذلك المأزق.

لقد كانوا ـ رغم كل هذا الفقر وكل هذه الابتلاءات ـ في راحة تامة من الناحية الروحية؛ وذلك لأنّ قلوبهم متعلقة بمكان آخر، وكانت لهم همم عالية في العلم والعمل، ولم تكن مثل هذه المشكلات تعيقهم عن أعمالهم.

من نوادر السيد بحر العلوم (رحمه الله)

اطّلاع الإنسان على موته أمر حسن فيما لو استلزم استعداده له وأداء ما عليه من حقوق وديون.

شُوهد أحد الطلاب يكثر من البكاء، وعندما سُئل عن السبب قال: كنت في درس السيد بحر العلوم رحمه الله فقرأ رواية في سندها راوٍ باسم أحمد بن محمد، فاعترضت قائلاً: بل هو محمد بن أحمد، لا أحمد بن محمد.

فقال السيد رحمه الله: إنّه أحمد بن محمد وأنا أعرفه، بل أعرف آباءه وأجداده إلى آدم عليه السلام، بل أعرف جميع أهل المجلس، وأعرف من منهم في الجنة، ومن سيكون في النار. وعندما قال: في النار أشار إليَّ. ولقد سمعت هذه القصة من عدة أشخاص.

وعلى أية حال فعلى المرء أن يسيء الظن بنفسه وبأعماله.

إخبارات السيد مرتضى الكشميري (رحمه الله)

لقد كان الإخبار عن المغيبات أمراً عادياً جداً من السيّد مرتضى الكشميري رحمه الله.

ينقل ابنه أنّهم أضاعوا في أحد الأيام شيئاً ما في المنزل، ومهما بحثوا عنه لم يجدوه.

وعندما جاء السيد إلى المنزل سألهم عما يبحثون، فأخبروه عنه وأنّهم فتشوا في كل مكان فلم يجدوه.

فقال لهم: هل بحثتم على السطح أيضاً؟!

فقالوا: لا.

فقال لهم: ابحثوا هناك فلعلكم تجدونه فيه.

يقول ابنه: وبالفعل ذهبنا إلى السطح فوجدناه هناك.

السيد مرتضى الكشميري (رحمه الله) ودعاء الصباح

كان السيد مرتضى الكشميري رحمه الله في شهر رمضان يستمر في التعقيب بعد صلاتي المغرب والعشاء لمدة ساعتين، لكن ينقل أنه لم يكن يقرأ دعاء الصباح في تعقيبات صلاة الصبح، بسبب عدم وثوقه بسنده، وعدم اطمئنانه إلى صدره. وهذا مع أنّ متن دعاء الصباح شهادة صادقة على صدوره من مصنع أهل البيت عليهم السلام، وينفي أن يكون قد دُسَّ في أدعيتنا المأثورة!

سؤال: هل يقرأ دعاء الصباح بعد نافلة الصبح أم بعد فريضته؟

الجواب: إنه يُعدّ من تعقيبات فريضة الصبح.

لا ينال الكنز إلا من تعب في سبيله

كم من المسائل تيسّر حلّها بواسطة العلم والمعرفة ومعرفة الله، ونحن إنما نختلف مع بعضنا بسبب ضعفنا في المعرفة! يقول آية الله الخوئي الذي درس الحاشية عند الشيخ محمد الرشتي رحمه الله[1]: كان الشيخ الرشتي يقرأ علينا في ابتداء كل درس البيت التالي [من الشعر الفارسي وترجمته]:

لا ينال الكنز إلا من يتعب في سبيله فلقد فاز بثمرته من يعمل ويشتغل.

نعم، لقد قضوا أعمارهم بدون انحراف، وبعيداً عن الطغيان والتمرد والكذب.

لقد كان الشيخ الرشتي رحمه الله جامعاً للعلم والعمل و أحد زهّاد عصره، وكان قد نزّه نفسه عن الإنفاق الزائد من بيت المال وسهم الإمام عليه السلام.

وكأنه كان مطّلعاً على علم الكيمياء أيضاً، ولكنّه لم يعمل به. وكان في حالة دائمة من السرور والنشاط والبشاشة.

المرحوم الشربياني والمتسول

كان المرحوم الشربياني ـ وهو أحد المراجع في النجف الأشرف في العصر المتاخم لعصرنا وقد رأيت أحفاده ـ رجلاً عجيباً في البذل والعطاء، وكانت أخلاقه عالية إلى درجة كان السائل ينصرف من عنده راضياً حتى لو لم ينل منه شيئاً، فضلاً عن أنه كان يعطي، بل يعطي الكثير أيضاً. ومع كون حاله هذا الحال صادف في إحدى الليالي وبينما كان راجعاً إلى داره بعد أداء الصلاة أن اعترضه سائل عجوز وأخذ يسأله قائلاً: تلطّف عليَّ أيها السيد بشيء، وكان يلحّ عليه ويكرّر القول: أعطني شيئاً يا سيدي

---

(١) والد الشيخ جمال النجفي.

الجو بارد ـ وكان الجو بارداً حقيقة ـ وأنا جائع، وإن لم تعطني شيئاً فإنّي أموت. وكان قد تحدّاه تقريباً بأنّك إن لم تعطني شيئاً فإنّي سأموت من الجوع والبرد، ولكن المرحوم الشربياني لم يأبه به ودخل داره. وتابعه في ذلك ولده و أفراد عائلته فلم يعطوا السائل مادام هو لم يعطه.

يقول الناقل: وكنّا لا نزال نسمع صوته مرتفعاً ما دمنا مستيقظين، وعندما استيقظنا من النوم وجدنا الصوت قد انقطع، فذهبنا إليه فوجدناه ميتاً، وكان قد قال بنفسه: إنّي جائع والجو بارد وإن لم تعطوني شيئاً فإنّي سأموت.

وعلى كل حال أمر المرحوم الشربياني بغسله وتكفينه، ولكن الأشخاص المحيطين به كانوا يقولون في أنفسهم: لقد قتل الشيخ هذا الشخص! وكان هذا المتسول يرتدي جبّة صوفية بالية وعندما أرادوا نقله من مكان إلى آخر انشقت الجبّة وتدحرجت منها الليرات الذهبية، وعندما عدّوها وجدوها سبعمائة ليرة. ومع كل هذا الذي يملكه كان هذا العجوز يصيح: أنا جائع والجو بارد، وإن لم تعطوني شيئاً فإنّني سأموت من الجوع والبرد. وهكذا كان.

نعم، إنّه أراد من الشيخ مالاً ليضيفه إلى السبعمائة ليرة وتزداد أمواله. ومن هذه القصّة نفهم أنه ليس محالاً أن يمتلك الإنسان الجواهر التي تضيء له الليل ومع ذلك يشحذ ويستجدي بنحو لا يدرك هو أنّه صاحب ثروة وغير محتاج، ولا الناس يفهمون ذلك؛ لأنّهم لو أدركوا ذلك فلن يعطوه بالمقدار الذين يتمكن معه من الادّخار. ومن هنا يتضح أنّ الاستغناء أعّم من الغنى. ونحن المسلمين أيضاً مع أننا أغنياء مع الثروة التي نملكها[1]، لا نعتبر أنفسنا أغنياء ونستمر في مدّ يد الحاجة إلى الكفار!

---

(١) أي القرآن والعترة.

زهد العظماء في عصر مرجعيتهم

يقول أحد الأشخاص: رأيت في أوائل مرجعية السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله في النجف ـ والذي كان يعيل عائلة كبيرة ـ خادمهم وقد خرج من دارهم وهو يحمل قِدْراً كبيراً ذاهباً إلى السوق، ثم صادفته عند رجوعه أيضاً وقد وضع في القدر سمناً بمقدار كف اليد!

وعالم آخر كان يسلق بيضة واحدة في الماء ثم يقسّمها نصفين، يتناول نصفها مع رغيف خبز عند الظهر، والنصف الآخر في العشاء.

حادثة شهادة ابن المرحوم الآخوند الخراساني قدس سره

نعوذ بالله! لا ينبغي للإنسان أن يطمئن إلى عاقبة أمره أبداً. فعندما اقتادوا ابن المرحوم الآخوند الخراساني إلى السجن للمرة الثانية في زمان حكومة رضا شاه البهلوي أفهموه أنّه إن أمضيت مسألة كشف الحجاب أنجيناك، ولو أمضى لتركوه. ولكنّه أجابهم بالقول: إنّ ذنوبي عند الله كثيرة، وما أحسن أن أصل إلى الشهادة عن هذا الطريق، وفعلاً فقد قتله الشاه، وبأيّ نحو! مع أنّه كان كملك خراسان في زمانه. ففي إحدى المرات التي تجاسر فيها عليه أحد مسؤولي الدولة في خراسان أراد الناس قتله ولم يستطع هذا المسؤول النجاة منهم إلاّ باللجوء إليه. لكن وصل مآل نفس هذا العالم أن اقتادوه في السوق وسط الناس من مركز الشرطة إلى المحكمة مرتدياً قميصاً طويلاً ومن دون عمامة أو عباءة، ولعلّه كان حافي القدمين أيضاً!

«الملك عقيم»! نسأل الله سبحانه أن لا يبتلي أهل الإيمان بمثل هذه الابتلاءات، وإذا قسم لهم ذلك وقضى به فلا يقسم لهم تزلزل القلب من الدين والإيمان وإلاّ فإنّهم قد أنزلوا على رؤوس أهل الإيمان والولاء أشدّ من هذه البلايا!

اختبار على طريقة طلاب العلم

يقول أُستاذنا[١]: كُنّا أحياناً نختبر الميرزا محمد تقي الشيرازيقدس سره على طريقتنا كطلاب على النحو التالي، بأن نحضر أسبوعاً في صلاة الجماعة خلفه (حتى في الأذان والإقامة)، ونشترك في درسه، ونناقشه أثناء الدرس و[نبدي كل اهتمام به]، وعندما نلتقي به في الشارع أو السوق نحترمه ونعظّمه ونقبّل يده. بينما نعمل في الأسبوع التالي عكس ما فعلناه في الأسبوع الأول فلا نحضر صلاة الجماعة، ولا نشارك في درسه، وإذا حضرناه لا نناقشه ولا [نعتني به]، وعندما نراه في الشارع أو السوق لا نبدي احتراماً تجاهه. ولكنّنا رأينا أن باطنه لم يتغير في كلا الأسبوعين، وحينها أدركنا أنّه رجل غير عادي.

رفاه الشيخ الأنصاري

نقل أحد السادة من خدّام حرم سيّد الشهداءعليه السلام في كربلاء يقول: ذهبت مع والدي في شبابي إلى الشيخ الأنصاريرحمه الله، فأحضروا مائدة الطعام أو أنّها كانت حاضرة، وكان الطعام ماء اللحم وقدموا لنا منه أيضاً، ولكن أيّ ماء لحم! خالٍ من كل مزّة، فقال لي والدي: كُلْ هذا نائب صاحب الزمانعجل الله فرجه الشريف. ولكنّني امتنعت عن تناول الطعام وقلت مستهزئاً: هذا شنو؟! [أي ما هذا؟!].

كيف كان يعيش هؤلاء، إنّهم كانوا يعطون سهم الإمام للآخرين، وبماذا كانوا يأنسون؟! مع أن أمثال هذا الشخص [الناقل لهذه القصة] كان يشكك في صدق اسم ماء اللحم على ما قدّمه لهم الشيخ الأنصاريرحمه الله، إلا أن الشيخرحمه الله نفسه كان يقول: «هذه

---

(١) الفقيه والأصولي الكبير المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني.

هي أيام رفاهنا»، هذا وقت الترفيه بالنسبة لنا. كما كان الأئمة الأطهار عليهم السلام يقولون في بعض الأحيان: نحن [نشعر أننا] أحرار في أوضاعنا ما دمنا غير متصدّين للإمامة والزعامة.

الزهد الحقيقي يدعو لحسن الظن بالناس لا التهجّم عليهم

ذهبت في يوم من الأيام بنت الشاه فتح علي القاجاري بعد أن وضعت الشال على رأسها إلى بيت الشيخ الأنصاري رحمه الله، و اتفق وقت وصولها مع وقت تناول الشيخ لطعام الغداء، وكان يتناول طعام الغداء قبل صلاة الظهر ظاهراً، وكان منظّماً ودقيقاً جداً في أعماله، وعندما رأت بنت الشاه فتح علي مائدة طعام الشيخ الأنصاري رحمه الله قالت من باب التعريض والاستهزاء: إذن ماذا يقول الكني[1]؟!

فانزعج الشيخ من كلامها وصاح بخادمه قائلاً: ملاّ رحمة الله أخرج هؤلاء، أخرج هؤلاء من هنا.

وعندما رأى امتناعهم من الخروج التفت إلى بنت الشاه وقال لها: إنّ الكني مظهر عظمة الأئمة عليهم السلام وأنا مظهر زهدهم.

فهو رحمه الله مع جميع زهده هذا كان يعمل على إصلاح تصرفات الآخرين [وإيجاد التفسيرات الصحيحة لها] أيضاً، لا أنّه يقول فوراً: إنّ من ينفق سهم الإمام بذلك النحو فهو كافر [وأمثال ذلك من التهجّمات والتطرف].

أيها الأعزّاء راقبوا أنفسكم، أنفقوا بمقدار ما أنتم عليه من العلم والعمل والاعتقاد.

---

(١) العالم الكبير علي الطهراني الكني (١٢٢٠ ـ ١٣٠٦) صاحب كتاب توضيح المقال وكتاب «القضاء». ومن نوادره أنه رفض التصدي للمرجعية حين طلب منه ذلك حتى شهد له خمسون عالماً بالاجتهاد. ومراد بنت الشاه التعريض بترف الشيخ الكني مقابل زهد الأنصاري رحمه الله.

دعاة إلى الله لا إلى أنفسهم

كان هنالك ثلّة من العظماء من أهل الكرامات ولكنّهم لم يكونوا يوجهون أحداً لأنفسهم وإنما كانوا يقودون الناس إلى علة العلل[١]، وكانت لديهم كرامات لكن دون أن يطلع أحد على ذلك حتى خواصهم والمقربين منهم، بنحوٍ وكأنّهم لم يكونوا من أهل الكرامات. وإنما انكشف ذلك بعد وفاتهم فقد كانوا منصرفين إلى هذه الدروس الرائجة في الحوزة وإلى الفقه والأصول، ووصلوا من خلالها إلى مقامات وكرامات عالية جداً، لا من طريق آخر.

من أحوال الشيخ محمد حسين الأصفهاني (رحمه الله)

لقد أنفق أُستاذنا المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله ثروة أبيه على العلم وأهل العلم، ولم يتقلّد منصب المرجعية مع كل مقاماته العلمية إلى أن توفي وهو في أشدّ الحاجة، وكان غارقاً في الدين والقروض من قمة رأسه إلى أخمص قدميه! فقد كان مديوناً لأحد تلاميذه بمبلغ مائة وخمسين روبية، ولعلّ قلوب أصدقائه كان تحترق عليه ألماً.

فهو مع جميع تلك الرياضات والزهد والمقامات العلمية كان يقول وهو في طريقه إلى داره ـ وقد سمعتُ ذلك من أحد تلاميذه ـ: أرجو أن أذهب إلى القبر سالم الرأس!

وكلامه هذا لا يتلاءم أبداً مع ما كان يتوهم تجاهه من كونه طالب رئاسة. وقد سمعته مرّة يقول عندما قلع أحد أسنانه وقد نزف منها دم كثير: ليتني قلعت ضرس الطمع من الدنيا!

---

(١) أي أنّهم كانوا دعاة إلى الله، يدعون الناس إلى الله تعالى، لا إلى أنفسهم.

جمع الشيخ الأنصاري (رحمه الله) بين العلم والعمل

كان الشيخ الأنصاري رحمه الله يقرأ في كل يوم زيارة عاشوراء مع السلام واللعن مائة مرة في حدود نصف ساعة لجهة الرأس من ضريح أمير المؤمنين عليه السلام. وطبعاً فقد كان سريع القراءة؛ لأنّه لا يمكن بحسب القاعدة إتمام الزيارة مع مائة لعن ومائة سلام في نصف ساعة.

والجمع بين جميع تلك العبادات والأمور العملية والتعبّد، وبين جميع تلك المطالعات والتدريس والتأليف هو جمع بين نقيضين متعارفين.

والعبادات التي كان يواظب عليها يومياً هي عبارة عن النوافل اليومية وصلاة جعفر والزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء وتلاوة جزء واحد من القرآن.

الطفل الرافض لتقبيل يد الشيخ

عندما كان الشيخ الأنصاري رحمه الله يأتي إلى كربلاء يتوضأ أولاً ثم يتشرّف في الدخول للحرم. وقال مرة للشيخ عبد الحسين رحمه الله[1]: لقد أهدى لي أحد الأشخاص هذا الكيس من النقود ـ وكأنّه لم يكن من سهم الإمام عليه السلام ـ وأنا بدوري أهديه لك.

و[لدى تواجده رحمه الله في إحدى المرات] في جوار ضريح حبيب بن مظاهر (رضوان الله عليه) في رواق حرم سيّد الشهداء عليه السلام يخاطب أحدهم ولده قائلاً: قبّل يد الشيخ فقال الولد: لا أُقبّلها لأنّ الشيخ لا يعطيني نقوداً. فأخرج الشيخ رحمه الله توماناً وأعطاه له وعندها قال له والده ثانية: قبّل يد الشيخ، ولكن الطفل يمتنع عن ذلك ويقول: والآن لا أُقبّلها لأني إن فعلت أكون قد قبّلتها من أجل المال.

---

(١) الظاهر أنّه كان مضيّف الشيخ رحمه الله.

وقد رأيت شخصياً هذا الطفل وهو في سن الشيخوخة.

السيّد أبو الحسن الأصفهاني (رحمه الله) وأعمال أم داوود

لقد كان آصف بن برخيا بشراً ومع ذلك قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[١].

كم كان للعلماء الماضين من كرامات ومقامات! وكم كانوا موفّقين في العبادات والتعبديات! ولقد كان السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله حتى في أيام رئاسته الدينية ومرجعيته وزعامته العامة، والتي كان فيها ملك زمانه في العظمة والاقتدار، وكما أنشد فيه السيّد محمد ابن السيّد جمال الدين الگلبايگاني رحمه الله قائلاً:

عِشْ أبا حسنٍ على رغم العدى ملك الزمانِ وآية الرحمنِ

كان رحمه الله يأتي بأعمال أم داوود حتى في أيام شيخوخته وقد ناهز الثمانين عاماً. فعندما اعتكفنا في الأيام البيض من شهر رجب مسجد الكوفة كان رحمه الله معتكفاً في غرفة مجاورة لغرفتنا، وكان صائماً لكنهم جعلوه يفطر بسبب الكبر والضعف. فلقد كان رحمه الله - وحتى بلوغه هذا السن - يأتي بعمل أم داوود، بينما نحن لا نوفّق له، ونُحرَم منه حتى في شبابنا ولا نمتلك حال التوجه للدعاء والعبادة.

بين الشيخ حسن علي ومحافظ مشهد

ينقل أنه أعطى المرحوم الشيخ حسن علي النخودكي الأصفهاني دواء أو دعاء لزوجة محافظ مشهد التي كانت مريضة فشفيت من مرضها، فجاء المحافظ للشيخ

(١) النمل: ٤٠.

لشكره على علاج زوجته وعرض عليه خدماته أثناء ذلك، وصادف أن المحافظ كان قد افتتح العمل في شارع جديد يمر بالقبر المعروف في مشهد بـ «القبة الخضراء» وكان من المقرّر تخريبه في اليوم التالي.

فقال له الشيخ حسن رحمه الله: لا مصلحة في تخريب هذا البناء لأنّه محل دفن بعض العظماء [وينبغي احترامهم].

ولكن المحافظ أجاب قائلاً: لقد قُضي الأمر في ذلك ولا يمكن التراجع عنه ولكن إذا كان لديكم حاجة شخصية فأنا مستعد لقضائها.

فقال له الشيخ حسن رحمه الله مرة أُخرى: احترموا ذلك البناء الذي يضمّ قبور عدّة من العظماء والذين ينبغي احترامهم، ولا تدعهم يهدمونه ـ وكان رحمه الله يأتي بنفسه ويقرأ الفاتحة لأصحاب تلك القبور ويقول: ثمة رجال عظماء مدفونون في هذا المكان ـ فرد المحافظ أيضاً: لقد قُضي الأمر في تخريبه فلا تصرّوا على طلبكم هذا، ولكنّه في محاولة منه لشكر الشيخ على علاج زوجته عاد ليقول له مرة أخرى: إذا كانت لديكم حاجة شخصية فإنّي في خدمتكم. ولكن الشيخ حسن علي قال له في نهاية المطاف: أقول لكم بأنكم لا تتمكنون من تخريب القبر، ولن تفعلوا ذلك.

ومع أنّ المحافظ كان قد أصدر أوامره في تهديم القبر، وأنّ الأمر قد قُضي النظر فيه، وكان ينبغي تخريبه في اليوم التالي، ولكن وقبل بدء العمال بالعمل في تهديم القبر اضطرّ المحافظ للفرار من مشهد متخفّياً بعباءة نسائية، ولم يستطع حتى الخروج من المدينة بشكل عادي وطبيعي كما تعطل تخريب القبر أيضاً.

سؤال: هل هناك أصفهاني آخر مدفون هناك؟

الجواب: نعم، الميرزا مهدي الأصفهاني.

الميرزا مهدى الأصفهانى (رحمه الله) و توسلاته الخاصة فى الحرم

لقد تتلمذ الشيخ الحلبي المقيم في طهران على يد الميرزا مهدي الأصفهاني رحمه الله كما تتلمذ أيضاً على يد الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمه الله، وقد كان الميرزا مهدي في النجف من تلاميذ المرحوم النائيني.

سؤال: هل أدرك الشيخ الحلبي السيد أحمد الكربلائي رحمه الله؟

الجواب: نعم كأنه أدركه، ولكن لا أعلم مدّة ذلك. ولكنّه أدرك تلاميذ المرحوم السيّد أحمد كالسيّد جمال الدين الگلپايگاني رحمه الله وأمثاله. وأحتمل أني عندما كنت مقيماً في العتبات كان الميرزا مهدي رحمه الله قد جاء إلى إيران وحل في مشهد.

ولقد كانت لديه رحمه الله طريقة عجيبة في الذهاب إلى الحرم للزيارة، فكان يتبرّك كثيراً بالضريح ويقبّله، وكانت له هناك حالات عجيبة من التواضع والتوسّلات والتضرّع.

الإخبار بقرب وفاة الميرزا علي الشيرازي (رحمه الله)

كان ابن الميرزا علي الشيرازي رحمه الله مقيماً في مشهد وصاحب موقع بينما كان والده مرجعاً في النجف. ولا أدري كيف خطر في ذهنه أن يذهب إلى صاحب جفر ليسأله كم سيعمر والده. فينظر صاحب الجفر ثم يقول: عليك التوجه إلى النجف فوراً. فيترك الابن موقعيته وأوضاعه في مشهد ويذهب إلى النجف، وكان والده سالماً وقوياً كالأسد ولكنّه بعد فترة قصيرة يتمرض يومين أو ثلاثة من دون سابق إنذار ثم توفي بعدها.

من أحوال الميرزا علي الشيرازي (رحمه الله)

من خصائص الميرزا علي الشيرازي رحمه الله هي أنّه كان يرسل الطعام ليلاً إلى بيوت الطلاب والفضلاء و الفقراء. وفي أحد الأيام جاءه ذوحاجة إلى باب داره ولم يكن عنده

ما يعطيه، فأعطاه ساعته الشخصية ليبيعها ويستفيد من ثمنها في قضاء حاجته.

كما رأى في أحد الأيام ـ والظاهر في سوق سامراء ـ قصّاباً يتبع أحد طلاب العلم وقد اجتمع الناس وازدحموا حولهما، فيصل الميرزا علي الشيرازي رحمه الله إليهما و يضمن الطالب أمام القصّاب طالبا منه أن يتركه لحاله.

فهل هنالك أمّة لها مثل هؤلاء الرجال وتميل إلى غيرهم؟!

الإخبار بالرؤيا وتأويلها

يقول المرحوم الشيخ فضل الله النوري: رأيت مناماً فذهبت إلى عند المرحوم الآخوند الملاّ فتح علي السلطان آبادي لتعبيره. وعندما حكيت له قسماً منه قال: أعلم جيّداً، و أخذ يقصّ عليّ تتمة ما رأيته في عالم الرؤيا، ثم عبّره لي.

لقد كان الآخوند شخصية عجيبة. والويل لنا إذا جعلنا المعنويات والروحانيات مقدمة ووسيلة للوصول إلى الماديات والفانيات.

الملاّ فتح علي وصلاة ليلة الدفن

نُقل أن المرحوم الآخوند الملاّ فتح علي كان قد صلى [إحدى المرات] في سامراء صلاة ليلة الدفن للأموات (صلاة الوحشة). ويشاهد قريب لأحد الأموات قريبه الميت في عالم الرؤيا فيقول له: إنّ صلاة الآخوند الملاّ علي هي التي نجّتني.

وعندما استيقظ هذا الرجل من النوم ذهب إلى الملاّ فتح علي وقال له: هل قرأتم صلاة الوحشة للميت الفلاني في الليلة الفلانية؟

فقال الآخوند: نعم. فقال الرجل: وهل تعرفه؟ فأجابه الملاّ فتح علي: معرفة الميت ليست شرطاً حين الصلاة له، وقول «**اللهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات**» مجرد إحسان

لهم[1].

الجنون الذي يتمناه العلماء

لقد رأيت شخصا من أهل المراقبة لم يكن يتمكن من ضبط نفسه فظهر عشقه بين الناس. فقد رأيت ذلك منه مرتين في الدار وهولا يستطيع التكتم والانضباط، ونقلوا لي في مرة أُخرى أيضاً أنه ذهب مجموعة من الناس إلى المرحوم السيّد محمود الشاهرودي، والذي كان أحد مراجع عصره، وأخبروه أنّ فلاناً جُنَّ وقد أخذ يضرب رأسه ويصيح. فقال: إذا كان هذا جنوناً فليتنا كنا نحن أيضاً مجانين للأبد.

العمل بالطب المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام) و السلامة الدائمة

كتب المرحوم المجلسي في إحدى مؤلّفاته: إن من يعمل بالطب المأثور عن الأئمة الأطهارعليهم السلام لا يُبتلى بالمرض؛ لأنّهمعليهم السلام يعلمون خواص المأكولات والخضار والأشياء الأُخرى.

وقد رأيت بنفسي شخصاً قد عمل بالطب المأثور عنهمعليهم السلام وعاش ما يناهز الثمانين عاماً دون أن يتعرض للمرض.

وعندما كنا في النجف وانتشر الوباء هناك كان يكثر من عيادة المرضى دون أن يصاب بالعدوى، وكان مرضه الوحيد في آخر عمره أنّه انقطع عن حضور صلاة الجماعة و لجأ إلى الاستراحة. وطبعاً فإنّه كان يخرج لأداء بعض الأعمال الأُخرى، ولا أعلم هل أُصيب بمرض عند وفاته أم لا.

---

(١) راجع: الكافي ٢٢/٢، من لا يحضره الفقيه ٧١/٢، وسائل الشيعة ١١٤/٧، ٤٥٤/٩.

عاقبة الظلمة

نقل السيّد إبراهيم نامي ما يلي: كنت مع المرحوم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله ورضا خان البهلوي في الحرم المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام (أو في الإيوان الذهبي لحرمه عليه السلام) فالتفت المرحوم كاشف الغطاء نحو البهلوي وخاطبه قائلاً: مهما حصلت عليه من نفوذ وقدرة (أو ستصل إليه) فإنّه لا يصل إلى ما وصل إليه السلطان عبد الحميد[1] من شوكة وقدرة، وهاهم أولاده الآن بعد موته يتسوّلون في شوارع الهند.

التقليد بين الأمس واليوم

يقول السيّد حجّت رحمه الله: كان الناس في الماضي يقلّدون شخصاً ليتّبعوه، ولكنهم اليوم يريدون تقليد من يتّبعهم ويقلّدهم.

من أحوال بعض الصالحين

لقد كان المرحوم «إمام»[2] قليل النظير. عاش ستاً وتسعين عاماً، وكان مهذباً من دون رياضة [ومجاهدة] وشخصياً نادراً ما رأيت إنساناً ساكناً هادئاً، وقليل الكلام إلا في محلّه بهذا النحو، من دون ممارسة رياضات [نفسية وعبادية].

كان والده يقيم مجلس إطعام عام في أيام العشرة الاولى من محرم، وقد استمر أولاده بعده على هذا المنوال بعد رجوعهم من النجف لعدة سنوات، لكنهم تركوه أخيراً، مع أنّ المرحوم إمام كان قد أوصى في جميع وصاياه في لاهيجان بإقامة هذه المجالس من ثلث أمواله، ومن جملة مصارف الخيرات، لكن ابنه سافر إلى النجف، إلا

---

(١) سلطان الدولة العثمانية.

(٢) المرحوم إمام من سادات لاهيجان المعروفين بحسن الذكر وقد كان معروفاً باسم «إمام» هذا.

أنّه لم يُطِل الإقامة هناك.

وقد قال حاكم البلد وقتها بعد وفاته لابنه: لا داعي لأن تذهب إلى النجف، فإنّ نفس هذه المكانة محفوظة لك [وتراعى في حقك] حتى من دون ذهاب إلى النجف.

من أحوال السيد بحر العلوم (رحمه الله)

قام السيد بحر العلوم رحمه الله بعد وفاة الوحيد البهبهاني رحمه الله وانتهاء المرجعية إليه، بتنظيم الشؤون الدينية، وتوزيع المهام والمناصب الدينية بين المراجع والعلماء الموجودين. فعيّن المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء لمنصب الإفتاء، والمرحوم الشيخ حسين [نجف] لإقامة الجماعة، وأبقى التدريس لنفسه.

وفي أحد الأيام يقوم السيد عليه السلام بتعطيل الدرس، فيُسأل عن السبب فيقول: إنّه مرَّ في وقت صلاة الليل في بعض الأحياء التي يقطنها الطلاب، فلاحظ أنّهم نيام، ولم يرَ [أو يسمع] ما يدل على استيقاظهم للتهجد وصلاة الليل.

كفالة الإمام علي (عليه السلام) للمعاملات

السند الوحيد الذي كان يتعامل به أهالي العراق إجمالاً في معاملاتهم التجارية هو أن يقول أحدهم للآخر: كفيلك أبو الحسن علي عليه السلام.

وعندما يتقبَّل الطرف الآخر هذه الكفالة وهذا السند، فإنّ المتعامل معه يطمئن إلى أنّه لن يجرؤ على مخالفة مقتضى العقد؛ لأنّه سيتعرض إلى مجازاة عاجلة، بعد أن كفَّل الإمام عليه السلام، واتخذه ضامناً له في الالتزام بالعقد.

وقد شُوهد أو سُمع أحياناً مجيء المتخاصمين إلى ضريح الإمام عليه السلام للحَلْف هناك، وتعرّض الكاذب للعقوبة العاجلة، وظهور معجزات من هذا القبيل. كما طالما

شوهد أو سُمع التجاء العوام إلى ضريح الإمام عليه السلام أو أبي الفضل العباس عليه السلام للتوسل وتحقق حاجاتهم بشكل فوري.

الاطلاع على المغيبات

لقد كان السيد مرتضى الكشميري رحمه الله ممن يخبر بالمغيباب دونما تستر.

يقول أحدهم: كنت أسير خلف السيد فخطر في ذهني أنّه هل لغير المعصوم عليه السلام أن يعلم الغيب؟ فالتفت إليَّ السيد عندئذٍ وقال: نعم المؤمنون يعلمون.

وقد شغل فكري أنّه ما معنى قوله «نعم» مع أنّ الأمر كان مجرد خاطرة مرت في ذهني[1].

وقد جاء في بعض الروايات أنّ الإمام الكاظم عليه السلام تكلم ببعض الكلام في حق أحد أبناء الأئمة عليهم السلام، يقول الراوي: فخطر ببالي في المجلس أنّ الإمام عليه السلام يأمرنا بصلة الأقارب والأرحام والإحسان إليهم، بينما يتكلم هو بهذا الكلام في حق أرحامه. لكن بمجرد أن خطر هذا المعنى في قلبي قال الإمام عليه السلام[ما معناه]: إنّ ما تكلّمنا به أيضاً تجاه هذا الشخص [من أرحامنا] هو من برّنا وإحساننا إليه، لكي نحفظه من الأعداء، من خلال التظاهر بوجود اختلاف بيننا.

---

(١) يقول المترجم: إنّ ما يذكره الشيخ دام ظله هنا بالنسبة للسيد مرتضى الكشميري رحمه الله قد صدر من الشيخ بهجت نفسه مراراً. ففي إحدى المرات مر الشيخ بهجت دام ظله بالقرب من بعض الطلاب اللبنانيين وصادف أن كانوا يتساءلون بينهم عن مدى فصاحة نطق الشيخ بهجت بالعربية، وإجزائها في الصلاة بالنسبة للعربي لو أراد الائتمام به، فاقترب منهم الشيخ حفظه الله وفاجأهم بالقول دون أن يكون قد سمع ظاهراً ما قالوا: إنّ الضاد الصحيحة هي بالشكل التالي لا بالنحو الذي تنطقون به أنتم اللبنانيون. وقد تكرر أيضاً أن يخطر ببال جليسه أمر أو إشكال، فيجيب الشيخ دام ظله عنه دون أن يتلفظ به الشخص المقابل بل أحياناً يتحول الأمر إلى حوار صامت على مراحل بينهما دون نطق أو تلفظ من الجليس، بل بمجرد أن يخطر المعنى في باله يجيب الشيخ عنه«المترجم».

السيد علي القاضي في انقطاعه ويقينه

لقد كان هذا السيد [السيد علي القاضي رحمه الله] منقطعاً أشد الانقطاع، وبحالة شديدة من العوز والفاقة المادية، بل أشد فاقة من عامة الطلاب؛ إذ إنّ عامة الطلاب كانوا يتجهون لبيوت المراجع والعلماء لرفع الحاجة، أما هو فلم يكن يعرف هذا الطريق ولكنه مع هذا يقول: لقد مضى من عمري سبعون عاماً أو أكثر، ولم يصادف في ليلة من الليالي أن قلنا: ليس لدينا عشاء لهذه الليلة.

نسأل الله تعالى أن يجعل رزق كل منا يقينه.

من أحوال السيد جمال الدين الكلبايكاني (رحمه الله)

عندما جاء السيد جمال الدين الگلپايگاني إلى النجف لم يكن يمتلك أية ثروة، كما أنّه لم يكن ممن يأتي مكاتب المراجع عند الحاجة أو يتردد إلى هنا وهناك لطلب المساعدة. [ومن نوادره في القناعة والصبر أنّه] يخرج يوماً وقد حلّ به الجوع إلى بائع الخضار، فيشتري سبانخ أو ما أشبه مما يسدّ الرمق ويناسب حال المفلس، ويقتصر في طعامه عليه مما يؤدي إلى إصابته بالإسهال والمرض الشديد. أجل لقد ضحّى علماؤنا بأعمارهم في سبيل العلم وتحصيله، وفي ظل ظروف شاقة كهذه.

ونفس السيد جمال الگلپايگاني رحمه الله هذا [كان من أصحاب الكرامات إذ] كان يقيم صلاة الجماعة في بيته، فيلتفت يوماً إلى المصلين بعد الصلاة ليقول لهم: لقد انتقل السيد محمد الحجة إلى رحمة الله الآن[1].

إنّنا نجهل قدر علمائنا ولا نحسن تقديرهم، ولعله سيأتي يوم يدعونا فيه

---

(١) آية الله العظمى السيد محمد الحجة كان في مراجع التقليد في قم، وهو مؤسس وباني المدرسة المعروفة حالياً بالمدرسة الحجتية.

الأمريكيون والأوروبيون إلى التشيّع، وإلى معرفة قيمة مذهبنا وعلمائنا.

صورة من تقوى بعض العلماء

كان هناك عالم يقطن في كربلاء ويعتبر الأعلم من بين الموجودين، لكنه كان ـ رغم ما يتمتع به من مقامات ـ يجتنب المرجعية والتصدي [ما أمكن]، وقد أحس في أواخر عمره بعروض النسيان عليه، ولذا طلب ممن يرجعون إليه أن يَعْدِلوا في التقليد إلى غيره، وقد لاحظ بعض جيرانه أن المقلّدين ظلوا على مدى عدة سنوات يأتون إلى هذا العالم كل فترة ليسألوه عن بقاء حالة النسيان هذه، أو أنها زالت ليرجعوا إليه في فرض زوالها [مما يكشف عن درجة اقتناعهم بعلمه ومقاماته]، لكنه كان يجيبهم بالقول إنّها لازالت باقية.

والدتي الزهراء (عليها السلام) أفضل من أم موسى (عليها السلام)

رأى المرحوم السيّد مرتضى الكشميري في أحد الأيام مجموعة من الأشخاص يريدون الدخول إلى إحدى غرف مسجد الكوفة ولكن الباب كان مقفلاً ولا يملكون مفتاحه، وكانوا يتحدّثون بينهم أنّ من ينطق باسم أُم موسى عليها السلام [على قفل] يُفتح له القفل، فاقترب منهم وقال: إنّ أمّي [الزهراء عليها السلام] أفضل من أُم موسى عليها السلام. ثم قال: يا فاطمة، ووضع يده على القفل وفتحه من دون مفتاح! وطبعاً نحن لا نقوم بمثل هذا العمل وإن كُنّا نعتقد ونتيقّن بعظمة وأفضلية الزهراء عليها السلام على نساء العالمين لأنّنا سنحبط، وما لم يهب الله تعالى البصيرة للمرء فإنه سيكون من قبيل ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1].

(١) الأعراف: ١٧٩.

ومع كل ما ظهر من العلماء من عجائب وغرائب وكرامات إلى درجة وكأننا شاهدناهم بأنفسنا فإن ذلك لم يؤثّر فينا شيئاً.

الشيخ الكوهستاني والحزن للدنيا

ينقل عن المرحوم الشيخ الكوهستاني[١] أنّه قال: لم أحزن لأمر الدنيا إلاّ مرة واحدة، ثم فكرت والتفتّ بعدها إلى أنّ الحزن والأسى للدنيا ليس أمراً حسناً، وهو مرجوح شرعاً.

ما أجمل أن يعطي الله الإنسان قوة ويقيناً بهذه الدرجة فلا يحزن إلا لله! إنّ هذا يتطلب شجاعة وإيماناً واستقامة شديدة.

زهد الشيخ الأنصاري (رحمه الله) وقناعته

إنّ ما نصرفه نحن خلال شهر كان يكفي الشيخ الأنصاري رحمه الله لمدة سنة لقد نقل لي أحد المسنين فقال: قبل وصول الشيخ الأنصاري رحمه الله إلى المرجعية جاءني أحد التجار الإيرانيين القادمين إلى النجف وقال لي: أعطِ الشيخ كل ما يطلبه، والحساب آخر السنة عليَّ. لكن لدى الحساب آخر السنة وجدنا أنّ الشيخ لم يشتر منا إلاّ خمساً وعشرين مرة، وفي كل مرة كان يشتري بمبلغ زهيد جداً مقداراً من المخيض (اللبن المخفف بالماء). أجل فمع أنّ محل الألبان كان في خدمته فقد تصرف بهذا النحو فلعلّنا نحن الذين نصرف من سهم الإمام عليه السلام مقداراً أكبر مما يصرفه الشيخ نعمل بجدّية أكثر منه!![٢].

---

(١) هو آية الله الشيخ محمد الكوهستاني المازندراني رحمه الله من أجلّة العلماء والمعروفين بالتقوى والمقامات.

(٢) لقد كان الشيخ الأنصاري عليه الرحمة من نوادر الدهر علماً وعملاً وعبادة وجدية. والشيخ بهجت دام ظله يُلفت

من كرامات السيد مرتضى الكشميري (رحمه الله) أيضاً

دخل المرحوم السيّد مرتضى الكشميري داره مرّة فوجد عائلته يبحثون عن شيء فُقد لهم، فأمرهم بالبحث حول الحوض، وكان هذا العمل في نظر عائلته لا فائدة فيه ولكنّهم عندما طافوا حول الحوض عثروا على ما فقدوه.

ترك النوم بين الطلوعين

رأى أحدهم في عالم المنام أنّ قضاء حاجته هي على يد فلان، فذهب إليه وقال له: لقد ابتُليت بالهمّ والغم، وقد أرسلوني إليك.

فأجابه ذلك الشخص ببرودة أعصاب: لقد قالوا لي أيضاً إذا عرض فلان حاجته عليك فقل له: اترك النوم بين الطلوعين ترتفع عنك الابتلاءات الدنيوية.

نوادر من زهد العلماء وقناعتهم

علينا أن نسعى للاقتصار على مقدار الضرورة في الإنفاق من سهم الإمام عليه السلام لنخفّف بهذا من عذاب جهنم.

ولقد كان أجلّة علمائنا يجتنبون عن الحلال [ويقتصرون على الواجب]، فلنتجنّب نحن الحرام منه على الأقل.

جاء شخص إلى الميرزا الكبير رحمه الله ليطلب منه مساعدة مالية، وبما أنّ الميرزا رحمه الله لم يكن يملك شيئاً [يعطيه إياه] فقد أعطاه ساعته ليبيعها وينتفع بثمنها.



إلى الفارق بين ما نبذله نحن كطلاب علم من جهد نسبة لما بذله الشيخ الأنصاري رحمه الله، مع كوننا أكثر جرأة منه بمراتب على التصرف في سهم الإمام عليه السلام.

والمرحوم السيّد أبو الحسن الأصفهاني أيضاً ـ مع ما كان يتمتع به من حافظة عجيبة، ومثابرة فريدة وإحاطة في الفقه والفقاهة ـ رأى ـ يوماً ـ أحد الطلاب مغموماً فسأله عن سبب ذلك، فأخبره أنّ ذلك بسبب كثرة عائلته وضغوطات نفقات المعيشة. فقال له المرحوم السيّد: اذهب إلى المكان الفلاني فإنيّ قد تركت هناك لحافاً للبيع فخذ ثمنه وأنفقه على عيالك، فإنّك أكثر استحقاقاً منّي.

الشريعة شجرة والطريقة ثمرتها

عندما جاء المرحوم حسين القمي من الكوفة إلى النجف التقى في طريقه الحاج مطهّر ـ الذي كان أحد دراويش الكوفة، ولقد كّنا في النجف حين وفاة أستاذه وكنا نسمع أنّ بعض العلماء كان يذهب إليه، وكانت له قرابة مع بعض عوائل العلماء في كربلاء ـ يقول: قلت له أثناء حديثي معه: هل تعمل ماكينة الطريقة بغير الشريعة؟

قال: لا، الشريعة شجرة، والطريقة ثمرتها أو غصنها.

وعلى هذا فلا يمكن الفصل بينهما، أو هما مثل الحليب والزبدة.

سواء أردت الدنيا أو الآخرة فعليك بصلاة الليل

في اللقاء الأول بين المرحوم العلاّمة الطباطبائي وأُستاذه في الأخلاق المرحوم السيّد علي القاضي، قال له المرحوم القاضي: يا بُني إن أردت الدنيا فعليك بصلاة الليل وإن أردت الآخرة فعليك أيضاً بصلاة الليل. وقد جاء في الرواية [ما معناه]: من صلّى صلاة الليل ثم قال لك في النهار إنّه جائع أو ليس لديه طعام أو رزق فكذّبه[1].

---

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه ٤٧٤/١، وسائل الشيعة ١٥٨/٨، بحار الأنوار ١٥٤/٨٤. المحاسن ٥٣/١.

كرامة للآخوند فتح علي السلطان آبادي (رحمه الله)

كان المرحوم الميرزا النوري قد أمر في سامراء بدعوة مائة من طلاب العلم لتناول وجبة طعام العشاء [على مرحلتين] في ليلتي الخميس والجمعة، ولكن دُعي خطأً المائة شخص كلهم في ليلة الخميس. وكانوا قد هيأوا من الطعام ما يكفي لخمسين شخصاً فقط، فذهبوا إلى بيت المرحوم الآخوند ملاّ فتح علي السلطان آبادي وأخبروه بما جرى، فقال لهم: دعوا الطعام على حاله في القِدْر [ولا تسكبوه في الأواني] حتى آتي وبالفعل حضر الآخوند رحمه الله قبل البدء بسكب الطعام، فطلب إبريق ماء ممتلئاً، وصبّه على قدر الطعام، ومسح بيده عليه ثلاث مرّات يميناً ويساراً وهو يقول: «علي خير البشر، ومن أبى فقد كفر»[(١)].

ثم قاموا بعدها بسكب الطعام من القدر في الأواني، فأطعم المائة شخص بأجمعهم.

زهد السلف رغم جهادهم العلمي

وقف الشيخ الأنصاري رحمه الله ـ مع جميع ما كانت له من كرامات ـ عند قبر أُستاذه في كربلاء ليخاطبه قائلاً: إذا كنت زاهداً فما نكون نحن؟ إنّنا نستحق لهيب النار!

نعم، لقد كانوا مواظبين على الدرس حتى في فصل الصيف الشديد الحرارة في النجف الأشرف حين كانت الحوزة لا تعطّل دروسها أنذاك، ولقد تحمّلوا المشاق والمصاعب الجمّة حتى وصلوا إلى مقامات عالية، ومع ذلك كانوا يأبون التصرّف في بيت المال، ويكتفون بأقلّ الحاجات.

---

(١) مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ٥٢٣/٢و٥٢٤، المسترشد: ٢٧٢و٢٨٠، بحار الأنوار ٣٠٦/٢٦، ٣٨/ ٦ ـ ١٤.

أين ذهب أولئك العلماء الممتازون؟

إنّنا لنشعر بالخجل الشديد من أنفسنا عندما نلاحظ أحوال علماء السلف؛ لأنّنا نراهم قد وصلوا إلى مقامات شامخة لا يمكن بيانها خلال عمر قصير، وعلّة ذلك أنهّم كانوا رجالاً غير عاديين واستثنائيين في العلم والعمل، فأين ذهب هؤلاء العلماء المتميّزون الذين لا نعثر على واحد منهم الآن؟!

وكان أُستاذنا [المحقق الأصفهاني]رحمه الله يقول: لقد كان الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله استثنائياً،وكان المرحوم السيّد حسين القمّي رحمه الله مثل أستاذنا رحمه الله أيضاً يعتقد بأنّ الميرزا كان أعلم من السيّد محمد كاظم اليزدي والآخوند الخراساني رحمهما الله، ويقول: إنّهما يتقدمان عليه في حضور الذهن، ولكن الميرزا كان أعلم منهما.

ولم يكن درسه ليُرضي أيّاً كان لأنّه كان كالمباحثة، ويقول أُستاذنا رحمه الله: لقد درست عنده كتاب المكاسب خلال سبع سنوات في كل يوم درسان، ربما من أول المكاسب المحرّمة إلى آخر الخيارات.

وقد أنهى أُستاذنا [الأصفهاني]رحمه الله أيضاً تدريس كتاب المكاسب من أول البيع إلى آخر الخيارات خلال أربعة عشر عاماً.

نعم، لقد كانت المعاناة والمشاق التي تحمّلوها في العلم والتعليم والتعلّم مباينة لما نحن عليه، وكأنهّم كانوا عشّاقاً للعلم.

لقد رأيت المرحوم الآقا ضياء العراقي في أحد الأزقة وقد وضع إحدى يديه على الأُخرى، وكأنّه كان مستغرقاً في التفكير في مسألة علمية ويريد الانتهاء بها إلى الغاية المرجوّة اللائقة، وكان رحمه الله ترك جانباً كل شيء حتى الرئاسة والمرجعية، ولم يهتم بشيء سوى التعليم والتعلّم فقط.

لقد ساروا على خطى الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)

لقد كانت خطبهم ومنابرهم خطب وروايات المعصومين عليهم السلام، إنّهم كانوا ـ وبسبب كثرة تحقيقهم في الروايات ـ يلجأون في كل موضوع يريدون معرفته إلى كتب الروايات؛ ليستخرجوا منها ما يشاؤون وبسرعة. ولقد أحضر مرّة فرهاد ميرزا وكيل السيّد علي أكبر الشيرازي رحمه الله وقال له: لماذا تعرضت لذلك اليهودي؟

فقال رحمه الله: لأنّه كان قد خرج بدون علامة خاصة تميّزه عن المسلمين فأُدِّب على عمله هذا.

فقال له: وما الذي دعاك لهذا الأمر؟

فأجابه: لقد عملت بما أمرت به الرواية.

فقال له: أرني هذه الرواية.

فطلب السيد كتاباً معيّناً وأخرج منه تلك الرواية على الفور دونما تأمّل وأراه إيّاها. [ممّا اضطر فرهاد ميرزا لاحترامه].

فقاله له ختاماً [بعد أن رأى منه ما رأى]: اطلب منّي شيئاً.

فقال له: [طلبي وحاجتي أن] لا تستدعينا لأجل هذه المسائل مرّة أخرى!

فهل أتى أمثال هؤلاء من الجنّة؟!

نعم، إنّ من وضعوا أقدامهم في موضع أقدام الأنبياء والأوصياء عليهم السلام [وساروا على خطاهم] لهم مثل هذه المواقف.

الشيرازي وختم القرآن يومياً

لم أسمع أنّ من بين حفّاظ القرآن في هذه الأيام مثل الشيرازي رحمه الله الذي كان يقيم في سامراء، حيث كان يختم القرآن مرّة في كل يوم في شهر رمضان. فكان يصلّي

صلاة الصبح في حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام، ولا يذهب إلى بيته بعد انقضاء الفريضة بل يبدأ بتلاوة القرآن، ولا يخرج من الحرم إلاّ للطهاره وتجديد الوضوء، فكان يختم القرآن على هذا الترتيب في نهار واحد أو في ليلة واحدة على أطول الوقتين (من الليل إلى السحر، أو من الصباح حتى العشاء)، وكان يقرأ القرآن بأجمعه عن ظهر قلب، ولا أتذكر أحداً كان مثله في هذا الأمر.

كرامات الأنبياء وبؤس مدّعي التنور

كان أحد العلماء في قزوين (الملاّ خليل القزويني رحمه الله أو غيره) جالساً وقد أحاط به ثلّة من الطلاّب والمثقفين، فقال أحدهم: إنّ الله عز وجل عندما أخبر عن داود عليه السلام بقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[1] معناه أنّه عز وجل قد ألان له الحديد بواسطة النار والمقصود من الآية هو أنّ صهريج النار الذي تذاب فيه الفلزات كان معروفاً أنذاك أو أنّه عليه السلام كان أول من اخترعه! مع أنّ الحروب كانت معروفة قبل عصر داود عليه السلام وكانت تستعمل فيها السيوف.

فغضب ذلك العالم وقال: هل تعتبرون صدور مثل هذا العمل بعيداً عن نبيّ مثل داود عليه السلام؟! مع أنّ هذا ليس بأمر ذي بال إذ يمكن أن يصدر عني [وعن مثلي] أيضاً ثم تناول صينية كبيرة من النحاس أو الحديد في مقابله ثم قطعها نصفين بإصبعيه كما لو كانتا مقصّاً.

---

(١) سبأ: ١٠.

أفضل من نهر زاينده[1] مملوءاً ذهباً

قال المرحوم البيدآبادي للسيّد بحر العلوم رحمه الله: إنّ الله عز وجل قد أعطاني ما هو أفضل من نهر «زاينده» مملوء ذهباً وأكثر قيمة منه.

وفي مقابل ذلك كان أحدهم يقول مخاطباً ليرة ذهبية: إنّ جميع الناس يطلبونك لأمر آخر [وللتوصل إلى حاجاتهم وأغراضهم] ولكنّني أعشقك لنفسك لا لشيء آخر.

رجل الحقيقة

ينقل أنّ محمد خان القاجاري سأل الآقا محمد علي مسألة في زمان حكومة كريم خان [ترتبط حسب الظاهر بالصراع والخلاف الذي كان دائراً بين الأسرتين القاجارية والزندية.

وكانت السيطرة ذلك الوقت للزندية والحاكم كريم خان زند]، وكان الجواب لصالح كريم خان دون محمد خان، فتأذّى القاجاري من ذلك. وبعد سيطرة محمد خان على مقاليد السلطة أراد الآقا محمد علي المجيء من كرمانشاه إلى طهران فأرسل إليه محمد خان رسالة ينهاه فيها عن المجيء، ولكنّ الشيخ الآقا محمد علي لم يأبه بالرسالة وجاء إلى طهران، فأمر محمد خان بغلق بوابة العاصمة لمنعه من دخولها فما كان من الشيخ إلاّ أن نصب خيمة خلف سور المدينة وأقام فيها، إلى أن جاءه محمد خان بنفسه حاملاً سيفه، وسأله نفس المسألة التي سأله عنها سابقاً ليرى هل يكون جوابه نفس الجواب الذي أعطاه أيام حكومة كريم خان، أم أنّه سيغيّر جوابه تبعاً لتغيّر الحكومة ومجاملة لرئيسها الجديد محمد خان؟

---

(١) نهر في شمال شرق إيران.

ولكنهّ لم يغيّر جوابه السابق الذي أعطاه لكريم خان الذي كان قد توفي ذلك الوقت. فأدرك محمد خان عندئذ أنّ هذا الشيخ من أهل الحقيقة.

و[في نفس هذا المجلس] يطلب الشيخ من محمد خان أن يأمر رجاله بالرجوع و ترك التوجه إلى كرمان [ويبدو أنّه كان قد أرسل حملة إلى تلك المدينة] ولكن محمد خان يرفض قائلاً: لو كنتم قد طلبتم ذلك قبل إصدار الأمر لفعلت، وهنا يغضب الآغا محمد علي على محمد خان ويواجهه بالحدّة قائلاً: وأي أمر هذا؟! فيردّ محمد خان بأن يأمر أتباعه قائلاً: أخرجوا هذا الشيخ من هنا! فيخرجونه مسافة، لكنّه يعود ويأمر بإرجاعه.

نعوذ بالله من شرّ المخالفين.

في الليل عبّاد وفي النهار هداة للعالم

كان المرحوم الشيخ مرتضى[١] يبقى مستيقظاً في الليل في المدرسة، ويشتغل في ليالي شهر رمضان بتلاوة القرآن لعدّة ساعات ويتمشّى في محيط المدرسة تالياً القرآن وشعر مثنوي وبابا طاهر بصوت حسن مع تضرع ونياحة، لكن ما أن يطلع الصباح حتى يجلس في إحدى زوايا المدرسة ويقضي نهاره بالتدريس، فإذا فرغ من إلقاء الدروس جلس صامتاً، وكأنّه ليس ذلك الرجل الذي كان البارحة.

وكان السيّد محمد باقر الشفتي رحمه الله أيضاً ـ والذي كان ينفّذ الحدود الشرعية بيده ـ في الليل كمن أُصيب بالجنون يقضي ليلته بالبكاء والنياحة والتضرع والتصرفات الغريبة، و لكن عندما يطلع نور الشمس يرتدي جبّته وعباءته [ويجلس لممارسة ومتابعة

(١) المقصود به الشيخ مرتضى الطالقاني رحمه الله (١٢٧٤ـ١٣٦٣) من مشاهير النجف الأشرف، كان يسكن في مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله، وبقي عازباً إلى آخر عمره الذي ناهز التسعين.

أعماله العلمية والاجتماعية] وكأنّه ليس ذلك الرجل الذي قضى ليله بالتضرّع والنياحة.

الإخبار عن وفاة آية الله الحكيم قدس سره

قال أحد الأشخاص من أهل علم الجفر لشخص آخر: سأقول لك شيئاً لا تخبر به أحداً: في اليوم الفلاني من هذا الأسبوع سيتوفى آية الله الحكيم قدس سره[١]. وكذلك كان.

هذا ولقد رأينا علماء أو سمعنا عنهم ممن وصلوا إلى مقامات عالية من طريق هذا التعليم والتعلّم المتعارف في الحوزة.

نعم، ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾[٢] شيء آخر، ولكن المؤسف هو أنّنا لم نُصغِ إلى حديث آبائنا المعنويين!

وهل صلاة الليل من شروط البرّ؟

قال السيّد جمال الگلپايگاني رحمه الله لولده: إذا تركت صلاة الليل أعتبرك عاقّاً لي! فتأذى الولد بشدة لسماع ذلك وقال: كيف تعدّني عاقّاً بسبب ترك مستحبّ؟ فيجيبه والده: قصدي أن لا تترك صلاة الليل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

يعدّ ولده عاقّاً بسبب ترك مستحب! لقد كان في الواقع يؤمّن مستقبل ولده بهذا العمل؛ لأنّ ما سوى ذلك في معرض الفناء، سواء كان مالاً أو أرضاً أو ملكاً أو أغناماً وطيوراً... الخ.

(١) آية الله العظمى السيّد محسن الحكيم أحد مراجع التقليد في النجف الأشرف وصاحب كتابي «مستمسك العروة الوثقى» و«حقائق الأصول».

(٢) الأعراف: ١٤٥.

حول المحقق الأصفهاني (رحمه الله)

لقد كان لأُستاذنا رحمه الله[١] حالات عجيبة و غريبة، ومع أنّه كان صاحب عائلة فقد خصّص إحدى زوايا الغرفة لوضع كتبه والمطالعة فيها، ولم يكن ما يحدثه الأطفال من ضوضاء في المنزل معيقاً له عن المطالعة! وإنّه لمن النادر حقّاً ومن عجائب الدهر أن تكون حواس الإنسان وأعصابه قوية إلى هذه الدرجة.

وكان أحياناً ينادي أحد أفراد عائلته، فيجيبه ذلك الشخص، ولكنّه لا ينتبه لذلك ويتصور أنّه لم يجبه، فيناديه مرّة أُخرى ويعود إلى المطالعة دون أن يلتفت إلى جوابه، ومن ثم يعود إلى مناداته بعد فترة.

[يقول المترجم: ولقد سمعت من سماحة الشيخ بهجت في أحد المجالس عن حالات أستاذه المحقق الأصفهاني أنه كان بكّاءً يبلِّل وسادته قبل النوم بالدموع، وأنه كان صاحب سجدة طويلة.

كما قرأت فيما كتبه العلاّمة السيد محمد حسين الطهراني رحمه الله عنه هذه النادرة اللطيفة والمعبِّرة. إذ ينقل الطهراني عن أحدهم قوله: التقيت بالشيخ الأصفهاني في النجف عند مدخل سوق الحويش منحنيا إلى الأرض ليجمع كمية من البصل وتبين أنه كان قد اشترى ذلك البصل وحيث لم يعطه البائع كيسا فقد حمله في ذيل عباءته، لكنه أفلت منه لاحقا فقمت بمساعدته في جمعه لكنّي لاحظته يضحك أثناء ذلك فقلت له: إن جمع البصل ليس مضحكا إلى هذا الحد.

فأجاب:إني أضحك لأني تذكرت حادثة، إذ أوائل ورودي النجف كنت مشغولا في إحدى المرات بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في الحرم، إذ انفرطت سبحة في يدي

---

(١) الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله

وتناثرت حباتها إلى الأرض، فلم أنحني وقتها لالتقاطها أنفة وكبرياءً وللغنى الذي كنت أتمتع به، رغم أنها كانت غالية الثمن جدا، بينما الآن تراني أنحني لما ترى فشكراً لله.

هذا والمعروف أنه رحمه الله كان صاحب ثروة كبيرة ورثها من أبيه، فأنفقها كلها على طلاب العلم، وعندما توفي كان مدينا بمبالغ كبيرة.]

الأكابر من وعاظ المنبر الحسيني

ينقل أحد الأشخاص عن أحد السادة من العلماء ـ والذي كان الميرزا النائيني ظاهراً قد أمر بالحضور تحت منبره ـ قوله: عجباً من طيب هذه الرائحة التي تنبعث من هؤلاء العلماء، ولكن لا أدري لماذا لا يأخذون رائحتهم معهم عندما يذهبون إلى إيران؟!

لقد كانوا وعّاظاً نادرين، ومن هؤلاء الميرزا هادي رحمه الله الذي أدرك ابتلاءات المرجعيّة فلم يقبلها، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا يأمره بارتقاء المنبر لوعظ الناس وإرشادهم. وأنا لم أدرك زمانه ولكنّه كان معروفاً جداً، وكان ذا مهارة عجيبة في التاريخ، وخاصة في المقاتل والاختلافات الموجودة بينها. يقول أحد أصحاب المنبر في طهران: لم أرَ في العالم مثل خطابة الميرزا هادي.

فأين ذهب أمثاله وأمثال الشيخ جعفر الشوشتري رحمه الله؟

من أحوال الشيخ مرتضى الطالقاني

لقد عمّر الشيخ مرتضى الطالقاني ٩٠ عاماً تقريباً، وكان يسكن في مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله في النجف الأشرف، وعندما جيء له بحمالة لنقله إلى أحد

المنازل للعلاج بعد اشتداد مرضه قال: «قُضِي الأمر، غداً يُخبَرُ بوفاتي».

فذهبت إليه صباحاً فوجدته كالعروس في حجلتها، وقد تمدّد باتجاه القبلة وتوفّي وقد ظل عازباً طيلة عمره، وكان يقول: ليس عندي إعراض عن سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وقد كان من أصحاب الكرامات.

سؤال: كيف كانت فضيلته العلمية؟

الجواب: لقد كان جامعاً.

سؤال: هل له كتاب في الأخلاق؟

الجواب: لا أدري، ولكنّه درس البحث الخارج في المعقول والمنقول، وكان يدّرس كل ما يطلب منه إذا سمح وقته بذلك فلا يرد أحداً.

من نوادر السيد بحر العلوم (رحمه الله)

دخل المرحوم السيّد بحر العلوم في مكّة مكتبة أحد القضاة السنّة وقال له: ما الذي تحتويه هذه المكتبة من كتب؟ فأجابه: ﴿**فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ**﴾[2].

فسأله السيد: هل يوجد عندكم الكتاب الفلاني؟ فقال: لا.

وهكذا كرّر الطلب إلى سبعة كتب ليردّ على كلامه [في ادعائه إحاطة مكتبته] وصاحب المكتبة يقول له: لا يوجد عندي، ثم طلب منه كتاباً فجاءه به.

فأخذ السيّد الكتاب وقلّب عدّة أوراق ثم وضع علامة، ثم قلّب أوراقاً أُخرى ووضع علامة أُخرى، وهكذا إلى آخر الكتاب وكأنّه كان يحيط علماً بجميع محتويات

---

(١) إشارة إلى الحديث المعروف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من رغب عن سنّتي فليس منّي، وإنّ من سنّتي النكاح**» عوالي اللآلئ ٢٨٣/٣.

(٢) الزخرف: ٧١.

الكتاب.

وعندما ذهب السيّد فتح ذلك الشخص الكتاب، وقرأ الأوراق التي وضع السيّد علاماته عليها، فوجد فيها الروايات والنصوص التي تدل على خلافة الإمام علي عليه السلام [للنبي صلى الله عليه وآله مباشرة].

وكانت النتيجة أنه عندما أدركت الوفاة ذلك القاضي السنّي أوصى أن يغسّله السيّد بحر العلوم رحمه الله، مما يعني أنّه يريد أن يغسَّل على مذهب السيد ومسلكه، ومن هنا يعلم أنّه كان قد استبصر واعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

كرامة العلم

وقف الشيخ عبد الحسين الطهراني رحمه الله في وسط مسجد المتوكّل في سامراء وقال: احفروا في هذا المكان، فظهرت صخور من المرمر غالية الثمن، فأمر بنصبها في حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام.

وقال في يوم من الأيام أيضاً: إنّ الأرض المجاورة للمدينة الفلانية والأرض الموجودة في المكان الفلاني تحتويان على كنز.

ورأى عالم آخر جماعة يحفرون في بستان فقال لهم: إنّ الكنز الذي يبحثون عنه لم يدفن هنا، بل هو في ذلك المكان ومقداره كذا.

وطبعاً فإني لا أقصد من ذكر هذه الأمور جانبها الدنيوي، بل مقصودي هو بيان عظمة مقام العلم وأنّ «**العلماء ورثة الأنبياء**»(١).

(١) الكافي ٣٢/١و٢٤،وسائل الشيعة ٧٨/٢٧، مستدرك الوسائل ٢٩٩/١٧، بحار الأنوار ١٦٤/١، ٩٢/٢و١٥١ الاختصاص: ٤، أمالي الصدوق: ٦٠، بصائر الدرجات: ١٠و١١، ثواب الأعمال: ١٣١، الدعوات: ٦٣. روضة الواعظين ٨/١، عوالي اللآلئ ٣٥٨/١، ٣٤١/٢، ٧٤/٤، متشابه القرآن ١/ ٢٥٠، منية المريد: ١٠٧ ⬅

فما الذي حدث حتّى صرنا فقراء إلى هذا الحد؟!

بين ناصر الدين شاه وحاكم الهند

كتب الآغاخان المحلاّتي من الهند إلى ناصر الدين شاه قائلاً: إذا كنت ترغب في توثيق العلاقات بيننا وبين إيران، فإنيّ سأسمح بفتح أبواب الهند لتزدهر التجارة بين الطرفين، وتكون الهند لكم.

فكتب ناصر الدين شاه في جوابه: حتى لو أعطيتني الهند بأجمعها فلن أسمح بغير المذهب الجعفري في إيران.

الملائكة أصدق إنباءً!

سافر المرحوم السيّد أبو طالب أحد علماء مدينة «أراك» إلى مكّة وبعد مدّة وصل خبر وفاته إلى أهل أراك، فأقاموا مجالس الفاتحة والعزاء لأجل وفاته وغطّى السواد جدران مساجد «أراك» وتكاياها. فجاء شخص إلى السيّد نور ـ وهو الذي قال له أُستاذه المرحوم النراقي[1]: المجتهدون هم الشهيد الأول وأنا وأنت فقط ـ وأخبره بوفاة السيّد ابي طالب، فوضع السيد نور يده على جبهته وأطرق برأسه إلى الأرض وقال بعد تأمّل قليل: كلا لم يمت. فقالوا له: ماذا تقول؟! إنّ خبر وفاته مؤكد وقد لبست المدينة بأسرها السواد حزناً لذلك، وأقام الناس له مجالس الفاتحة والعزاء. فأطرق برأسه ثانياً إلى الأرض وتأمل قليلاً ثم رفع رأسه وقال: لم يمت. فقيل له: من أين لك خبر ذلك؟ فقال: عندما يموت أحد العظماء ويرحل من الدنيا يقوم ملاك بنشر خبر وفاته في جميع



و١١٢ و ٣٧٢.

(١) أحمد بن مهدي النراقي (١١٨٥ـ ١٢٤٥) صاحب «الخزائن» و«معراج السعادة».

الأنحاء بحيث يسمع صوته، وأنا الآن لا أسمع صوت هذا الملاك، ولم يصدر خبر أو صوت لحد الآن.

ونحن لو سرنا على خطى العلماء لما نزل بلاء كهذا على رؤوسنا، أو أنه إذا نزل نكون مثل ميثم حيث كان يزداد إيماناً كلّما اشتدّ عليه البلاء ولم يتخلَّ عن الولاية، ولم يرض بأن يبقى حيّاً، ويستعمل التقية لأجل ذلك. ولقد كانت بلاد الشيعة مليئة بأمثال هؤلاء العلماء، فهل كنا جاحدين لأقدارهم حتى ارتحلوا من بيننا من غير بديل خلّفوه لنا؟! ولعلّه لم يكن في عصرهم من يتعرض لهم بمسألة فقد كانوا كتومين وغير معروفين إلى هذه الدرجة!

قراءة الآخوند ملاّ فتح علي الرسالة في جيب حاملها

كتب مجموعة من علماء أصفهان رسالة إلى المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير تتضمن شكوى من أهالي أصفهان أو من بعض علمائها ـ التردّد منّي ـ حيث لم يتجاوبوا كثيراً مع فتوى تحريم التنباكو، ويمرَّ حامل الرسالة على المرحوم الآخوند ملاّ فتح علي زائراً والرسالة في جيبه، فيقوم الملاّ بقراءتها من أولها إلى آخرها وهي في جيب حاملها من غير أن يفتحها!

أين ذهب جميع هؤلاء العلماء من أهل الكرامات والمقامات العلمية والعمليّة لا إلى بدل يحلّ محلّهم، وطُوي بساطهم من بين الناس وبقي مكانهم خالياً؟!

بعد ذلك يطلب حامل الرسالة واسمه الحاج منير من الملاّ أن يعلمه عملاً [عبادياً يلتزم به] فيمتنع [الملاّ في البداية] ويقول له [مجاملاً]: أنت بحر موّاج، إلى أن يقول له [أخيرا] بعد الإصرار والالتماس: واظب على ثلاثة أمور ـ وكان نفس الملاّ أيضاً يواظب عليها ـ:

١ـ قراءة زيارة عاشوراء في كل يوم.

٢ـ قراءة صلاة الوحشة في كل ليلة لأموات المؤمنين والمؤمنات في أي بقعة تُوفوا.

٣ـ عدم ترك صلاة أول الشهر.

أين ﴿بسم الله..﴾ من ﴿ولا الضالّين﴾...

نُقل أنّ المرحوم الشيخ الأنصاري رأى يوماً في أثناء درسه أحد تلامذته ـ الذي كان يواظب على الحضور ولكنّه لا يستوعب الدرس ـ وقد فهم المطالب العلمية التي عرضها أثناء الدرس، بل وأخذ أحيانا يعترض عليه في بعضها. وبعد انتهاء الدرس مرَّ الشيخ الأنصاري من جانبه وقال له: إنّ الشخص الذي قرأ في أُذنك «بسم الله» قد أتمَّ في أُذني تلاوة الحمد إلى آخرها[1]!

حفظ القرآن برعاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

يقول أحد الشباب: قرأ أمير المؤمنين عليه السلام في أُذني عدّة كلمات ولم أعرف ما الذي قاله، ولكنّي وجدت نفسي بعدها وقد حفظت جميع القرآن!

---

(١) إن سماحة الشيخ دام ظله وعلى طريقته المعتادة يذكر القصة باختصار شديد فاحتاج الأمر إلى زيادة توضيح، وإجمال القصة أن هذا الطالب بعد دعاء وتوسل إلى الله تعالى شاكيا من عجزه عن الفهم جاءه شخص وهمس في أُذنه بالبسملة ـ وربما نقل أنه قال له قل بسم الله الرحمن الرحيم ـ وعندما رأى الشيخ الأنصاري رحمه الله التغير الذي طرأ على هذا الطالب إلى درجة أخذ يكثر من الاعتراض على أُستاده ويضايقه في الدرس اقترب منه بعد الدرس وقال له: إن الذي همس في أُذنك «بسم الله» قد أوصلني إلى «ولا الضالين».

كرامات السلف

عندما نراجع كتب تراجم علماء السلف نرى أنّ كثيراً من بينهم كان من أصحاب الكرامات والمعنويات، فكانوا أصحاب كرامة في الأمور العلمية إلى جانب الكرامة في الأمور العملية والعبودية أيضاً، والجمع بين هذين الأمرين كرامة أيضاً.

اصطحب أحد الأشخاص ولده الأعمى إلى المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري[١] لكي يقرأ عليه سورة الحمد بقصد شفائه، فقال له الشيخ رحمه الله: نحن الشباب ليس لنا حالة ونفس الشيوخ، اذهب به إلى والدي.

فذهب الرجل بولده إلى والد الشيخ جعفر الذي وضع يده على عيني الطفل وأخذ يقرأ سورة الفاتحة، وما إن قرأ قليلاً منها حتى صاح الطفل: بابا إني أبصر من بين أصابع الشيخ، وعندما انتهى من قراءة سورة الحمد كان الطفل يبصر كل شيء وكل مكان بشكل كامل!

..ومن كرامات المرحوم السيّد بحر العلوم أيضاً

عندما كان السيّد بحر العلوم رحمه الله[٢] مقيماً في مكّة كان يعيش حياة أهل الوجاهة والشرف، فكان له مضافة ونفقات، وكانت له زعامة واعتبار وموقع لدى الناس.

يقول له الخادم في أحد الأيام: لقد نفد ما لدينا من نفقة.

---

(١) هو العالم الكبير الشيخ جعفر شرف الدين بن محمد باقر (حدوداً ١٢٥٠- ١٣٣٥) صاحب تأليفات عديدة منها كتاب «الخصائص الحسينّية» وهو من عظماء المنبر الحسيني ومن أفضلهم تحقيقا ودقة في السير الحسينية.

(٢) العارف والفقيه الكبير محمد بن مرتضى الطباطبائي النجفي (؟ - ١٢١٢) صاحب تأليفات عديدة منها رسالة في السيرة والسلوك.

فأعطاه السيّد رسالة تشبه أن تكون حوالة مالية، وأرسله إلى عنوان خلف «الصفا» حيث يقع دكان أحد التجار في سوق صغير. فأخذها التاجر بكل احترام ثم أعطى للخادم مبلغاً كبيراً من المال. وطفق الخادم ينفق منه على نحو ما سبق، وبعد مدّة ذهب الخادم إلى نفس العنوان السابق لرؤية ذلك التاجر، ولكنّه لم يجد سوقاً ولا متجراً خلف «الصفا»، رغم أن المال الذي قبضه من التاجر كان ما زال لديه ينفق منه.

الشيخ الأنصاري يُخبر عن استجابة دعائه

زار المرحوم الشيخ الأنصاري المرحوم السيّد علي الدزفولي في مرضه، فطلب السيّد من الشيخ رحمه الله أن يصلّي عليه بعد وفاته، فأجابه الشيخ: لقد طلبت من الله عز وجل أن تصلّي أنت عليَّ بعد وفاتي وقد استجاب الله دعائي! وهكذا حدث بالفعل حيث توفّي الشيخ وصلّى عليه السيّد.

وقد أخبر السيّد ابن طاووس[1] في إحدى المناسبات أيضاً بأنّ دعاءه سيستجاب بعد ثلاثة أيام من حينه[2].

حالات السيّد حسين الفاطمي (رحمه الله) عند وفاته

كان السيّد حسين الفاطمي رحمه الله[3] يقول حول موته: لي حاجتان عند الله: الأولى أن

(١) العالم الربّاني رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى الداودي الحسني بن طاووس الحلّي (٥٨٩ ـ ٦٦٤) صاحب تأليفات متعدّدة منها: إقبال الأعمال، فلاح السائل.

(٢) نقل الأستاذ ـ مدّ ظلّه ـ هذه القصّة في مناسبة أُخرى قائلاً: دعا السيّد ابن طاووس في حرم أمير المؤمنين عليه السلام على أحد الظلمة الذي كان يظلم الشيعة في النجف وقال: إنّه سيموت بعد ثلاثة أيام وكان الأمر كما قال السيد رحمه الله.

(٣) من تلامذة العارف الكبير الميرزا جواد الملكي التبريزي حفظه الله.

أرحل عن هذه الدنيا بحالة مناسبة، والثانية أن تظل لي هذه الحالة المناسبة إلى النهاية.

وهكذا كان فقد كان يكرّر عند وفاته قول: أما صلاتي فقد أديتها وأما عشائي فقد تناولته، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً يقول: «من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنّة»(١).

ثم هلّل مرّات عديدة، ثمّ كرّر قوله ثانية، ثم قال: ماذا ننتظر مع هذه الحالة الحسنة، أو قال: ماذا ينتظرون؟ ورحل عن الدنيا بهذه الحالة، وهنيئاً لمن يرحل عن الدنيا بحالة حسنة، ثم يستقبل في الآخرة بنحو جيّد.

بين مداد العلماء ودماء الشهداء

يقول الشيخ الأنصاري رحمه الله(٢) في موضع من كتابه الرسائل: «**رزقنا الله الاجتهاد الذي هو أشقّ من طول المكث في الجهاد**»(٣).

نعم، إنّ من يفهم معنى «**مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء**»(٤) هو الذي يفهم [ويدرك] أنّ الاجتهاد أشق وأصعب من الجهاد.

من نوادر الآخوند الخراساني في الكرم والإنفاق

لقد رأينا وسمعنا عن بعض الأشخاص[العلماء] ممن كانوا يثيرون العجب في الإنفاق. فقد طرق سائل يوماً باب المرحوم الآخوند الخراساني طلباً للمساعدة، ولم

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١٣٢/١، وسائل الشيعة ٤٥٥/٢ و٤٥٦.

(٢) الفقيه والأصولي الكبير، العالم الرباني مرتضى بن محمد أمين الدزفولي النجفي (١٢١٤ـ ١٢٨١) صاحب تأليفات كثيرة في الفقه والأصول، منها كتاب «المكاسب» و«الرسائل».

(٣) راجع: فرائد الأصول: ٤٩٣.

(٤) راجع: من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٨، بحار الأنوار ٢: ١٤، ٧: ٢٢٦، أمالي الصدوق: ١٦٨.

يكن الآخوند حينها يملك شيئاً، فجمع السجادة المفروشة في غرفته وأعطاها السائل ثم قال له: انصرف بسرعة لئلا يراك مهدي[١].

كرامة للشيخ عبد الكريم الحائري

من كرامات المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري أن فاض نهر قم في إحدى السنين وطغى فيه الماء بسبب الأمطار الغزيرة، وارتفع مستوى الماء إلى حافة جسر «علي خاني»، بحيث أنّ البعض كانوا يتوضأون من مياه النهر وهم على الجسر، ولهذا سارع خدّام مسجد الإمام [الواقع قريباً من النهر] إلى جمع سجّاد المسجد حذراً من وصول الماء إليها. وعندها ذهب الشيخ عبد الكريم الحائري إلى الجسر المذكور وأخذ مقداراً من تربة سيّد الشهداء عليه السلام بيده وقرأ عليها شيئاً ثم رماها في الماء، فأخذ مستوى المياه ينخفض بالتدريج من ذلك الوقت، وبعد عدّة ساعات انخفض مستوى الماء عدّة أمتار.

ونحن لا نملك إيمان أهل الإيمان ولا يقين أهل اليقين، فنلجأ إلى أمريكا وروسيا ونعتمد عليهما، و كأنّهما هما اللتان ستنقذانا من المشاكل التي نقع فيها، إن هؤلاء كلاب وذئاب لا ينامون بطمأنينة خوفاً من بعضهم.

ولقد كان علماؤنا من ذوي المقامات العلمية العالية، وكانوا أيضاً في مقام العمل من أهل العبادات فكم كانت صلاتهم عجيبة.

وإنّنا لنقول لأنفسنا: مع أنّك قد رأيتهم فلماذا أنت على هذه الحال؟ فكم كانت حالاتهم حسنة وجيدة، وكم هي حالتنا سيئة وتعيسة؟!

---

(١) مهدي هو ابن المرحوم الآخوند الخراساني.

عندما يصير المعروف منكراً

يقول أحد العلماء عن عصر رضا شاه البهلوي الذي بدّل المعروف منكراً: قال أحد خدّام حرم الإمام الرضا عليه السلام لإحدى النساء التي كانت ترتدي الحجاب: لماذا غطّيت شعرك بالحجاب، ألا تخجلين من الإمام الرضا وقد وضعت الحجاب على رأسك؟!

عظمة السيّد ابن طاووس (رحمه الله) في التعبديّات والأدعية

لقد كان المرحوم السيّد ابن طاووس رحمه الله من ذخائر الشيعة في التعبديّات والأدعية وقد كتب في كتابه «كشف المحجّة»: لقد جعلت يوم بلوغي عيداً[١].

وقال في كتاب «إقبال الأعمال» ضمن أعمال شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني بشكل صريح[٢] إنه قام بإنشاء بعض الأدعية، كما ذكر كثيراً من الأدعية أيضاً دون تصريح بإنشائه لها، مما له سنخيّة مع الأدعية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام و التي تفوق على كلام غير المعصومين من ناحية علوّ مضامينها.

الأردكاني وتقبيل اليد

كان المرحوم الآخوند فاضل الأردكاني يعارض تقبيل اليد بشدة، فجاءه سيّد يوماً وقال له: لقد أوصاني أحدهم أن أقبّل يدك نيابة عنه.

فأغلظ القول له ولمن أوصاه بذلك وتأذّى جداً، وعندما سكن غضبه قال: يا إلهي

(١) يقول المرحوم ابن طاووس أنّه اتخذ يوم بلوغه عيداً لأنه اليوم الذي تشرف فيه بأن صار محلا للخطاب الإلهي ومشمولاً للتكاليف الربانية. وهذا شرف ونعمة يستحقان أن يحتفل بهما وإنمّا ينالهما الإنسان يوم بلوغه وتكليفه. «المترجم».

(٢) ومن جملتها ما صرّح به في الموردين التاليين بإنشاء الدعاء، انظر إقبال الأعمال: ١١٥، ٣٠٥.

لقد آذيت ذرية النبي صلى الله عليه وآله وأحزنت قلوبهم، ثم مدّ يده وقال: يجب تقبيل يد من لم يرتكب معصية[١].

وإذا قُدِّر أن يُجمع ما صدر منه من تأنيب وشدة في الكلام في حق الآخرين ـ والذي كان واقعاً في محلّه وأرفع شأناً من الموعظة ـ لكان كتاباً في الكرامة والأخلاق.

من خزعبلات البابية والبهائية

حاول بعض البابية والبهائية تقليد القرآن عندما تحدّى أن يأتي أحد بمثله فقال: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**[٢] فادّعوا من فوق المنبر أنّ أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثل الإيقان[٣]، وأنّه لو اجتمعت الجنّ والإنس وأهل السماء والأرض وكل ما فيهما ولو تضاعفوا سبع مرّات فلن يستطيعوا أن يأتوا بنصف حرف من حروف الإيقان!

أي خزعبلات هذه! إنّ مثل هذا الاستحمار طريقه سهل، ومبدأ طلوعه من المال والذهب!

وكذلك قالوا في موضعٍ آخر:

يمكن أن نستنتج من حديث «**حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة**»[٤] بضميمة حديث: «**من مات فقد قامت قيامته**»[١] أنّ حلال

---

(١) أي يد المعصوم عليه السلام.

(٢) الإسراء: ٨٨

(٣) الكتاب المقدّس المزعوم للبهائية.

(٤) بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٥، ٨٦ / ١٤٨.

محمدﷺ وحرامه قد ذهب مع موته الذي كان فيه قيام قيامته!

وحشية الشيوعيين في منطقة القفقاز

أخذ الروس في أوائل وصولهم إلى السلطة يجوبون الشوارع والأسواق جماعات في منطقة القفقاز التي يقطنها الأكثرية من المسلمين وربما من الشيعة، وهم يرفعون صور لينين ويهتفون: «هذا الشخص أفضل من النبيﷺ» نعوذ بالله!

وكان في تلك المنطقة ثمة عالم جليل ومهم جداً ـ ويقول القفقازيون: إنّه كان نظير السيّد أبي الحسن الأصفهاني ـ فصعد المنبر وقال: نعم إنّ لينين رجل عاقل، ولكنّه لا يساوي نعل النبيّﷺ.

فما كان من أولئك الحيوانات [الشيوعيين] إلا أن قاموا بقتله بشكل [وحشي] مفجع في نفس مدينة «باكو»، وإن الإنسان لا [يتوقع أن] يرى مثل هذه الوحشية حتى في المنام.

مع أبي الفضل (عليه السلام)

جاء في كتاب دار السلام أنّه كان لأحد طلاب العلوم الدينية ثلاث حاجات وكان يواظب على زيارة أبي الفضل العباس في فترة مديدة [متوسلاً به لقضاء هذه الحوائج] وفي أحد الأيام وبينما كان واقفاً وبكل أدب مقابل الضريح ومشغولاً بقراءة الزيارة جاءت مجموعة من النساء القرويات من بدو العرب، حافيات الأقدام، وقد حملن طفلاً مشلولاً فدخلن الحرم وطِفْنَ حول الضريح دورة وهن يهلهلن ثم خرجن



(١) بحار الأنوار: ٥٨ / ٧، ٧٠ / ٦٧، تذكرة الموضوعات: ٢١٥، كشف الخفاء: ٢ / ٢٧٩.

من الحرم وقد شفي مريضهن.

وعندما رأى ذلك الطالب هذا المنظر اقترب من الضريح وخاطب أبا الفضل العباس قائلاً: لقد واظبت على زيارتك عدّة سنوات دون أن تقضي لي حوائجي ولكنّك سرعان ما قضيت حاجة هذه النساء القرويات بهذا النحو. وخرج من الحرم غاضباً مصمماً على عدم العودة لزيارته ثانية.

ثم توجه إلى النجف ليحلّ في نزلٍ للمسافرين، وهناك يأتي من يقول له: إنّ خادم الشيخ الأنصاري رحمه الله قد جاء وسأل عنك عدّة مرّات. فذهب إلى الشيخ الأنصاري الذي قال له: لا تتأثر من أبي الفضل وتقاطعه، ولا تنظر إلى هؤلاء [البدو] العرب فإنهّم قد اعتادوا على ذلك. تريد الحج فهذه نيابة للحج، تريد داراً فسوف تُهيَّأ لك الدار التي تعجبك، وتريد زوجه فسيتم لك ذلك.

احتملوا جود أمثال هؤلاء العلماء من أصحاب الكرامات [أي مثل الشيخ الأنصاري رحمه الله] في هذا الوقت أيضاً؛ لأنّه «لا تخلو الأرض من حجّة لله [حجّة لك]»[1].

وطبعاً هناك من يتيقّن ذلك ويؤمن به أكثر من مجرد احتمال. ونسأل الله أن نمتلك يقيناً بدرجة لا نتزلزل معها، يقول الله سبحانه وتعالى على لسان أصحاب موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[2]، أي أنّنا هالكون، ولكن موسى عليه السلام قال: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[3] أي أنّ سندي وملجأي قوي وثابت كالجبل؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾[4] أي أنّ الذي وعدنا بالنصر مازال معنا، فهو ليس

(١) الاحتجاج ٤٩/٢، بحار الأنوار ٢٠/٢٣، ٣٨٦/٣٦.

(٢) الشعراء: ٦١.

(٣) الشعراء: ٦٢.

(٤) الشعراء: ١٥.

ممن يتركنا في منتصف الطريق.

الإشارة إلى مقامات السيّد أبي الحسن الأصفهاني وأحد معاصريه

أتذكر عندما كنت في النجف الأشرف كان السيّد أبو الحسن الأصفهاني ملتزماً بعمل أم داود مع الصيام، و كان مستمراً على ذلك إلى حين مغادرتنا النجف حسبما أذكر. والله يعلم ما هي المقامات التي وصل إليها هذا العالم الجليل، وقد قيل في وصفه:

عِش يا أبا حسنٍ على رغم العدى ملك الزمان وآية الرحمنِ

ولم يترك هذا العالم الجليل عمل أم داود[1] والاعتكاف في مسجد الكوفة إلى سنوات الشيخوخة، بالرغم من مقاماته الدينية وزعامته العامة وتصدّيه للمرجعية للإجابة عن الاستفتاءات وصرف الأموال والحقوق الشرعية في مواردها.

فهل نحن نشبه هؤلاء في شيء؟! إنّ مثل هذه الأمور تحتاج إلى صلابة مميزة، لكن نحن في أيِّ وادٍ؟!

إن همّنا [منحصر] في المادّيات والدنيا، ولهذا لم نصل إلى أي مقام.

وكان هناك عالم آخر من معاصري السيّد أبي الحسن الأصفهاني قد أخذ مفتاح «مسجد الهندي» وطفق يحيي فيه الليالي بالعبادة، فأيّ بشرٍ هؤلاء! فلقد تفانوا في العبادات و العمل إلى جانب بذل غاية الجهد والإنتاج في العلم والدرس والبحث فوصلوا.

ويكفي في جدّية السيد أبي الحسن الأصفهاني واستغراقه في العمل العلمي أنه يبدو كأنه كان يستحضر دورة فقهية كاملة [ويحفظها في ذهنه]، ولقد رأيناه بأنفسنا كيف كان يلقي دروسه من غير مطالعة مسبقة. فقد اتفق أنّه لم يتذكر هو ولا طلابه في

---

(١) راجع: إقبال الأعمال:٦٥٨.

بداية العام الدراسي الجديد المسألة التي انتهى إليها البحث في العام المنصرم، فبدأ درسه في البحث الخارج الفقهي من مسألة اختارها عشوائياً [بعد مشورة مع طلابه] وأتمّها إلى آخرها، وكأنّه كان قد أعدّ البحث حولها وطالعه قبل إلقائه.

الإمداد الغيبي

كنّا في إحدى المناسبات مجموعة من الأشخاص، وأراد البعض أخذنا بالسيارة من البيت أو المسجد، وكنت راغباً بالذهاب معهم، ولكن ما إن أردت الصعود معهم بالسيارة، أحسست أنّ ملكاً يمنعني من ذلك، ولا يدعني أصعد.

نعم، نحن بحاجة أكثر من ذلك، إلى إرشاد الملك وهدايته من أجل الحفظ من ارتكاب المعاصي. وهو البلاء الذي كثيراً ما نكون مبتلين به إلى يوم القيامة.

الدنيا بيت العبرة، ومهما شاهدنا من أمور نعلّل أنفسنا باحتمال كوننا مستثنين من ذلك، واحتمال عدم تكرر هذا الأمر معنا[1].

سرّ جاذبية علماء النجف

كان هناك رجل أسود يعمل في خدمة أحد الأشخاص في بغداد ثم تركه و ذهب إلى النجف عند أساتذة الأخلاق فيها، وعندما رجع إلى بغداد ـ أو عندما التقى مع ذلك الشخص ـ قال له: ماذا رأيت من علماء النجف وماذا عندهم حتى تركتنا؟

فأجاب الرجل الأسود: لقد رأيت فيهم من إذا وضعت العقرب على يده لا تلدغه.

---

(١) كأنّ مقصوده حفظه الله أنّنا مهما شاهدنا من انحراف وتردي أحوال ومعاصي من أشخاص وربما كانت بداياتهم حسنة فإننا لا نتعظ من ذلك، ولا يكون انحرافهم مدعاة لنا لان نهتم بمراقبة أنفسنا أكثر بل نعلّل أنفسنا بأنّ ما حصل معهم ربما لن يحصل معنا، وكأننا نملك مزايا تجعلنا مستثنين مما أصابهم من زلل. (المترجم).

فقال: وهل إذا وضعنا العقرب في يدك لا تلدغك؟

قال: من المحتمل ذلك.

فأمر ذلك الشخص أن يؤتى بعقرب بنّية أو سوداء ذات سبعة أنياب و وضعت على يد الخادم الأسود، لكن العقرب أخذت تمشي على يده صعوداً ونزولاً دون أي أثر.

وكرامات الإنسان أكثر من هذا، يقول القرآن على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[2]. وكل ذلك بإذن الله تعالى.

والله يعلم مدى الآثار و المنافع الوجودية للإنسان وحدودها. نسأل الله أن يوجد فينا حرارة باطنية وأُنساً باطنياً بالقرآن والدين ومقدّمات التدين ولوازمه، وأن يكون الكتاب والعترة كافيين لنا لتكون أحقيّة الدين يقينيّة لدينا، فنمتلك اليقين نحن أنفسنا كما تكون لدينا القابلية في أن نجعل الآخرين من أهل اليقين أيضاً.

الآخوند ملا فتح علي على فراش الموت

إن الملائكة قوتهم [وغذاؤهم] التسبيح[3]، ونحن لا نعرف الأنبياء والأولياء عليهم السلام ولا الملائكة ـ كما لا نعرف الله ـ؛ لأنّهم بعيدون عنّا جدّاً، ولكن ماذا تقولون بالنسبة للعلماء الذين نعيش بقربهم [ومعهم] ونشاهد أحوالهم عن قرب؟!

لقد جاؤا بطبيب إلى الآخوند ملاّ فتح علي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فقال لمن

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) آل عمران: ٤٩.

(٣) بحار الأنوار ٤١/٢٧، ٩٠/٥٤ و٣٣٢، ٢٤٩/٥٧.

حوله بصوت منخفض: لقد فات الأوان! فتناجى الحاضرون بينهم بشكل لا يتمكن معه الآخوندرَحِمَهُ‌الله من فهم ما يدور، ولكّنه قال لهم: قولوا ماذا قال الطبيب؟ إنّني أنتظر هذا الأمر [أي الموت] منذ ثلاثين عاماً.

السلوك الحسن مع المخالفين

كان أساتذتنا في سامراء يخالطون أهل السنّة، وكان بعض أهل السنّة يترددّ على علماء الشيعة.

يقول أحد الفضلاء: جاء إلى دارنا شخص من أهل السنة وقال: عندي بستان في القرية الفلانية فهل يجب عليَّ الإفطار حين السفر إليها؟

فقلت له: اذهب من الطريق الفلاني وارجع من الطريق الفلاني فلا يبطل صيامك [لعدم بلوغ المسافة الشرعية] فارتاح إلى ذلك رغم كونه سنّياً. وكان أحد أبناء السنّة كذلك يقول: إذا أردت أن أقلّد شعيا فإنّي أُقلّد العالم الفلاني...

وكأن السنّة قد رأوا سلوك علماء الشيعة الحسن ورأفتهم فمالوا إليهم.

سبّ وشتم الآخرين

طبعاً نحن لا نقول إنّنا يجب أن نلجأ إلى السبّ والشتم في سبيل إدخال الآخرين في طريق الحق؛ لأنّ نتيجة ذلك ستكون أسوأ، ولا مصلحة في ذلك. بل من المحتمل أن يتعمد البعض استدراجنا للسب والشتم. ولذا لا ينبغي لنا أن نقوم بذلك. بل علينا أن نتصرف كالسيد شرف الدينرَحِمَهُ‌الله إذ كان يعبّر عن بعض علمائهم بـ«الأستاذ» في مقابل سبّهم وشتمهم. نسأل الله تعالى أن يبصّرنا بالسياسة الدينية والسياسية المذهبية، وأن لا نتعامل مع الآخرين بالسب والشتم بلا مبرر.

شراء دم الشيعة

ذهب الشيخ عبد الحسين الطهرانيرحمه الله[1] مع مجموعة من الأشخاص لزيارة قبر عبد القادر الگيلاني في بغداد ـ والذي كان رشيد عالي الگيلاني مسؤولاً عنه ذلك الوقت، والمذكور من الشخصيات العراقية المعروفة ـ وجلسوا في شرفة قاعة الضريح فاستقبلهم الخادم وقام بضيافتهم وجلب لهم القهوة، فما كان من الشيخ عبد الحسين عند خروجه إلاّ أن أعطى الخادم مائة ليرة ذهبية، فاعترض عليه عدّة من مرافقيه قائلين: هذه أموال من؟ وإلى من أعطيتها؟

ولم يمض وقت طويل حتى جاء الخبر بالقبض على اثنين من الشيعة بتهمة سبّ الشيخين وحكموا عليهما بالإعدام، وفي هذه الأثناء كتب الشيخ الطهرانيرحمه الله كلمتين على ورقة سجائر وأرسلها إلى رشيد عالي، فأطلق سراحهما فوراً، وبعدها قال الشيخ الطهراني: إنّ تلك المائة ليرة كانت لشراء دم هذين الشخصين من الشيعة.

الإخبار عن وقت الوفاة

قال أحد مستنسخي الكتب: سوف أموت بعد نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة. فقالوا له: لكنك صحيح البدن! فقال: لا تأبهوا لذلك.

وأخيراً تحقق ما ذكره، وتمدّد الرجل ونام بعد نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة و انتقل إلى رحمة الله.

وقد سمعت اثنين أو ثلاثة من مشايخي يخبرون بوقت وفاتهم.

فقد قال أحدهم: إنه سيصل خبره في صباح الغد أو في الغد، لا أنّه غداً سأموت

---

(١) شيخ العراقين، عبد الحسين بن علي الحائري الطهراني (؟_١٢٨٦) صاحب مصباح النجاة و تأليفات أُخرى.

وقد توفّي في الليل.

وقال واحد أو اثنان آخران: يجب الرحيل وحان وقت الذهاب، ولم يطل الأمر فقد توفّي بعد أسبوع.

تواضع الشيخ رضا الهمداني (رحمه الله)

يقولون عن المرحوم رضا الهمداني: أنّه كان متواضعاً جداً مع ما وصل إليه من درجات علمية رفيعة، وقد سمعت من بعض تلاميذه يقول: لقد كان متواضعاً جداً مع علماء عصره.

وقد قال شيخ الشريعة الأصفهاني عند تشييع جنازته: الآن نقول: إنّه كان أفقه أهل زمانه.

أي نعترف الآن بعد وفاته حيث لا يوجد أي مانع من إظهار أعلميته على معاصريه بأنّه كان أفقههم وأعلمهم. لقد ظهر علم وفضل الشيخ رضا الهمداني رحمه الله بعد وفاته.

قبول سهم الإمام (عليه السلام)

يقول أحد العلماء: كنت جالساً في غرفة في سامراء عند اثنين من العلماء إذ جاء زائر وقال لهما: لديَّ مبلغ مائة وخمسين توماناً من سهم الإمام عليه السلام وأريد تقديمه لكما فلم يقبل أي من هذين العالمين المعروفين استلام المال، فذهب هذا الزائر إلى عالم ثالث وأصرّ على تسلّم هذا المبلغ منه، وكان ينبغي عليه بحسب القاعدة رفض استلامه ولكنّه استلمه وقال: لقد أخذت هذا المبلغ ولا أعرف ماذا أعمل به ولماذا أخذته؟ إلى أن رأيت مجموعة من الزوّار في الفندق فأنفقت جميع ذلك المال عليهم لأنّهم كانوا أهلاً لذلك، وأخيراً أدركت أنّي كنت واسطة لا أكثر في استلام ذلك المبلغ وإنفاقه

على هؤلاء الزوّار.

يريد البعض أن يروا أشياء جديدة باستمرار دون أن يلتفتوا إلى أننا لا ينقصنا شيء وأنّ كل شيء موجود عندنا.

يجب أن نعلم أنّ كل واحد منّا بينه وبين الهدف الأعلى والمقصد الأقصى مسافة، وهذه المسافة مختلفة باختلاف الأفراد، وكل شخص له مسافة معيّنة بينه وبين مقصده، ولهذا يجب علينا أن نسعى أن لا نزيد في تلك المسافة وأن لا نجعل حملنا أبهظ وأثقل. والذنوب توجب ثقل الحمل وبُعد المسافة إلى المقصد، حيث سنحتاج إلى كثير من الاستغفار والسعي للرجوع إلى محلّنا الأول.

إنّ ملاحظة هذا المطلب مهمة جداً حيث يمكن بواسطتها أن تنفتح طرق السعادة أمامنا.

الأفضل من السيّد بحر العلوم

نقل المرحوم النوري في آخر كتابه «مستدرك الوسائل» عن السيّد محمد باقر ابن أخت المرحوم العلّامة بحر العلوم رحمه الله أنّه قال: «لقد رأيت في المنام في صحيفة الشيعة من هو أفضل اعتقاداً من الخال المعظّم».

وقد أخبر كذلك أمير المؤمنين عليه السلام في عالم الرؤيا السيّد محمد باقر عن الوباء أو الطاعون الذي سيحلّ بأهل النجف، وأنّه سيصلّي عليهم جميعاً، ثم قال له: «وأنت خاتمتهم يا ولدي»، وهكذا حدث بالفعل، حيث مات الناس فوجاً فوجاً، حتى توفي منهم ما يقرب من العشرة آلاف شخص، وكان السيد محمد باقر رحمه الله يصلّي على أمواتهم جماعة جماعة من الصباح إلى الليل.

ونُقل أنّ شيخاً عجوزاً طلب من السيد محمد باقر أن يصلّي عليه وحده ولا يضمّ

إليه أمواتاً آخرين. وكان السيد محمد باقر آخر من ذهب من هؤلاء إلى الجنّة.

ونقلوا أيضاً أنّه قال عند احتضاره لأحد الحاضرين وكان جُنباً: اخرج فإنّ الملائكة لا تحضر في المكان الذي يوجد فيه جُنُب.

في سرداب سامراء أُلهمت ذلك

إذا كان علم الإنسان مطابقاً لإيمانه فهذا حسن جداً، ولقد كان العلماء السابقون لا يفصلون بين العلم والإيمان. قال المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير في قضية تحريم التنباكو: إنّ علّة هذا الحكم الذي حكمتُ به هو أنني زرت صاحب العصر عجّل الله فرجه الشريف في سرداب سامراء وهناك أُلهمت هذا الحكم.

فهل من الممكن أن تحصل هذه الإفاضة على شخص فاقد للصفات المعنوية فيؤمر بالذهاب إلى السرداب [ليتم أمره بهذا النحو]؟!

الإمام الرضا (عليه السلام) في استقباله

في السابق عندما كانت تنزل مصيبة أو بلاء على شخص أو جماعة كان الجميع يرى أنّ هذه المصيبة نازلة عليهم جميعاً، وكانوا يهتمون جميعاً أيضاً في سبيل زوال هذا البلاء بعقد مجالس الدعاء والختم، ولكن في العصر الحاضر يختلف الأمر فلا يعتبر الآخرون ما يُصاب به بعضهم من البلاء نازلاً بساحتهم ولا يُظهرون أي اهتمام في سبيل زواله.

يقول أحد الأشخاص: لدي ختم حسن جداً لزوال الابتلاءات عن الشيعة وهو الاشتغال بطلب علم فقه آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أعظم ختم وتوسّل بهم.

وفي زمان حكومة رضا بهلوي اعتقلوا ثمانية من العلماء واثنين أو ثلاثة من الخطباء وساقوهم إلى السجن، ولم يكن يعرف أحد ماذا سينزل عليهم من العذاب هناك، وبقوا ثلاثة أيام حيارى في السجن، وبينما كان الجميع يتضرّعون إلى الله تعالى بالبكاء والدعاء والتوسّل، يقول أحد هؤلاء: كان السيّد يونس الأردبيلي رحمه الله معنا في السجن أيضاً ولكن لم يبدُ عليه أي اضطراب بل كان يطالع كتاب الجواهر بهدوء واطمئنان خاطر.

وفي هذه الأثناء قال أحد السادة الحاضرين في المجلس: كنتُ في مشهد فرأيت ليلة في عالم الرؤيا الإمام الرضا عليه السلام قد جاء لاستقبال شخص، فظننت أنّي المقصود وفي الصباح رأيت جنازة المرحوم السيّد يونس رحمه الله قد جاؤوا بها إلى الصحن ودخلوا بها من نفس الباب الذي ذهب منه الإمام الرضا عليه السلام لاستقباله.



الفصل الثاني:

حوزويات

الحوزة العلمية بين الماضي والحاضر / حول العلم والعلماء / المرجعية والإفتاء وإدارة الحقوق الشرعية التبليغ / فوائد حول بعض الكتب / قصص ونوادر / توجيهات



فقه آل محمد (عليهم السلام) أفضل الأوراد

قال أحدهم لآخر: علّمني ختماً لرفع البلاء. فأجابه قائلاً: لدي ختم مجرّب، وهو فقه آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

التزموا وواظبوا على التعلّم والتعليم والتباحث والتذاكر في الفقه، فالله يعلم كم لها من آثار؟! إنّ لعلم الفقه آثاراً، ولكن ليس لمن يقصد من الاشتغال به أن يكون من أعوان الظلمة.

فهذا يختلف عمّن يطلب الفقه ليحقق في نفسه فعلية جميع الكلمالات الموجودة بالقوة في هذا العلم.

استخدام الكفار العلم لنيل أهدافهم المشؤومة

إنّ تدريس وتعليم البشر هو من الوظائف الخاصة بالأنبياء عليهم السلام، وعلم البشر من دون [توجيه] الوحي وتعليم الأنبياء عليهم السلام ضرره أكبر من نفعه. إنهم يتعلّمون ليصلوا بالسفن الفضائية إلى الكواكب، وماذا سيفعلون هناك، وما هو هدف ذهابهم؟ ليستعدّوا ويتّخذوا قواعد ضد أعدائهم ويجعلونهم في مرمى أفضل لصواريخهم.

إنهم لا يصرّحون بعزل العلماء وإبعادهم عن المجتمع لكنهم يتصرفون في العلم بنحو ويصنعون بواسطته أسلحة تقتل بصمت، يغتالون بها العلماء ويحرمون الناس من اتباعهم ليتمكنوا من السيطرة عليهم ومن اغتيال ثرواتهم بشكل أفضل.

النظر إلى وجه العالم عبادة

سؤال: هل الرواية القائلة: «النظر إلى وجه العالم عبادة»[1] [تفيد أنّ ذلك] لكونه يذكّر بالله؟

الجواب: نعم، فقد جاء في الرواية أنّه سُئل عيسى عليه السلام: يا روح الله من نجالس؟ فقال عليه السلام: «جالسوا من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله»[2].

وجاء أيضاً في رواية أُخرى: «النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة، والنظر في المصحف من غير قراءة عبادة، والنظر إلى وجه العالم عبادة والنظر إلى آل محمد عليهم السلام عبادة»[3].

وروى العامّة عن عائشة أنّ أبابكر أطال النظر إلى وجه علي عليه السلام، فقيل له: لم تُطيل النظر إلى وجهه؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة»[4].

الانتفاع بالعلم

من المؤسف أن نمرَّ من هذا السوق[5] ونخرج منه بالخسارة بدل الربح والانتفاع منه.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢٠٥/٢، وسائل الشيعة ٣١٢/١٢، ٢٦٤/١٣.

(٢) أصول الكافي ٤٩/١، بحار الأنوار ٢٠٣/١، ٣٣١/١٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢٠٥/٢. بحار الأنوار ٦٥/٩٦، وارجع أيضاً: وسائل الشيعة ٣١٢/١٢، ٢٦٤/١٣.

(٤) راجع: بحار الأنوار ٢٠٠/٣٨، الصراط المستقيم ٢٣/٣، العمدة: ٣٦٧ و٣٦٨، كشف اليقين: ٤٥٠.

(٥) المقصود سوق الدنيا، فقد جاء في رواية عن الإمام الهادي عليه السلام: «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون» بحار الأنوار ٣٣٦/٧٥، تحف العقول: ٤٨٣.

قال أحد الأصدقاء الحاضرين في أحد المجالس مرّة: إنّ ازدياد وسائل الحياة والشؤون الاقتصادية أدى إلى تأخر أهل العلم (رجال الدين).

فقال الأُستاذ ـ مدّ ظلّه ـ في **جوابه**: كثرة وسائل الحياة واختلاف الدرجات في شؤون الحياة الدنيوية، كانت موجودة في جميع العصور. وقد تهيأت الدنيا لإبراهيم وسليمان عليهما السلام.

فكثرة وسائل الحياة وأسباب الرفاه والراحة أو قلّتها ليس سبباً في صلاح الناس وفسادهم، كما أنّ امتلاكها ليس سبباً في الراحة الباطنية للإنسان، بل ينبغي حين الحكم بسعادة وشقاء الأشخاص لحاظ التقيّد بالعبادة والتوجّه وذكر الله. ولقد كان السيّد مهدي بحر العلوم رحمه الله صاحب كرامات ومقامات علمية وعملية، بالرغم من أنّه كان يعيش عيشة الوجهاء.

احترام العالم ولو كان كافراً

لو أدرك البشر منشأ سعادتهم وشقائهم، وعَلِمَوا مصدر نقصهم وكمالهم، لاتّبعوا الأنبياء عليهم السلام.

ولقد شيّع السيّد الرضي رحمه الله صابئياً[1] لفضله مع أنّه كان كافراً، ودافع العلاّمة الحلّي رحمه الله مرّة عن أبي حنيفة لفضله وقال: «هذه السخرية غير لائقة بأبي حنيفة»[2].

الرجوع في المسائل والشبهات إلى أهلها

إذا كان عندك إشكال وشبهة في الأمور الدينية أو العقائدية، فاذهب واسأل

(١) مرثية السيد الرضي في رثاء أبي إسحاق الصابئي: شرح نهج البلاغة ٢٣٤/٧.

(٢) مفتاح الكرامة ٥/ ١٤، جواهر الكلام ١٢/٧ نقلاً عن كتاب «منتهى المطلب» للعلاّمة الحلّي.

الجواب من أهله، حتى يرتفع الإشكال والشبهة. فقد يحصل للإنسان شبهة في أمر دينه، أو تُلقى عليه شبهة، ويظن أنّ لا جواب لها، ويقضي فيها من عند نفسه، دون الرجوع إلى أهلها، مستنتجاً بطلان الدين، وتوجه النقض عليه.

لماذا تخاف من أهل الدين وأهل العلم؟ ولا تذهب إليهم لتسألهم، ولا تخاف من نفس الشبهة التي قد تكون سبباً لهلاكك الدائم؟!

العالم هو العالم بالله لا المعمّم

المقصود من العالم هو العالم بالله والعالم الديني، لا المعمّم؛ لأنّ بين هذين الاثنين نسبة العموم من وجه. علينا أن نطلب من الله أن نكون في كل أمر من الأمور (الدينية أو الدنيوية) إمّا علماء أو متعلّمين أو محتاطين. فإن لم نكن علماء، فإمّا أن نرتبط بعالم أو نحتاط. وإلاّ فلنتوقع التردي والغرق في الشقاء. وأمّا إذا كان الإنسان عالماً أو محتاطاً فهو سائر في طريق السعادة، ولن يضرَّه ما يصيبه من بلاء. وحتى لو رحل عن الدنيا أيضاً فليس بذي بال؛ إذ لابد من ارتحالنا جميعاً من هذه الدنيا آخر الأمر بسبب من الأسباب، والأساس هو الهلاك والشقاء الأخروي والأبدي، لا الهلاك الدنيوي.

علماء بالله وعلماء بلا عمل

لقد سأل شيخنا[١] السيّد الصدر رحمه الله عما هو المقصود من العلماء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]؟

فأجاب: المقصود منهم هو العلماء بالله، لا العالم بمجموعة من الاصطلاحات

(١) هو الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله.

(٢) فاطر: ٢٨.

وذلك بسبب استعمال إنّما في الآية الكريمة[١].

الويل لنا إذا تكشفت أسرارنا يوماً، وعُلم أنّنا لسنا من أهل العلم ولا من أهل الدين وأنّنا إنّما عمّرنا دنيانا فقط. وأنّنا كنا السبب غير المباشر في انحراف الآخرين، بما نحن عليه من مظاهر ومقامات وأعمال وسلوك وأقوال. في حين أنّهم عليهم السلام قالوا: «**كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم**»[٢]؛ لأنّه إذا لم نكن على يقين من القيامة فلا عذر لنا؛ إذ سيقال لنا: «أفلا تعلّمت»[٣].

وإذا كنا نمتلك ذلك اليقين، ولكن لم نعمل بما يقتضيه، فلسنا معذورين أيضاً؛ لأنّه سيقال لنا: «أفلا عملت!»[٤].

وقد جاء في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**العالم بلا عمل وقود النار**»[٥].

تبرير الأخطاء أم إصلاحها

هنيئاً لأولئك الذين يرون أخطاءهم ويهتمون بعيوبهم، ويتجاهلون عيوب الآخرين، ولا يرون أنفسهم كاملين وبلا عيب ونقص. بل يرون أنفسهم في مواضع الخطأ مخطئين.

يجب علينا أن نغلق على أنفسنا باب تبرير الأخطاء، وأن نبادر بالاستغفار عند كل خطأ نرتكبه، وإذا كان ممّا يمكن تلافيه وتداركه تداركناه.

---

(١) (إنّما) أداة حصر، وتدل على الانحصار ولا يستفاد منها العموم لتشمل جميع العلماء.

(٢) أصول الكافي ٧٨/٢، وسائل الشيعة ٧٦/١، ٢٤٦/١٥، بحار الأنوار ٣٠٣/٦٧.

(٣) بحار الأنوار ١٧٧/١، ٢٩/٢ و ١٨٠، ٢٨٥/٢٧.

(٤) بحار الأنوار ١٧٧/١، ٢٩/٢ و ١٨٠، ٢٨٥/٢٧.

(٥) راجع بحار الأنوار ١١١/٢، منية المريد: ١٣٧.

لماذا لا نلجأ إلى العلماء؟

منذ اليوم الأول الذي وضع فيه الإنسان قدمه على الأرض نشبت الحرب بين البشر وقتل قابيل هابيل وهما أولاد نبيّ، وكان في وسعه أن يسأل أبيه وهو الطبيب، أنّه الآن وقد رُدّ قرباني وتقبّل الله قربان أخي هابيل، فهل ثمة طريق لنيل السعادة، أم أنّ باب السعادة (رغم كوني مكلفاً بتحصيلها) مغلق في وجهي، ومن المستحيل أن أكون سعيداً؟!

لماذا لا نذهب إلى العالم، ونطلب منه الدليل على صحة كلامه؟ عندما نرى عالماً يتكلم بالدليل، فيجب علينا أن نقتنع بكلامه، فنلاحظ دليله أولاً، ثم نفكّر فيه، ولكنّنا لسنا كذلك.

علماء الشيعة هم آباؤنا الرحماء

يجب أن نكون أوفياء لمشايخ الشيعة وعلمائهم فهم آباؤنا الرحماء والروحانيين ولهم علينا حقّ كبير، فلقد تحمّلوا مشقات عظيمة في سبيل منفعتنا [العلمية والإيمانية] وهم شركاء لنا فيما نناله من فوائد [وعلوم]، ولهم أجرهم في ذلك.

المخاطر المحيطة بعالم الدين

«**لكّل شيء آفة وللعلم آفات**». إنّه لمن العجيب حقّاً أنّه كلما وقعت خصومة ما بين زيد وعمر، أو بين طائفتين من الناس، تكون المصالحة على حساب أهل العلم!

فلو تمكّن المرء من تحصيل العلم، فالله يعلم كم توجد شروط وموانع في سبيل الاستفادة منه في طريق رضا الله سبحانه وتعالى![1].

(١) لعل مقصوده دام ظله الإشارة إلى كثرة التوقعات والآمال التي يعقدها الناس على أهل العلم الديني ←

رجال الدين و لزوم مراعاة العرف

يقول أحد المشايخ: كنت مرّة أتناول شيئاً من الخبز أو البوظة في أحد شوراع قم فرآني الميرزا مهدي البروجردي رحمه الله فابتدرني قائلاً: ألست طالباً في الحوزة؟ فقلت: نعم. فقال:فلماذا إذن تأكل الخبز هنا؟ فقلت: وهل أكل الخبز حرام؟! فقال: أكل الخبز في الشارع بالنسبة لك ليس حراماً، ولكن فيه إشكال بنظر العرف، فعندما يراك الناس على هذه الحال فسوف لن يصغوا لكلامك بعدئذ وسوف يقولون: أنت الذي تعظ الناس الآن ألم يصدر منك العمل الفلاني!

وعندما أراد أن يفارقني آخر الأمر قال لي: تستطيع أن تراجعني في أي حاجة لك أو عمل تريد إنجازه منّي.

تناقض بعض العلماء وصفات العالم الذي يجوز اتباعه والرجوع إليه

..إن كان التناقض معلوماً في الكلام، ولم يكن عدولاً إلى الحق، بل كان صاحبه في كل مجلسٍ على رأي، فلا شغل لأحدٍ به.

واللازم هو التوجه إلى من لا تتناقض أقواله من العلماء، بل اللازم التوجه إلى من لا تتناقض أقواله مع أفعاله، بعد إحراز سائر الشروط المطلوبة في من يرجع إليه في الأمور، والمستفادة من مثل قوله عليه السلام: «**وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً**



والمزالق التي ربما يضطر العالم إلى الانجرار إليها بسبب دخوله في أمور ومشاكل مختلفة، قد لا تكون من وظيفته ولا من مسؤوليته، تحت وطأة الضغوطات من الناس والحرص على صلاح أمورهم ما أمكن وهذا مما يكلّف العالم الكثير من طاقته ومكانته أحياناً، بل قد يوقعه في مزالق وأخطاء تتنافى مع المطلوب منه كعالم دين ومرشد اجتماعي. «المترجم».

لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه».

والقضية السلبية مستفادة مفهوماً من الإثباتية المنطوقة[(١)].

وقال دام ظله في موضع آخر:

الاعتقاد بأصول العقائد الخمسة ـ والتي بعضها من ضروريات الدين، وبعضها من ضروريات المذهب الحق ـ شرط للائتمام بالعلماء والرجوع إليهم، فلا يرجع إلى العالم المشكوك منه ذلك.

...أيضاً في الحث على مطالعة تراجم وسير علماء السلف

إنّ مطالعة كتب تراجم وسير علماء السلف هي بمنزلة مطالعة الكتب الأخلاقية المعتبرة. وكل من يرغب في تهذيب نفسه وتزكيتها، والترقّي بها في الأمور المعنوية ويريد الاستفادة من حياته وعمره، فمن المناسب أن يطالع تراجم وسير العلماء السابقين، ويطّلع على أعمالهم.

...وعندما يقال: إنّ غرفة السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله في المدرسة الفلانية في المكان الفلاني، فمشاهدتنا لتلك الغرفة يحكي لنا صورة عن أوضاع السيد رحمه الله وأحواله.

...يقول أحد الفضلاء: كان أستاذنا من أهل الاستدلال والبرهان بنحو لم يكن يقبل أي مطلب من غير دليل وبرهان.

وكان أحد تلامذته يقول عنه: «لقد تعلّمنا منه أن نفتح عيوننا في كل اتجاه، فإذا

---

(١) يعني دام ظله: أنه إذا لم يكن متصفاً بواحدةٍ من هذه الصفات، فليس للعوام أن يقلدوه، ولا أن يتوجهوا إليه أو يراجعوه.

وُجِد الدليل على مطلب قبلناه، وإلاّ رددناه. وأن لا نقبل أيَّ مطلب من أي شخص من غير دليل». لقد كان نفس هذا الأُستاذ ـ بالرغم من تمسّكه بالدليل إلى هذا الحدّ ـ يذكر أحوال وسيرة العلماء السابقين من دون اللجوء إلى الاستدلال أو البرهنة.

مسؤولية طلب العلم الديني

من المؤسف أن نمرّ من هذا السوق (مراكز الحوزات العلمية) التي هي منبع الكمالات والمعنويات والخيرات وقد ألحقنا بأنفسنا الضرر بدل الانتفاع منها!

والويل لنا إن لم نكن من أهل الدين، حيث يأتي ذلك اليوم الذي تُبلى فيه السرار وتظهر حقيقة أعمالنا، وينكشف مخفي أسرارنا، فيعلم أنّنا لم نكن من أهل الدين، وأنّنا دخلنا هذا الدين لنعمّر دنيانا، وأنّ أعمالنا وتصرّفاتنا قد أدت إلى انحراف الآخرين.

ليس التوفيق بكثرة الدراسة

ليس من المعلوم أنّ العلماء السابقين قد عمّروا أكثر منا، ومع ذلك كانت لهم هذه التوفيقات العظيمة. فالشيخ الأنصاري رحمه الله كان عمره أقلّ من أعمارنا، وكذلك لم يكن للشهيدين الأول والثاني عمر طويل، مع كل هذه الكتب الجيدة والنافعة والمتينة، ولكنّ أعمارهم كانت مباركة.

وعلى هذا الأساس، فالتوفيق لا علاقة له بكثرة التحصيل والعمل ونحوه.

العلماء ورثة الأنبياء (عليهم السلام)

قدم الشيخ الأنصاري يوماً إلى داره ظهراً وطلب ماءً، فذهبوا إلى سرداب السن[١]

(١) سرداب السن هو قبو عميق في الأرض.

ليأتوه بالماء البارد، لكن الشيخ كان قد انهمك أثناء ذلك بصلاته، وهام قلبه إلى تلك النواحي، فاختار قراءة سورة طويلة فيها. وجاءوا بالماء البارد وقد استغرقت صلاته وقتاً زالت معه برودة الماء، وكأنّ عطشه ارتفع حينما دخل في الصلاة.

لقد كان هؤلاء يمثّلون عمل الأنبياء والأولياءعليهم السلام؛ لأنّ الصلاة تزيل عطش العطشان وجوع الجائع، وقد جاء في الرواية: «**أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني**»[1].

وقد ذكرت بعض الروايات وقوع مثل ذلك للصائم أيضاً.

عسى بإذن الله أن تكون الماديات بالنسبة إلينا مجرد وسيلة، بحيث عندما تُقبل علينا الأمور الدنيوية تكون سبباً لتأكيد إقبالنا على الأمور المعنوية والأخروية، كما حصل مثل هذا لبعض الأشخاص، حيث أدى إقبال الأمور المادية عليه مع امتلاكه للمقامات المعنوية إلى وصوله إلى مقامات معنوية أرقى.

مقارنة الوضع الفعلي للحوزات العلمية بالماضي

نعلم الداء ونعلم الدواء؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[2] ولكنّنا لا نعمل.

يعلم الله كم كان لدينا من الرجال العظماء قبل مائة سنة في الحوزات العلمية في أصفهان وتبريز... الخ، كانوا يأتون من أصقاع البلاد وأطرافها، ويحصلون على الكمال في درجاتهم العلمية والعملية، ثم يرجعون إلى موطنهم الأصلي لبيان الأحكام والمعارف، والترويج للدين والمذهب.

---

(١) بحار الأنوار ٢٠٦/٦، ٣٨٩/١٦، ٢٥٣/٦٤، عوالي اللآلئ ٢٣٣/٢، المناقب ٢١٤/١، وانظر قريب منه في فتح الباري ١٨٠/٤، المعجم الأوسط للطبراني ٣٥٥/٥، كشف اليقين للعلاّمة الحلّي: ٤٥٧.

(٢) الشمس: ٨

وإذا ما قسنا أوضاعنا الفعلية مع أحوال من سبقنا من العلماء، فالله يعلم كم سيلحقنا من الحياء والخجل. إنّ ما يوجب الحسرة هو أنّ العلماء السابقين مضوا من غير بديل.

النبوغ ليس شرطاً في طلب العلم

لا يشترط النبوغ في الدراسة والتعلّم، فقد كان الملاّ صالح المازندراني رحمه الله[١] عندما يذهب من البيت إلى المدرسة، يلقي الحشيش في الطريق من باب الدار إلى باب المدرسة، لئلاّ يضلّ الطريق عند رجوعه.

وقد استطاع مع هذه الحافظة البطيئة، أن يكتب شرحاً على أصول الكافي، يعتبر في أفضل الشروح.

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلمْ بأنّ العلم فضلٌ وفضل الله لا يؤتاه عاصي[٢]

نحن والسلف

إنّ مطالعة تراجم العلماء والتعرّف على أحوالهم نافعٌ جداً، وهو بدرجة الكتب الأخلاقية المعتبرة.

لقد امتنع صاحب المدارك[٣] وصاحب المعالم[٤] من السفر إلى مشهد حذراً من

---

(١) حسام الدين محمد صالح بن أحمد السروي المازندراني المتوفى سنة ١٠٨٦، صاحب شرح الكافي والحاشية على المعالم.

(٢) منية المريد: ٢٢٥.

(٣) هو الفقيه الكبير السيّد محمد بن علي الموسوي العاملي المتوفى سنة١٠٠٩، صاحب كتاب مدارك الأحكام في شرائع الإسلام وتأليفات أُخرى.

(٤) هو جمال الدين أبو منصور حسن بن زين الدين العاملي (٩٥٩-١٠١١) صاحب كتاب معالم الدين، منتقى

من اللقاء مع السلطان، مع أنّ سلطان ذلك العصر الشاه عباس الصفوي كان مروّجاً للتشيع أي أنّ نفس الشيء الذي يسرع إليه البعض منا اليوم كان يفرّ منه أولئك.

تضحيات علماء السلف وجدّيّتهم

إنّ مطالعة تراجم العلماء والتعرّف على أحوالهم هي بمنزلة مطالعة الكتب الأخلاقية. لقد كان الشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب التفسير جامعاً لعلوم عصره من العلوم العقلية والنقلية، مع أنّه لم يكن من المعمّرين، ولم يمهله الأجل طويلاً، وكان أُستاذنا يقول: لو أمهله الأجل وبقي بعد الميرزا الكبير رحمه الله لوصلت إليه المرجعية. وعندما ننظر إلى أيٍّ واحد من علماء السلف في مقامهم العلمي، فإنّنا نراهم وكأنّهم قد قتلوا أنفسهم [لكثرة ما بذلوه من تضحية وجهاد ومشقة]. وكان الشيخ محمد حسين الأصفهاني يقول: لم أعص الله من أول بلوغي إلى اليوم، ولكنّي لا أُبرئ نفسي من نيّة المعصية.

التحسّر على علماء السلف وفضائلهم

كان ثمة في الماضي في النجف نماذج جيدة من العلماء من كل مدينة.

وكان الشيخ مهدي المازندراني رحمه الله ـ وهو من التلاميذ الجيدين للمرحوم الآخوند الخراساني رحمه الله وكان قديرا للغاية في البحث ـ يتباحث مع الآغا ضياء العراقي عليه الرحمة [أحياناً] في إحدى أزقة النجف، وتستمر المباحثة بينهما مدّة طويلة.

﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أطرافِهَا﴾[1].

➡

منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان و تأليفات أُخرى.

(١) الرعد:٤١، الأنبياء: ٤٤.

حقاً كم كان في إيران من العلماء والعظماء الجامعين بين المقامات العلميّة والعمليّة! ولو أمهل الشيطان [الإنسان] فإنما يكون هذا من عجزه وضعفه. ولو أقيم مجلس للعزاء لخلوّ بلاد الشيعة من العلماء لكان في محلّه.

كرامات النجف

يقول أحد المشايخ من أئمة الجماعة المعروفين في قم ـ والذي قضى في النجف ردحاً من الزمان حيث تزوج فيها وأنجب عدّة أولاد ثم رجع إلى إيران ـ: لم يمرّ عليّ أسبوع في النجف دون أن أرى كرامة، فمثلاً كلّما أحسنت إلى شخص تلقيت إحساناً بنحو أفضل خلال نفس ذلك الأسبوع. ثمّ بيّن موارد كثيرة من هذا القبيل.

ويقول هذا الشيخ أيضاً: ولقد وصل بي الأمر في إحدى المرات إلى حدّ الاقتراض من أبناء البيوتات؛ لأنّ زوجتي كانت حديثة عهد بالولادة وأحبت أن أُهيئ لها شيئاً من الحلوى، وكان قد وصل بي الأمر إلى حدّ كنت مديناً فيه لجميع أهل السوق، ولذا توجهت إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام فجاءني رجل عربي مكشوف الرأس حافي الرجلين وسلّم عليّ قائلاً: السلام عليكم، ثم وضع يده في يدي وذهب، ففهمت أنّه وضع شيئاً فيها واحتملت أن يكون ربع دينار، ولكنّني لم أنظر إليه بل ذهبت إلى أحد الباعة في السوق، وطلبت منه أن يزن لي مقداراً من المواد اللازمة لصنع الحلوى، فأعطاني ذلك، ثم قال لي: هل تريد باقي المال من صغار العملة (الخردة) أم كبارها؟ فتعجبت من ذلك وقلت له [مستفهماً]: ماذا تقول؟ فقال: لقد أعطيتني ورقة ذات العشرة دنانير[1].

---

(١) وهو مبلغ كبير نسبياً في ذلك الزمان.

علماء النجف في بساطة العيش

لقد رأينا من علماء النجف عجائب وغرائب في بساطة العيش، فمثلاً ذهبت مرّة مع أحد الأشخاص إلى ضيافة أحد العلماء، وعندما دخلنا الغرفة وجدنا أنّه لم يبسط فيها فراشاً إلا في زاويتها وبمقدار يكفي الجلوس فقط.

وكان ثمة عالم آخر أيضاً يقيم مجلساً حسينياً في داره ولم تكن الغرفة المعدّة مفروشة إلا بمقدار الضرورة بما يسع الجالسين.

ويقول السيّد البروجردي رحمه الله: لقد ذهبنا إلى بيت العالم الفلاني فوجدنا الغرفة خالية من أي بساط.

ونقل السيّد البروجردي رحمه الله أيضاً عن عباس علي والد راشد[1] قوله: ذهبنا إلى زيارة أحد العلماء فوجدنا أنّه اقتصر على فرش جزء من غرفته فقط، فقلنا له: أنتم علماء النجف تتحملون جميع هذه الرياضات في النجف لكن لماذا تتخلّون عن رياضاتكم وتنسونها عند مجيئكم إلى إيران؟!

وطبعاً فإنّ هذه الأمور تدور مدار سعة الحياة وعدمها، والمهم هو عدم تعلّق القلب بها.

المشقة والتوفيق للنفع

يصدر أحياناً من بعض الناس أعمال صعبة جداً وشاقة يعجز الآخرون عن القيام بها، لكن دون أن يكون فيها فائدة مهمة للبشر. إنّ التوفيق شيء آخر، وهو أن يكون للإنسان من عمره لنفسه وللآخرين فائدة صحيحة وكاملة وعامة النفع.

---

(١) راشد شخص معروف كان يذيع خطابات ومحاضرات من إذاعة إيران في زمان الشاه.

التوفيق لمعرفة الطريق إلى الهدف

رأينا رجالاً كانوا من أهل العلم والعمل وقد عاشوا حياتهم بلا تجمّل، وكانوا زاهدين في ملبسهم ومسكنهم وطعامهم، وحسرتنا في أنّنا لسنا أمثالهم.

لقد كان هناك من أكابر العلماء من لم يكن يأخذ شيئاً من سهم الإمام عليه السلام وبعضهم كان من أفاضل العلماء وصاحب مصنّفات دون أن يرتدي ثياب أهل العلم.

فقد كان المرحوم القاموسي يرتدي ثياب التجار، ولا يرتدي ثياب أهل العلم إلاّ عند الصلاة فقط، وكان مجموعة من المقدّسين يقتدون به في الصلاة، في حين كان هناك جماعات أخرى في الصحن الطاهر، يفصل بعضها عن بعض فاصل يوضح حدود كل جماعة وإمامها ويميزها عن البقية. فكان المرحوم القاموسي يقف للصلاة من غير اهتمام بما حوله من الإمام والخلف واليمين واليسار.

وإنما نأسف ونتحسر كوننا قد أدركنا علماء يوجد فرق شاسع بيننا وبينهم، وكأنّ الفاصل بيننا وبينهم مئات السنين.

نسأل الله سبحانه التوفيق لنفهم الطريق الذي يوصلنا إلى الهدف.

اغتنام الفرص وعشق طلب العلم

أوصي الطلاب أن يقدّروا نعمة الماء والطقس السالم والصحي، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في طلب العلم. وكم كان الطلاب في زماننا مندفعين لتحصيل العلم برغبة وشوق أكيدين في جو النجف الحار في الأشهر الأربعة: ربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأول وجمادى الآخرة التي تصادف أحياناً «قلب الأسد»[1] الحارّة جداً

(١) الأربعون يوماً الشديدة الحر في فصل الصيف.

وكانت العطل قليلة، وتقتصر على أيام الفاطمية عليها السلام، ولم يكن مألوفاً التعطيل في الصيف! لقد كان الانهماك في التحصيل في ذلك الحرّ المحرق مع فقدان الإمكانات ووسائل التبريد الكهربائية كالثلاجة والمروحة والمبردة... الخ من الكرامات.

لا تؤجلوا عمل اليوم إلى غد

يستحسن أن لا يؤجل الإنسان أعمال اليوم إلى غد، بل أعمال هذه الساعة إلى ساعة أخرى، إلاّ مع العذر، و إلاّ فلا نعلم ماذا سيحدث بعد هذه الساعة.

أتذكّر أنّني مرضت يوماً في فترة الدراسة والتحصيل ولم أعد قادراً على المطالعة ولم أستطع قراءة الدرس والتفكير في الدرس وتعقّل أقوال الأستاذ، ولكني كنت أستطيع المشي إلى مكان الدرس الذي كان في مقبرة الميرزا محمد تقي الشيرازيرحمه الله للمشاركة في حضوره، فلو تركت الذهاب فسوف يفوتني الدرس ولو حضرت الدرس لم أكن قادرا على التفكير فيما يقوله الأستاذ وتعقّله، ولذا قلت في نفسي: أذهب إلى الدرس لأسجل الألفاظ وأحفظها في ذهني من دون تفكير وتعقل.وهكذا كان فقمت بكتابه الدرس دون أن تفوتني كلمة واحدة ولكن دون أن أفكر أيضاً فيما كتبته وعندما تحسنت صحّتي راجعت ما كتبته فوجدته صحيحاً. وقد مرضت فيما بعد مرة أخرى بدرجة لم أتمكن حتى من الذهاب إلى الدرس، فلم أذهب ولكني استعرت ما كتبه الآخرون ودوّنت الدرس.

والمقصود من هذا الكلام: أن العمل الذي يترك الإنسان أداءه في وقته مع قدرته عليه قد لا يتمكن فيما بعد من إنجازه.وعليه فلا ينبغي للإنسان أن يؤجل دروسه أو غيرها إلى وقت آخر، لأنّه كثيراً ما يتفق أن لا يوفّق لأدائها بعد ذلك وستشغله في ذلك الزمان أعمال ووظائف أخرى تمنعه من قضاء مافاته.

الدراسة في شدّة الحرّ

عندما كنّا في النجف في مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي، وعندما كنت مستغرقاً في المطالعة في إحدى الليالي ارتفع صوت من الغرفة المجاورة بنحوٍ لم يسبق له نظير من قبل، فلم أهتم بذلك ورجعت إلى المطالعة، ثم ذهبت بعد ذلك إلى تلك الغرفة وسألتهم عن ذلك الصوت؟ فقالوا: إنّ بيضة كانت في طاق الغرفة وقد سقطت وفقست فخرج منها فرخ! ثم أعطى صاحب الغرفة هذا الفرخ إلى خادم المدرسة وكان صاحب عائلة.

نعم، هكذا كان حرّ النجف بحيث تتفقّس البيضة ويخرج منها الفرخ في إحدى غرف المدرسة، وطبعاً فإنّ حرّ قم أكثر تأثيراً في إضعاف قدرة الإنسان من حرّ النجف، بالرغم من أنّ درجة حرارة الجو في النجف أكثر منها في قم.

التوفيق المعنوي

رغم أن الشيخ الأنصاري لم يكن يمتلك سوى عين واحدة سالمة، ولم يكن يستطيع المطالعة في الليل، فقد كانت له جميع هذه الدروس والتأليفات والعبادة في النهار، فكان يقرأ كل يوم زيارة عاشوراء واقفاً مع تكرار اللعن والسلام مائة مرة عند رأس ضريح أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان يؤدي يوميا صلاة جعفر الطيار إلى جانب قراءة جزء من القرآن، يؤدّي كل ذلك بما أُوتي من توفيق معنوي.

توفيق الشهيدين (رحمهما الله)

إنّ إحدى كرامات الشهيد الأول والشهيد الثاني رحمهما الله هي أنّ مؤلفاتهما وقعت موقع القبول عند أهل العلم بالرغم من كونها متوسطة، أي لا هي تامة الاستدلال

ولا هي خالية منه. وكتاب «شرح اللمعة الدمشقية» أكثرها بركة، وكان بعض أهل العلم يقتصر على تدريسه دون سواه فدرّسه مثلا ثلاثة عشر أو أربعة عشر مرّة، بينما حفظ متن اللمعة بعض آخر من أهل العلم في النجف وكربلاء وكتاب شرح اللمعة ليس كتاباً استدلالياً بشكل كامل، لكنه ليس مجرد كتاب فتوى أيضاً، ومع ذلك فقد كان ذا بركة عظيمة، وقد اشتغل طلاب العلوم الدينية في الحوزات العلمية بدراسته و مباحثته ومطالعته على مدى عدة قرون. وكان صاحب الجواهر رحمه الله يقول: إنّ فقه كتاب الروضة [في شرح اللمعة] أعلى من فقه كتاب المسالك[1].

وبالرغم من أن عمر الشهيدين الأول والثاني (رحمهما الله) كان قصيرا فقد كان ذا بركة، فتركا مؤلفّات نافعة ومفيدة، وهما حجّة علينا كي لا نقضي أعمارنا بالغفلة والبطالة، وطبعاً فإنّ التوفيق أمر آخر لا يهبه الله تعالى لكل أحد.

أجواء المدارس الدينية

كان الشائع في المدراس الدينية سابقاً أن يأخذ الطلّاب في المطالعة من أوّل الليل، فلا يسمع في المدرسة صوت أو ضجيج.

وكان المرحوم جهانگير خان ـ والذي ظل عازباً ـ مديراً لإحدى المدارس الدينية في أصفهان، فكان يدور ليلاً في ساحة المدرسة، فإذا ما سمع صوتاً ولو صوت النارجيلة مثلاً، سارع إلى تلك الغرفة متسائلاً [ومعنّفاً]: ما الخبر، الآن وقت مطالعة؟

وهنا كان يكمن الفرق بين البيت والمدرسة، ففي المدرسة يخيّم السكوت الكامل، وتتوفر الأجواء المناسبة للمطالعة والتفكير أكثر من البيت.

---

(١) مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام، كتاب فقهي آخر للشهيد الثاني رحمه الله.

مدرسة الهندي محلّ إقامة السيّد القاضي (رحمه الله) في النجف

سؤال: هل كان المرحوم السيّد علي القاضيﷺ مقيماً في مدرسة القزويني؟

الجواب: كلا، كان مقيماً في مدرسة الهندي في الغرفة المجاورة للغرفة المعروفة باسم غرفة السيّد بحر العلومﷺ. ثم سكن في هذه الغرفة ابن المرحوم السيّد القاضي[(١)] في هذه الأواخر، ثمّ أُبعد من النجف إلى قم، وهو [عازب] ليس لديه زوجة وأولاد.

جدّية الآخوند الخراساني وآية الله الأصفهاني

كانت جدّية العلماء في تحصيل العلم وتدريسه والمباحثة فيه عجيبة ومدهشة إلى حدّ نعجز عن بيانه، ويصعب شرحه خاصة بالنسبة للمحقّقين منهم.

نقل أُستاذنا[(٢)] أنّه [طيلة حضوره] درس أستاذه المرحوم الخراساني لم يتخلف سوى مرة واحدة عن الدرس، وذلك بسبب غزارة الأمطار، وتيقّنه بعدم تمكن أُستاذه من المجيء، إذ كانت تتجمع المياه أمام داره حين هطول المطر، فتشكّل مستنقعاً يصعب اجتيازه وينقطع المرور من هناك بسببه، ولكن تبيّن بعد ذلك أنّ أحد الطلاب كان قد أتى إلى الآخوند الخراساني وحمله على ظهره، واجتاز به مستنقع الماء ليأتي به إلى الدرس. فأيّة مشقة تحمّلها هؤلاء العلماء في سبيل تحصيل العلم والتدريس والمباحثة دون أن يصيبهم تعب أو فتور.

قال الآخوند يوماً من على منبر الدرس: إنّ هذا التدريس هو عصارة فكري قبل أربعين عاماً، وأمّا الآن فلا تدع لي الزعامة [والمرجعية الدينية] فرصة للتفكير.

---

(١) هو السيّد مهدي القاضي.

(٢) الشيخ محمد حسين الأصفهانيﷺ المعروف بالكمباني.

واستأجر أُستاذنا مرّة قاطرة [أو وسيلة نقل] من بغداد إلى كربلاء ومنها إلى النجف بمفرده ليدرك درس الآخوند، وعندما وصل إلى الدرس كان الآخوند قد بدأ تواً بالدرس ونطق بالبسملة. وكان أستاذنا رحمه الله يعلم موضع البحث لدى الآخوند في الدرس الاول فقام بكتابته وإعداده دون حضور الدرس، ثم عرضه على الطلاب الحاضرين فتبيّن مطابقته بشكل تام لدرس أستاذه.

وعلى كل حال لقد حضر أُستاذنا ثلاثة عشر عاماً درس الآخوند الخراساني، وكان تدريس الدورة الأصولية يستغرق أربع سنوات عند الآخوند رحمه الله.

مسؤولية حفظ الحوزات العلميّة

لقد تعرّضت الحوزات العلمية للزوال مرات عديدة ولكن تمّ حفظها من قِبَل عالم الغيب. والويل لنا إذا كان سعينا وعملنا منافياً للمحافظة عليها، أي أنّنا نأخذ السهم من صاحبه ثم نسدّده نحوه ونرميه به. ونتكلّم ضده ونحاربه مستخدمين إمكاناته، ونجعل من علم الدين والمذهب أدواتٍ لتخريب الدين وضرب المذهب وأهله.

..أيضاً حول ضرورة المحافظة على الحوزات وطلب العلم

هنيئاً لأولئك الذين يدركون أنّ الإتيان بالأعمال الأُخروية صعب. على الطلاب أن يغتنموا كل فرصة وفراغ ويعكفوا على الدراسة قبل أن يأتي يوم لا يستطيعون فيه بعدها الاستمرار في دراستهم، على الطلاب أن يعلموا بأنّ الوقت قد مضى، ومن درس فقد درس، وإلاّ فإنّ أهون اضطراب يحصل في هذه البلاد الإسلامية، فلن يعود بمقدورهم الاستمرار في الدراسة بسبب وجود الموانع. وإذا مُنع الطلاب من تحصيل العلم فإنّ مصير الإسلام والمسلمين سيؤول إلى الاضمحلال؛ لأنّ بقاء أمر الدين وإحياء المذهب

منوط ببقاء طلاب العلوم الدينية، وبقاؤهم منوط بالدراسة.

وإنّ وجود الكتب والدروس الحوزوية موجب لاستياء الناس من الظالمين [وافتضاح أمرهم لديهم] ولهذا فإنّهم يسعون لمنعها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

العطل في الحوزات العلمية

نُقِل أنّ يوم الخميس لم يكن يوم عطلة في الحوزات العلمية، وأنّ العطلة كانت يوم الجمعة فقط، لكن المحقّق الحلّي رحمه الله الذي كان المدرّس الأول في زمانه عطّل درسه يوم الخميس ليتمكن من التشرف بزيارة كربلاء، ومنذ ذلك الحين جرى رسم الحوزة العلمية على اعتبار يوم الخميس عطلة. وبناءً على هذا فتعطيل الدرس يوم الخميس في الحوزات العلمية تمّ تكريسه منذ عصر المحقّق الأول رحمه الله. وكان سببه أنّه عليه السلام كان يبدأ سيره من الحلّة ليصل في ليلة الجمعة إلى كربلاء، ويحظى بزيارة الإمام الحسين عليه السلام فيها.

أيام العطلة مكملة لأيام الدرس

نقل أحد أقرباء السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله عنه أنّه قال: كنّا نذهب مع مجموعة من الطلاب في يومي الخميس والجمعة إلى «الجري»[1] لنغتسل، وهناك نطرح مسألة ما ثم نأخذ بالحديث حولها والبحث فيها، وبعدها نكتب ما نتوصل إليه من نتائج وملاحظات حول المسائل المطروحة. وقد نقل حفيده أنَّ حاشيته على المكاسب كانت من قبيل هذه الملاحظات.

فإذا كانت أيام العطل بهذا النحو فهي عون للتحصيل، بل أكثر من عون؛ إذ تكمّل

---

(١) قرب ساقية من الماء والبساتين المحيطة بالنجف الأشرف.

نقائص التحصيل. وينبغي للطلاب أن يحلّوا إشكالاتهم واعتراضاتهم بالتفكير، لا أن تبقى الإشكالات هكذا بلا حلّ ويكون همّهم هو الإكثار من قراءة الدرس وليكن ما يكن.

قم بيت أهل البيت (عليهم السلام)

إنّ «قم» منسوبة إلى أهل البيتﷺ، وكان السيّد البروجرديرحمه الله يقول: ليس هنالك رواية ليس في رواتها قمي، وإذا وُجدت فعددها قليل.

نسأل الله تعالى أن يُبقي في قلوبنا هذا التوجّه والحبّ لأهل البيتﷺ، وأن نرحل من هذه الدنيا بقلوب ملؤها الحبّ لهم.

الأوضاع القلقة لطلاب العلم في العصر البهلوي

لقد وصل الضغط والمضايقة على العلماء والطلاب في الحوزة العلمية في قم في عصر حكومة رضاخان البهلوي إلى درجة كان بمجرد أن يدخل شرطي إلى المدرسة الفيضيّة يهرب الطلاب إلى السطوح، وأحياناً كانوا يذهبون خفية في أول طلوع الفجر إلى البساتين المحيطة بقم من أجل الدرس والمباحثة، لئلاّ يتعرّض لهم أحد بالأذى وكانوا [أي الظالمون] يعتبرون أنّ إيران قد تطوَّرت وتمدَّنت، نعم لقد تمدّنوا وترقّوا كثيراً جداً!

وصايا رضا خان لفيصل والتآمر على العلماء

جاء الملك فيصل ملك العراق لزيارة إيران في أوائل حكومة البهلوي، وأثناء جلوسه مع رضاخان في العربة التي تقلّه إلى الحدود يلتفت إليه رضاخان قائلاً: لقد استطعت السيطرة على أوضاع الناس بأمرين:

الأول: خلع السلاح من العشائر.

والثاني: القضاء على نفوذ رجال الدين في الناس.

نعم، لقد قاموا بنهضة المشروطة بفضل الفتوى التي أصدرها العلماء، ولكن بعد استلامهم السلطة اعتبروا هؤلاء العلماء مفسدين للمجتمع، فنفس هؤلاء العلماء الذين كانوا مصلحي المجتمع اعتبروا مفسدين للمجتمع ومخلّين بالنظام؛ لأنّهم خافوا أن يقوم العلماء في الغد بعمل يكون لمصلحة الآخرين ضدهم كما أفتوا بالأمس بما انتفعوا به هم أنفسهم ضد الآخرين.

قتل العلماء بعد المشروطة في إيران

لقد قتلوا زعماء المشروطة وحتى العلماء أصحاب النفوذ الواحد تلو الآخر، نفس أولئك الذين قتلوا الآخرين بواسطتهم [ومتسلحين بنفوذهم]!

ولقد قتلوا حتى السيّد عبد الله البهبهاني رحمه الله بنحوٍ أسوأ من طريقة قتل الشيخ فضل الله النوري رحمه الله، وكما قتلوا آخرين من علماء الدين وأمثال المرحوم المدّرس بعد ذلك، إلى درجة أنّهم كانوا يقتلون كل من يخالفهم من العلماء بعد قضية شهادة الشيخ فضل الله النوري رحمه الله بل كانوا يفعلون ذلك قبل قضية المرحوم الشيخ فضل الله أيضاً.

موقف الشيخ عبد الكريم الحائري (رحمه الله) من الثورة ضدّ رضا خان

كان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري يعارض الثورة ضدّ الدولة في زمان حكومة رضا شاه البهلوي، بينما كان المرحوم السيّد محمد تقي الخوانساري يميل إلى القيام بحركة ما ضدّها، وينقل السيّد الخميني قدس سره أنّ الخوانساري طلب من الحائري أن

يعمل شيئاً، وكان من كلماته معه [حول ذلك] أنّه قال له: إذا لم تعمل شيئاً فإنّ الناس سترجع ـ وطبعاً فقد آل الأمر إلى هذا فعلاً، فقد رجع كثير من الناس في أصفهان حتى عن تقليده ـ فلماذا أنت ساكت مع كل هذا البلاء والضغط النازل على رؤوس المسلمين؟!

وقد تصوّر المرحوم الشيخ أنّ مقصود السيّد الخوانساري رحمه الله من قوله: «إذا لم تعمل شيئاً فإنّ الناس يرجعون» هو أنّهم يرجعون عن تقليده. مع أنّ السيّد الخوانساري رحمه الله لم يكن مقصوده هذا، بل كان مقصوده هو أنّ الناس يرجعون عن الدين.

فأجاب الشيخ الحائري قائلاً: إنّي مستعد للذهاب إلى إحدى القرى لأرتدي مئزراً وأعمل بيدي ولا أقوم بعمل أُخالف به يقيني.

وطبعاً فإنّه أرسل في نهاية المطاف برقية إلى الشاه اعترض فيها على سياسته وأخبره بعدم رضا الناس عن أعماله، ولكن الشاه لم يُعِرها اهتماماً.

أجل، فكم على الإنسان المؤمن أن يكون مقيّداً بأن لا يرتكب عملاً على خلاف يقينه، فإنّ حفظ الدين هو كالمشي على النار أو كالقبض عليها باليد؟![1].

الشيخ الأنصاري (رحمه الله) وسهم الإمام (عليه السلام)

سؤال: كيف كان بذل وعطاء المرحوم الشيخ الانصاري من سهم الإمام عليه السلام؟

الجواب: لم يكن ينفق على نفسه شيئاً من سهم الإمام عليه السلام، ولكنّي لم أسمع أنّه رحمه الله كان يمتنع من بذله للآخرين، بالرغم من كوني سمعت ذلك عن شخص آخر.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ٤٧/٢٨، الأمالي للطوسي: ٤٨٤ «**يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر**».

ندرة العلماء والفضلاء الذين كانون يملكون داراً

كان المرحوم النائيني المرجع الأبرز عنواناً في زمانه ـ وإن كان المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني متقدماً عليه من ناحية كثرة المقلّدين ـ [ومع هذا فهو] لم يكن يمتلك داراً. ولم يكن المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني يمتلك داراً أيضاً، بل لقد كان العلماء والفضلاء الذين يملكون بيوتاً في النجف يُعَدّون على الأصابع. وطبعاً فإنّ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله، والمرحوم صاحب الجواهر، والعلماء العرب كان لهم حساب آخر، فقد وصل إليهم عن طريق الإرث شيء من المال. وقد أشاعوا عن المرحوم آية الله الحكيم أيضاً بأنّه كان يملك داراً قيمتها أربعة آلاف دينار.

وعلى كل حال يجب علينا السعي في أن ننفق من سهم الإمام أو أموال الدنيا بقدر الضرورة، لنخفّف عن أنفسنا شيئاً من عذاب النار، فضلاً عن اجتناب الحرام منه واتقائه. نسأل الله تعالى أن يوفقّنا لمعرفة الطريق الذي نصل عبره إلى الغاية المنشوده.

احتياط المرحوم السيّد عباس الشاهرودي في إنفاق الحقوق الشرعيّة

نقل شخص عن أبيه أنّه جاء شخص إلى المرحوم السيّد عباس الشاهرودي[1] ليسلّمه مبلغ عشرة آلاف تومان من الحقوق الشرعية، فرفض السيد استلام المبلغ فذهب ذلك الشخص إلى والدي وطلب منه التوسّط عند السيّد عباس لقبول هذا المبلغ فاستجاب بعد وساطة والدي، لكنه قال: مادمتم تصرّون على ذلك فإنيّ أقبل تسلّم هذا المبلغ، ولكن ليبق المال عندك وكل من يأتيك بحوالة تعطيه منه بمقدارها، فقبل والدي

(١) من كبار علماء مدينة مشهد في إيران.

ذلك. وكان السيّد يرسل إليه بين الفينة والأخرى أشخاصاً يحملون حوالة بمقدار معيّن من المال. وهكذا إلى أن جاء السيّد بنفسه يوماً إلى متجر والدي وسأله: هل بقي من المال شيء؟ فقال له والدي: كلا لم يبق منه شيء.

دور السيّد المرتضى والشيخ المفيد والخواجه نصير الدين الطوسي في بناء صرح التشيّع

لقد تولى السيّد المرتضى رحمه الله[(١)] زعامة السادة الفاطميين، وكانت شخصيّة [ووجاهته] بدرجة كان البعض يلجأ إلى داره أحيانا عند الأزمات. وكان -من بين علماء الخاصة[(٢)] - يعمل بالتقية أكثر من الشيخ المفيد[(٣)] والخواجه نصير الدين الطوسي رحمه الله[(٤)].

ولقد كانت هذه الشخصيات الثلاثة عظمية جداً، وقد قاموا بإحياء المذهب تقريباً بل هم الذين بنوا أسس وقواعد مذهب التشيع جزاهم الله خيراً.

وكان الخواجه نصير الدين الطوسي رحمه الله عندما يذكر السيّد المرتضى رحمه الله في مجلسه يقول: صلوات الله عليه[(٥)].

---

(١) علم الهدى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالسيّد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦) صاحب مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم.

(٢) أي علماء الشيعة الإمامية.

(٣) أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الحارثي البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٨-٤١٣) صاحب مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم.

(٤) الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الجهرودي الطوسي (٥٩٧ -٦٧٣) صاحب مؤلفات عديدة في مختلف العلوم.

(٥) انظر: الانتصار: ٣٠، رسائل المرتضى ٩/١.

دور كتب شرف الدين والسيّد محسن الأمين وكاشف الغطاء في الدفاع عن الولاية

لقد كانت كتب السيّد عبد الحسين شرف الدين والسيّد محسن الأمين والمرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمهم الله في إثبات الولاية والخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام مفيدة جداً، ولقد كان عمل المرحوم السيّد شرف الدين وتصرّفاته كعمل الأنبياء عليهم السلام وتصرّفاتهم، فلم يكن يقابل بالمثل ما كان يسمعه منهم من السبّ والشتم واللعن، فكان يردّ مثلاً على من كان يلعن ابن شهرآشوب[1] صاحب المناقب رحمه الله بقوله: «ألمثل هذا العبد الصالح يُنسب اللعن والشتم؟!».

وكان المرحوم الشيخ محمد رضا آل ياسين[2]، يقول: إن كلّ منصف يُطالع كتاب الفصول المهمة للسيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله [لابدّ أن] يستبصر.

ولكنّنا لا نقدّر جهودهم ونقصّر في ذلك. ونحن إذا لم نسع لنشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الطلاب الأجانب في أوربا وأمريكا ـ والذين هم يعيشون في أجواء حرّة ومنفتحة ـ سوف يطالعون حول أصل الإسلام والفرق الإسلامية، ويصلون إلى تشخيص المذهب الحقّ.

جهاد الشيخ المظفر (رحمه الله) العلمي

كنت أسكن في النجف زمان الدراسة في مدرسة السيد اليزدي رحمه الله، وكانت حجرتي مقابل حجرة الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله وعندما كنت أُطفئ السراج لألجأ

(١) رشيد الدين أبو علي محمد بن علي بن شهر آشوب السروي رحمه الله (؟ ـ ٥٨٨)، صاحب مناقب آل أبي طالب ومؤلفات أُخرى.

(٢) محمد رضا عبد الحسين آل ياسين صاحب بلغة الراغبين والحاشية على العروة الوثقى.

إلى النوم، كنت ألاحظ بقاء الضوء في غرفته. وعندما كنت أستيقظ عند أذان الصبح أو قبله، كنت أجد حجرته لازالت مضاءة أيضاً. وكان يخرج عند الأذان ليصعد السطح ويتأكد من طلوع الفجر ليصلي وينام هناك على السطح. وعلى أية حال فلم أر نظيراً له في المواظبة وكثرة العمل.

وبالطبع فهذا الوضع رأيته من بعد أن أسس معهد منتدى النشر، فلم يكن كذلك قبلها، ولذا أظن أنّه كان يكتب الكراريس المعدة للتدريس في ذلك المعهد. ولكننا رأينا فيما بعد أنّه قد صدر عنه كتب وانتاجات علمية مبسوطة.

جامع التحقيق والتتبع

لقد كان المرحوم الشيخ أسد الله التستري[١] من عظماء الطراز الأول من فقهاء الشيعة. وقد نُقل عن أُستاذنا[٢] قوله بأنّ هناك اثنين من العلماء جمعا التحقيق والتتبع هما: المرحوم صاحب المقابس، والآخر المرحوم الشيخ محمد تقي الأصفهاني[٣] صاحب هداية المسترشدين في شرح المعالم والتعليق عليه.

حوزة درس الآخوند الخراساني (رحمه الله) في النجف الأشرف

كان المرحوم الشهيدي صاحب الحاشية على المكاسب يعتقد كثيراً بدرس الفقه للسيّد محمد كاظم اليزدي [ويقدره أسمى تقدير].

وكان قد أدرك أيضاً درس المرحوم الآخوند الخراساني، وكان عند تدريسه

(١) صاحب المقابس.

(٢) المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني.

(٣) الأصول الكبير محمد تقي بن محمد رحيم الأصفهاني الطهراني (؟ ـ ١٢٤٨) أخو صاحب الفصول.

«كفاية الأصول» يحملها في يده وينظر إليها ويقول: «يقول عليه الرحمة...» ثم يشرح العبارات التي قرأها من كتاب الكفاية.

وكان المرحوم الآخوند يُنهي في كل أربع سنوات دورة أُصولية، وكان يدرّس أيضاً خارج الفقه، لكن لم يصل إلينا من بحوثه الفقهية شيء سوى كتاب الوقف والحيض وبعض الرسائل الصغيرة. وكتبه مفيدة ينبغي طباعتها كالحاشية على المكاسب، فهي رغم صغر حجمها، لكنهّ قد حقّق فيها كثيراً من القواعد الفقهية. ورسائله الفقهية أكثر تفصيلاً، ولكن حاشيته على المكاسب مختصرة ومفيدة. وكان مسجد الطوسي يغصّ بكثرة الطلاب الذين يحضرون درسه الخارج في الأصول بنحو يضيق بهم المكان حتى يجلس بعضهم عند باب المسجد. وقد وصل عدد تلاميذه إلى ١٧٠٠ طالب، وطبعاً كان يشترك في درسه أشخاص آخرون من غير طلاب العلم كالكسبة وطلاب السطوح قبل البحث الخارج، ولكنّ درساً بهذا العدد من الحضّار وبلا مكبر صوت لم يكن له سابقة.

ويقول بعض أهل العلم: إنّ عدد طلاب العلم في ذلك الوقت في النجف قد بلغ اثني عشر ألف طالب.

كتاب سليم بن قيس

سؤال: هل يمكن القول بأنّ كتاب سليم بن قيس لا ينسجم مع مذاق الشيعة لتضمنه مطالب تتنافى مع التقية؟

الجواب: في الكافي أيضاً يوجد مطالب خلاف التقية.

نحن مكلفون في ملاحظة موارد جواز التقية أو حرمتها في كل كلمة نريد قولها وسُلَيم قد عمل بهذا النحو أيضاً. ففي موارد التقية يجب الالتزام بالتقية، وفي موارد

حرمتها يجب الامتناع عنها، بل يجب إظهار الحقائق. فهذا هو تكليفنا ولا شيء سواه. علينا أن نتكلم حيث يجب الكلام، وأن نسكت حيث يجب السكوت. وأمثال سليم أيضاً إنّما لاحظوا الموارد ومقتضيات الحال.

اهتمام الشيخ النجفي (رحمه الله) بكتابه (الجواهر)

لقد أولى صاحب الجواهر أهمية عظمى في تأليف كتابه الجواهر، ودليل ذلك أنّه عندما توفّي أحد أولاده، ويدعى «علاوي»، وكان الشيخ رحمه الله يحبّه كثيراً ـ واسم ولده الآخر شيخ جواد وكان محترماً عند الناس، وقد رأيته شخصياً ـ جلس عند جنازته في مراسم العزاء والتشييع وكتب مقداراً من فقه الجواهر وقال: أُهدي ثوابه إلى المرحوم ولدي.

مدّة تأليف جواهر الكلام

بدأ المرحوم صاحب الجواهر بتأليف «الجواهر» سنة ١٢٣٠ـ١٢٣١ هـ ق لأنّه عبّر في أوائل كتاب الطهارة عن المرحوم السيّد علي صاحب الرياض[1] بـ«بعض المعاصرين سلّمه الله تعالى» ومنه يُعلم أنّه كان حيّاً في ذلك التاريخ، وذكر تاريخ الانتهاء من الجواهر في كتاب الأمر بالمعروف من الجواهر سنة ١٢٥٣. وكانت وفاته في سنة ١٢٦٦.

وكان رحمه الله يعطي أهمية كبيرة لتأليف كتاب الجواهر، حتى إنّه كتب مقداراً منه عند جنازة ولده وأهدى له ثوابه لئلاّ يتأخّر ولو بهذا المقدار البسيط عن تأليف الجواهر.

---

(١) الفقيه الكبير علي بن محمد الحائري الطباطبائي (١١٦١ـ ١٢٣١) صاحب تأليفات عديدة منها كتاب «رياض المسائل».

الحثّ على مطالعة كتب الشهيدين رحمهما الله

لقد أحرقوا الشهيد الأول[1] والشهيد الثاني[2] رحمهما الله بعد استشهادهما بجريمة التشيّع، وفي لقاء أحد أهل العلم مع الإمام الحجّة عجّل الله فرجه في سفر الحج قال له: «إنّ الشهيدين لم يأكلا طبيخ الشيعة وحسائها، ومع ذلك فإنّهما خلّفا كتباً مباركة، فإيّاك أن يمرّ عليك يوم دون أن تقرأ شيئا من كتبهما».

وقال الأُستاذ [الشيخ بهجت] مدّ ظلّه في مناسبة أُخرى: أتصور أنّ المقصود من كلمة الإمام عليه السلام «طبيخ الشيعة وحسائها» هو مقام المرجعية والزعامة الدينية.

دورة فقهية في ثلاثة أو أربعة أيام

كان بعض تلاميذ صاحب الرياض رحمه الله ذا إحاطة تامة بجميع الأبواب الفقهية كالمرحوم شريف العلماء المازندراني رحمه الله[3] الذي نُقل عنه قوله: بمقدوري أن أكتب دورة فقهية خلال ثلاثة أو أربعة أيام.

كتاب دعائم الإسلام

إنّ مؤلف كتاب «دعائم الإسلام» ـ استناداً إلى أحد الأقوال ـ هو الخليفة المعزّ بالله ولذلك لم ير ضرورةً لذكر أسناد الروايات لأنّه نقلها أباً عن جدّ.

---

(١) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جمال الدين مكي النبطي الجزيني العاملي (؟ ـ ٧٨٦)، صاحب مؤلفات عديدة، منها اللمعة الدمشقية.

(٢) العالم الربّاني زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي (٩١١ـ ٩٦٦)، صاحب تأليفات عديدة، منها: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقيّة.

(٣) الفقيه الكبير محمد شريف بن حسن علي الآملي الحائري المعروف بشريف العلماء المازندراني (؟ـ ١٢٤٥).

وبناء على قول آخر فإنّ مؤلّفه هو القاضي النعمان، يقول المرحوم النوري: كان القاضي النعمان مالكي المذهب، ثم تحوّل إسماعيلياً، ولكن هنالك اختلاف في كونه إسماعيلياً أو إمامياً، والقرينة على كونه إسماعيلياً هي أنّه كان يكتب في نفس كتابه «دعائم الإسلام» جملة (صلّى الله عليه) قبل ذكر اسم خليفة عصره أو بعد ذكره، ومن غير الواضح أيضاً أنّه فعل هذا تقية أم من دون تقية.

والعجيب أنّ هذا الكتاب أُلّف بغير سندٍ في عصر رواج الحديث والتحدّث.

ولو قُدِّر لهذا الكتاب ذكر الأسانيد لكان من أعزّ كتب الشيعة ونظير كتاب الكافي بل من المظنون به صدق كل واحدة من رواياته، إلاّ إذا ثبت بدليل معتبر في بعض الموارد عدم اعتبار رواية منه.

وقد كتب مؤلّفه يقول: إن ما أنقله من روايات أنقله عن رواة صادقين كالنوفلي والسكوني.

وكذلك ورد في أوّله: لقد ضلَّ الكثيرون بسبب ابتعادهم عن أهل البيت عليهم السلام.

وورد أيضاً: يجب الرجوع عند الاختلاف إلى الروايات الصحيحة.

أهل العلم وكتب السيّد ابن طاووس (رحمه الله)

من غير المستحسن أن لا يقتني أهل العلم كتب السيّد ابن طاووس رحمه الله، وجميع كتبه جيّدة، وقد كتب الميرزا النوري رحمه الله يقول عن السيّد ابن طاووس رحمه الله: إنّ باب لقاء الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان مفتوحاً له.

حواشي العروة الوثقى

المعروف هو أن أول حاشية على العروة الوثقى هي حاشية السيّد محمد الفيروز

آبادي[١].

ويُحتمل أن تكون حاشية المرحوم المامقاني[٢]، ولكنّي أظن [شخصياً وأرجّح] أن أول حاشية على العروة هي حاشية السيّد الصدر رحمه الله[٣].

وقد كُتبت هذه الحواشي في حياة مؤلف العروة السيد اليزدي رحمه الله، وكان نفسه مطّلعاً على أن معاصريه قد كتبوا حواشي عليها. وكان هؤلاء يخالفون آراءه في موارد قليلة.

وكانت حاشية الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله على العروة الوثقى مختصرة جداً، ولا تتعدّى عدة أوراق، بخلاف حاشية الميرزا النائيني رحمه الله وحاشية السيّد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله في زمان اشتهارهما واللتين كانتا مبسوطتين وجيدتين.

وأظن أنّ حاشية السيّد محمد الفيروز آبادي رحمه الله والشيخ عبد الله المامقاني كانتا مفصّلتين أيضاً، ولكن حاشية الميرزا محمد تقي الشيرازي والسيّد الصدر رحمهما الله كانتا مختصرتين.

وكان أُستاذنا[٤] يمجّد حاشية الميرزا النائيني رحمه الله ويقول: اغتنموها. ولكنها كانت قليلة وبصورة تعليقات، أي أنّه يُحتاج إلى أكثر من هذا التعليق على العروة.

---

(١) من علماء ومراجع النجف الأشرف.

(٢) عبد الله بن محمد حسن النجفي المامقاني (١٢٩٠ـ١٣٥١) صاحب تأليفات عديدة، منها: تنقيح المقال، مرآة الكمال، حاشية على العروة الوثقى.

(٣) كأنّ مراده أبو محمد الحسن بن هادي الموسوي الكاظمي (١٢٧٢ـ١٣٥٤) صاحب تأليفات عديدة منها: تأسيس الشيعة.

(٤) آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي رحمه الله.

مؤلّفات الآخوند الخراساني (رحمه الله)

كانت دورة الأصول تستغرق في دروس المرحوم الآخوند الخراساني أربع سنوات، وكان يلقي أيضاً دروسه في الفقه، ولكن لا يوجد الآن بين أيدينا من تقريرات دروسه في الفقه سوى كتاب الوقف، ورسالة في الحيض، وبعض الرسائل الأخرى والتي لو طعبت لكانت مفيدة، ومن باب المثال فإنّ حاشيته على المكاسب، رغم صغر حجمها واختصارها، فهي تحتوي على قواعد كثيرة.

بعض تلامذة السيّد أبي الحسن الأصفهاني (رحمه الله)

لقد أدرك الميرزا فتّاح الشهيدي الدروس العامة والخاصة للسيّد أبي الحسن الأصفهاني بنحوٍ جيّد، كما كان السيّد عبد الهادي الشيرازي يشترك في الدرس الخاص للسيّد الأصفهاني، وقد درّس في زماننا كتاب المكاسب إلى بيع الفضولي، بالإضافة إلى كتاب الطهارة والحجّ، وقد حضرت عنده بحث الحج، ولكنّني لم أستطع تدوين شيء من دروسه بسبب عدم ترتيبها، وإنّي لأعجب من أولئك الذين استطاعوا تقرير درسه.

حواشي الرسائل وشروحها

عندما توفي الشيخ الأنصاري رحمه الله تصدّى العلماء من بعده إلى كتابة الحواشي والشروح على [مؤلفاته و] رسائله وقاموا من خلال ذلك بإظهار ما لديهم من علم وفضل، وقد كتب بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله حواشٍ وشروح على كتابه «الرسائل» أيضاً.

وكم كنت أتمنّى لو يُجمع ما كتب من حواشٍ وشروحاً على كتابي «الرسائل» و«المكاسب» للشيخ الأنصاري؛ لأنّ شروحها أكثر بكثير من هذا المقدار المعروف والمتداول بين أيدينا.

مؤلفات المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (رحمه الله)

للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله تعليقة على «تبصرة» أستاذه، وله رسالة عملية أيضاً باسم «سفينة النجاة». ومن مؤلّفات الشيخ الأخرى كتاب «الفردوس الأعلى»، وكتاب «جنّة المأوى» الذي يقع معظمه في جواب بعض الأسئلة وبحث موضوعات عامّة.

وله كتاب في القانون أيضاً على ترتيب كتاب «المجلّة»، الذي دُوّن على ضوء الفقه الحنفي، وهو يرتبط بالمسائل الحقوقية وقوانين تنظيم العائلة. وقد بيّن فيه تلك القوانين على ضوء المذهب الإمامي وأسماه «تحرير المجلّة»[1].

رَحِم الله علماء السلف الذين كانت لهم مثل هذه البركات والتوفيقات.

أوّل شرح على العروة الوثقى

أوّل من كتب شرحاً على العروة الوثقى هو الشيخ أحمد أخو الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمهما الله، وكان ذلك في زمان المرحوم السيّد محمد كاظم اليزدي.

التأليف أثناء طلب العلم

سؤال: ما رأيكم في اشتغال الطلاب بالتأليف؟

الجواب: يجب أن يتَّجه الطالب إلى زيادة ما لديه من علم، والتوفّر على تحصيل العلم والاهتمام به أكثر، وصرف الوقت من أجله. اللهمّ إلاّ إذا وجد أن ثمة فوائد

(١) وأشار الأستاذ مَد ظلّه في مكان آخر إلى جملة أُخرى من مؤلفات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء منها كتاب «أصل الشيعة وأصولها» وكتاب «صحائف الأبرار في وظائف الأسحار» حول صلاة الليل وفضيلتها وآدابها.

وملاحظات من الأفضل تدوينها وجمعها، كالفوائد التي ألّفها بعض العلماء.

التدريس لطالب العلم

سؤال: ما هو نظركم في اشتغال الطلاب بالتدريس؟

الجواب: التدريس جيد للطالب إذا كان ذلك موجباً لزيادة تعلّمه ومؤيّداً له، لا أن يكون مزاحماً لتعلّمه، ومانعاً من تقدمه علمياً، ولا ينطوي على فائدة له في هذا المجال وليس له أثر في تعمّقه في العلميات.

الذاكرة العجيبة لشريعة الأصفهاني والسيّد صالح

كان السيد شريعة الأصفهاني رحمه الله والسيّد صالح رحمه الله من خطباء الدرجة الأولى في النجف، وكانا قد حفظا كتاب «بحار الأنوار» سوية، فكان أحدهم يحفظ المطلب بقرائته مرّة واحدة بينما يقرأه الآخر مرّتان فيحفظه، يقرأه مرة بنفسه، ويكرّره مرّة أُخرى بالمقابلة والاستماع مع صاحبه.

والأمر كذلك أيضاً في الدروس العلمية، فبعضهم يحصِّل المطلب العلمي ويستوعبه بمطالعة بسيطة، بينما يحتاج البعض الآخر إلى تكرار وإطالة.

الحافظة العجيبة للمرحوم السيّد أبي الحسن الأصفهاني

ليس من المعلوم وجود حافظة كحافظة السيّد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله، فقد كان له علم وإحاطة بجميع أبواب الفقه بنحو كان يُلقي درس البحث الخارج من دون مطالعة وتحضير ويصل بالمطلب إلى غايته، وهذا ليس بالأمر الهيّن.

وقد دوّن فقهه بعض تلاميذه كالمرحوم آقا بزرگ[١]، والميرزا محمد تقي الآملي ولعّل المرحوم الشهيدي[٢] قد كتب أيضاً فقه أستاذه، لأنّه كان يعتقد كثيراً بفقهه.

ولقد حضرت عندما كان المرحوم الشهيدي يلقي دروساً في كتاب كفاية الأصول، فكان يحمل كتاب الكفاية بيده وينظر إليه ثم يقول: «يقول عليه الرحمة». ثم يشرح العبارة، وكان قد أدرك أيضاً دروس صاحب الكفاية.

السرّ في إجازات السيد أبي الحسن الأصفهاني (رحمه الله)

كان المرحوم السيّد أبو الحسن الأصفهاني قد رأى الإمام الصادقؒ في عالم الرؤيا ـ وذلك قبل وصول رضا خان البهلوي إلى السلطة وقبل بدء إجرءاته في كشف الحجاب ومحاربة العلماء ومنع المجالس الحسينية ومنع لبس العمامة ـ وهو يقول له: أعط لمن حولك [من أهل العلم] إجازات في الاجتهاد. يقول: فقلت له: إنّ من حولي ليس لديهم ملكة الاجتهاد وأهليته ـ ولقد كان الأمر على ما يقول، بخلاف من كان حول الميرزا النائيني من الطلاب فإنّهم كانوا من أهل الفضل والاجتهاد!ـ فقال الإمام الصادقؑ في جوابه: لا ضير في ذلك!

ولهذا سمعنا أنّه قد توسّع كثيراً في منح إجازات الاجتهاد، وكان يرسل إجازة الاجتهاد إلى من كان يلاقي مصاعباً من المشايخ في عمله في إيران، ولقد سمعنا أنّ رضا خان البهلوي ـ عليه ما عليه ـ أرسل إليه رسالة يقول له فيها: لم نكن نتوقّع أن تقابلوننا بمثل هذه الأعمال[٣].

---

(١) الشاهرودي أو الدامغاني.

(٢) شارح المكاسب.

(٣) لأنّ كل من كان يحمل إجازة الاجتهاد كان يعفى حسب القانون من نزع العمامة.

توثيق رواة الأحاديث الكبار

نستطيع أن نحدس أنّ أساطين ومشاهير رواة أحاديث الشيعة ـ سواء المرسلة أو المسندة ـ كانوا من الثقات؛ لأنّهم كانوا ينقلون هذه الروايات على أنّها دينهم الذي يدينون به، وكانوا يولون نقل الرواية أهمية قصوى، وكانوا يعتبرونها أمراً يتجاوز مجرد بيان حكم أو نقل فتوى [فنقل الرواية كان أهم من ذلك في نظرهم]، ولهذا لم يعيروا أهمية للجعليات والجاعلين في نقل الأحاديث وضبطها [وواجهوا الجاعلين والروايات المجعولة بالإهمال والإسقاط].

صاحب الجواهر وعلم الأصول

لم يكن صاحب الجواهر رَحِمَهُ الله يولي اهتماماً بأصول الفقه، وكان يقول بلسان الاعتراض: «شنو هذا؟! هذا حرام؟!»، لكن المرحوم الشيخ الأنصاري الذي كان يحضر درس صاحب الجواهر كان يقول بأنه رَحِمَهُ الله لم يكن يقصد أصولنا.

هذا مع أنّ أصول الشيخ كانت من أكثر الأصول سعة، فأصول من كان يقصد صاحب الجواهر إذن؟!

ومع هذا فإنّ صاحب الجواهر رَحِمَهُ الله الذي كان يعترض على الأصول كان قد أورد في الجواهر ما أثبته الشيخ رَحِمَهُ الله بالدليل في كتبه الأصولية، هذا مع أنّ صاحب الجواهر كان متقدّما زماناً على عصر الشيخ رَحِمَهُ الله.

إحياء صاحب المقابس للإجماع المنقول

كتب المرحوم الشيخ أسد الله التستري صهر المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء كتاباً في حجية الإجماع المنقول، وقد نقل منه الشيخ الأنصاري في كتابه «الرسائل»

صفحة كاملة.

ويقول المرحوم آقا ضياء عن هذا الكتاب: لقد أحيى صاحب المقابس الإجماع المنقول، ولكن ومع الأسف أتلف المطر جميع كتبه (المرحوم الشيخ أسد الله التستري)، فقد نفذ المطر من سقف داره في الكاظمية وأتلف جميع كتبه، ولم يبق منها سوى كتابي المقابس وكشف القناع.

معرفة الفلسفة من روايات أهل البيت (عليهم السلام)

عندما قدم الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله أصفهان، طرحوا عليه شبهات فلسفية وطلبوا منه الإجابة عنها. فأجاب بما ينبغي، لكن من دون استعمال المصطلحات المعهودة في الفلسفة، فلم يقبلوا منه وقالوا: إنّك لم تدرس الفلسفة، فكيف تجيب عن هذه الأسئلة؟

فقال: أُجيب عنها من خلال مطالعاتي لروايات أهل البيت عليهم السلام. ونحن غير مأمورين ببيان الاصطلاحات العقلية، بل نحن مكلّفون بما تتحقق معه النتيجة.

استعمال اللفظ في أكثر من معنى

إذا حُلّت مسألة «استعمال اللفظ في أكثر من معنى» ينحلّ الكثير من مطالب الآيات والروايات. فقد جاء في رواية حول قوله تعالى: ﴿**الله الصَّمَد**﴾[١] أنّها «على خمسة أوجه»[٢]؛ أي أنّ جميع هذه المعاني الخمسة مرادة من غير أن يكون هناك جامع مشترك

(١) الإخلاص: ٢.

(٢) راجع: معاني الأخبار: ٦، أصول الكافي ١٢٣/١، بحار الأنوار ٢٢٠/٣، ١٨٧/٤، التوحيد للصدوق: ٩٠و٩٧، المصباح للكفعمي: ٣٢٩، المقام الأسنى: ٥٤.

بينها، مثل «الصمد: المصمود إليه في الحوائج. والصمد: الذي لا جوف له»[1].

أي أنّه بسيط الحقيقة، وهذه المعاني لا يوجد أي جامع ووجه مشترك بينها ليقال: إنّ اللفظ اُستُعمِل في المعنى الجامع وهو مشترك معنوي.

(١) راجع: معاني الأخبار: ٦، أصول الكافي ١٢٣/١، بحار الأنوار ٢٢٠/٣، ١٨٧/٤، التوحيد للصدوق: ٩٠و٩٧، المصباح للكفعمي: ٣٢٩، المقام الأسنى: ٥٤.

المرجعية والفتوى:

فرار العلماء من الفتيا والمرجعية

رفض كل من السيّد محمد الفشاركي والشيخ عباس المحلاتي (رحمهما الله) التصدّي للمرجعيّة وقبول الزعامة الدينية، وقالوا: إنّها عبء ثقيل لا نستطيع حمله. واختار ثلّة أُخرى من العلماء الوعظ والخطابة الحسينية، رغم ما وصلوا إليه من درجات علمية رفيعة، وكانوا معدودين من الشخصيات العلمية كالميرزا هادي الخراساني رحمه الله الذي كان يتمتع بمقام علمي وعملي رفيع.

زهد الشيخ المرتضى

كان الشيخ الأنصاري المرجع الأعلى للشيعة، ولكنّه عاش كأحد الطلبة الفقراء.. ومات كأحدهم، قال أحد الأشخاص للشيخ يوماً: أيها الشيخ! إنّك تعمل عملاً عظيماً حيث تأتيك هذه الحقوق الشرعية الكثيرة دون أن تتصرّف فيها.

فقال الشيخ: لا شيء مهم في الأمر، فالحد الأعلى لعملي أنّه مثل عمل أصحاب الحمير في كاشان، حيث يحملون أمتعة الناس إلى مقاصدهم، في مقابل المبلغ الذي يتقاضونه منهم، فهل رأيت هؤلاء قد خانوا أموال الناس؟ فقال: كلا، لأنّ هؤلاء أُمناء الناس.

فقال الشيخ: ونحن هكذا أُمناء الناس ولا نستطيع أن نتصرّف في هذه الحقوق التي

تأتينا لمنافعنا الشخصية.

ورع الأنصاري في التصدي للمرجعية

كان الشيخ محمّد حسن صاحب (الجواهر) يطوي اللحظات الأخيرة من عمره الشريف، وكان يحيط به جميع الفقهاء وكبار أهل العلم وهم يفكرون في مصير المرجعية ومن يخلفه، ففتح عينيه ونظر إلى الجموع الملتفة حوله وقال: أين بقية العلماء؟

فقيل له: كلهم موجودون في خدمتكم، فقال: أين الملاّ مرتضى؟ فذهب جماعة امتثالاً لأمر الأستاذ للبحث عن الشيخ الأنصاري فوجدوه في حرم أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: لماذا تركت الأُستاذ في هذا الوقت؟

فقال: جئت أدعو له بالشفاء، وأخيراً جيء بالشيخ الأنصاري إليه، وبعد السلام والسؤال عن الحال جلس، فالتفت صاحب (الجواهر) إلى الحاضرين وقال: إنّه الذي يصلح للزعامة بعدي، والتفت إلى الشيخ فقال الشيخ: أيها الشيخ! أنا لا أصلح لزعامة الدين، فلمّا سمع العلماء هذا الجواب من الشيخ الأنصاري تعجّبوا، وسألوا الشيخ نفسه عن السبب في انصرافه عن هذا الأمر الخطير؟

فقال: هناك من هو أجدر وأليق منّي بهذا الأمر، قالوا: لا نعرف أحداً غيرك، فقال الشيخ الأنصاري: نعم، إنّ الشيخ سعيد العلماء المازندراني أفضل منّي وأعلم وأفقه وهو الآن موجود في إيران ؛ وكنت قد رأيته في كربلاء في درس المرحوم شريف العلماء، وأنا أدري أنه أعلم منّي، ثم كتب الشيخ الأنصاري إلى سعيد العلماء وطلب منه أن يقبل المرجعية والزعامة الحوزوية، فلمّا وصلت الرسالة إلى سعيد العلماء، كتب في جوابها: نعم، إن ما ذكرت وكوني أعلم منك في زمان حضورنا درس شريف العلماء

صحيح، أمّا الآن فإنّك متفوّق عليّ؛ لأنّي تركت الدراسة والتدريس منذ سنوات طويلة، و انشغلت بأمور الناس والتدخّل في حلّ وفصل قضاياهم، بينما كنت أنت مستمراً في التحصيل لدى الأساتذة، فعلى هذا أنت أعلم منّي.

فلمّا وصل جواب الرسالة إلى الشيخ الأنصاري أخذ يبكي لعظم المسؤولية التي أُنيطت به، وتوجّه إلى الحرم المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام واستغاث به ليعينه على تأدية هذا الأمر الخطير على أحسن وجه.

تباين مواقف العلماء بين التشدّد والتساهل في الفتوى

يشق ويشكل أمر الاجتهاد والإفتاء عند بعض العلماء بينما يسهل على آخرين وذلك بسبب تفاوت المواهب الإلهية بالنسبة للأشخاص.

فالمرحوم الشيخ أسد الله التستري[1]، صاحب المقابس ـ وكان ساكناً في الكاظمية في أواخر عمره ـ مثلاً كان قد استفتاه شخص عن بعض المسائل، ثم أخذ السائل يراجعه بشكل مستمر طلباً للجواب دون أن يسمع منه جواباً غير: انتظر وعليك بالصبر وأمثال ذلك، إلى أن امتدّ الانتظار إلى ستة أشهر كان الشيخ التستري يكرّر القول فيها للسائل: الجواب غير حاضر، لم يتهيأ الجواب، عليك بالصبر.

واتفق أن زار الشيخ موسى ابن المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء الكاظمية فتوجّه السائل إليه وأعطاه نفس الأسئلة السابقة مكتوبة ليجيب عنها، وكان الشيخ حينها قد استقل العربة متوجهاً إلى مكان ما، فطلب من الخادم أن يحضر له دواة وورقة ثم كتب أجوبة المسائل على الفور وهو في تلك الحالة وناولها السائل.

---

(١) الفقيه الكبير أسد الله بن إسماعيل الدزفولي الكاظمي (ـ؟ ١٢٣٤ أو١٢٣٧) صاحب تأليفات عديدة، منها: الأنوار و نفايس الأسرار في أحكام النبي المختار و عترته الأطهار.

توجه السائل بعد ذلك الى صاحب المقابس ـ والذي كان صهراً للشيخ كاشف الغطاء ـ ليريه أجوبة الشيخ موسى و يقول له معترضاً: لقد مضى على أسئلتي عندك ستة أشهر دون جواب، بينما أجاب الشيخ موسى عنها فوراً ومن غير تأخير! فقال له الشيخ أسد الله: صبراً، ثمّ دخل إلى داخل البيت ليعود حاملاً له أجوبة مسائله مكتوبة [وتبين أنها] مطابقة لأجوبة الشيخ موسى، ثم قال له: لقد كتبت هذه الأجوبة منذ اليوم الأول ولكن ماذا أفعل فإنّ الاحتياط يمنعني من إظهارها وإعطائك إياها؟!

ولقد كان الشيخ موسى ابن المرحوم كاشف الغطاء جليلاً جداً جداً، ولعلّه كان أشهر وأجلّ أولاد كاشف الغطاء، وأخواه الآخران المرحوم الشيخ أحمد والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء كانا بالتأكيد مثله بارعين في الفقاهة.

أهمية الاحتياط وعدم خوض المجهول

نُقل أنّ شيخ الشريعة الأصفهاني رحمه الله قال: إذا وضعت مجهولاتي تحت قدمي فإنّ رأسي سيصل إلى السماء.

لقد قال هذا القول مع كلّ تحصيلاته العلمية، والتي من جملتها تتلمذه عشرة أو اثني عشر عاماً عند الميرزا حبيب الله الرشتي رحمه الله. وطبعاً فإنّ جميع العلماء قد حضروا درس الميرزا حبيب الله عدا المرحوم الآخوند الخراساني والسيّد محمد كاظم اليزدي رحمهما الله اللذين لم يحضرا درس أحد بعد وفاة الميرزا الكبير رحمه الله، اللهمَّ إلاّ درس الشيخ راضي عرب رحمه الله مادام في قيد الحياة.

إذا ساعدنا الدليل

كان المرحوم الميرزا القميّ يفتي في موارد كثيرة على خلاف المشهور ويقول:

«إن ساعدنا الدليل لا نتوحّش من الوحدة»[١].

والمقدّس الأردبيلي[٢] ـ والذي كان أول المقدّسين تقريباً ـ كان يفتي على خلاف المشهور أيضاً وكأنّه أول مجتهد، وكما قال أحد أجلاّء العلماء: لو لم يكن البناء على تقليد الأحياء وجوّزنا التقليد الابتدائي للأموات لقلنا قلّدوا المقدّس الأردبيلي قدس سره.

وكان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري أيضاً عندما يطرح رأياً جديداً يقول فراراً من وحشة الانفراد في الفتوى: ابحثوا لنا عن عالم ميّت يوافقنا في هذه المسألة.

وكان المرحوم الآخوند الخراساني يقول من على المنبر أيضاً: إذا أخبرتموني أنّ أحد العلماء قَبْلنا قد قال بهذا الرأي فإنّني سأكون مسروراً.

رعاية العرفيات الشرعية والعناوين الثانوية في الفتاوى

إن هذا باب واسع، وهو أن يراعي الإنسان العرفيات الشرعية والعناوين الثانوية وأن لا يجعل الناس يقعون في الباطل بكلامه الحقّ، وأن لا يتكلّم بأمرٍ في غير مكانه المناسب، ولو كان أصل الموضوع صحيحاً، بل يمتنع من ذلك مراعاةً لشرائط الزمان ومقتضياته. ولعلَّ قوله عليه السلام: **«أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت»**[٣] شاملٌ لمثل هذه الموارد.

لقد طلب رضاخان البهلوي[٤] من العلماء إعطاء فتوى في جواز كشف الوجه والكفّين، واستثنائهما من الحجاب الواجب. ولكن العلماء امتنعوا من ذلك؛ لأنّ معنى

---

(١) انظر: مقالات الأصول ٣٢٤/٢، الحدائق الناظرة ٣٨٧/٢٣.

(٢) الفقيه والعالم الرباني أحمد بن محمد المقدّس الأردبيلي (؟ـ ٩٩٣) صاحب تأليفات منها: مجمع الفائدة والبرهان.

(٣) وسائل الشيعة ١٦٧/٢٧، بحار الأنوار ٢٨٥/٢.

(٤) في مسألة كشف الحجاب.

هذه الفتوى في زمان كشف الحجاب هو كشف كل شيء، ولهذا كان العلماء مستعدّون للقتل، دون أن يوقعوا على هذه الفتوى. ونلجأ إلى الله تعالى في مثل هذه الابتلاءات الكبيرة.

ارتكاز المتشرّعة إحدى مصادر الأحكام

يجب الرجوع في استنباط الأحكام إلى ارتكاز المتشرّعة أيضاً؛ لأنّه في حالة فقدان الدليل اللفظي والنصّ الخاص يجب على الجميع في فهم الأخبار الرجوع إلى المرتكزات أيضاً.

يقول أحد العلماء: يجب الرجوع إلى ارتكاز الذهن في كل مسألة قبل الخوض في البحث عن دليلها اللفظي والظنّي، و[ملاحظة] أنّ المسألة بحسب الارتكاز ومرتكز المتشرّعة ماذا تقتضي من حكم.

حرية الفكر والبحث عن الحق

لا ينبغي الاعتماد على كلام غير المعصوم مائة بالمائة مهما كان هذا المتكلّم جليلاً، بل يجب احتمال الخطأ فيه، وحتى كلام المعصوم عليه السلام فإنّ له سبعين محملاً ولا يمكن الاعتماد على ظاهر معناه للوهلة الأُولى والعمل به قبل الفحص عن المعارض والصارف له عن معناه الظاهري.

وعلى هذا فإنّ أول تنبيه لطالب الفهم والمعرفة هو أن يحتمل الخطأ فيما يراه أو يسمعه من كلام حتى لو صدر من شخص جليل، ولا يصح ولا ينبغي الاعتماد على كلام وحديث شخص ما لمجرّد كونه جليلاً وعظيم الشأن، ولا تدعوا الأمور تمضي بمجرّد الاعتماد على الآخرين [والثقة بهم]؛ لأنّ هؤلاء غير معصومين.

نقل أحد الأجلاّء عن أُستاذه أنّه قال: افتحوا عيونكم جيداً في كلّ مسألة تبحثون فيها.

ويقول أحد العلماء: لقد كنت أعتمد كثيراً على آراء الآخوند الخراساني رحمه الله ولكن رأيت في بعض المواضع أني قد ظفرت به[1]، فلو قال لي الآن: إنّ اللبن أبيض فإني أفتح عيني جيداً، فلعلّه يميل إلى الصفرة!

---

(١) كناية عن إمكان الاعتراض على بعض نظرياته.

حول التبليغ والأمر بالمعروف

الاهتمام بالتبليغ

هل تركُنا لهذا النوع من التبليغ، أي تعليم مسائل الواجب والحلال والحرام، يمنع من حلول البلاء؟!

كان المرحوم الشيخ غلام رضا اليزدي ـ وهو أحد العلماء الأجلة والمرموقين ـ يذهب إلى النواحي والقصبات البعيدة للتبليغ.

ونُقل عن السيد حسين القمي رحمه الله أنّه قال: يمكن الاستفادة من منبر اثنين من الخطباء، أحدهما الشيخ غلام رضا.

وقد سمعتُ أنا أيضاً إحدى خطبه. وكان يحمل معه خبز الشعير واللبن، ويذهب إلى إحدى القرى،فيعلّم الناس قراءة الصلاة والمسائل المهمة الأُخرى، ثم ينتقل إلى قرية أخرى... وهكذا يظل في حالة مستمرة من التنقل.

لقد كان أحد علماء عصره الكبار، ولكن مع ذلك كان له مثل هذا البرنامج [فقد كان مع مرتبته العلمية تلك، حريصاً إلى هذه الدرجة على القيام بالتبليغ والإرشاد، ولهذا المستوى من العوام البسطاء، مما لا يرتضيه عادة من هو في علميته ومقامه] إذ بمقدور طالب متدين قد أنهى دراسة كتاب «المغني» أداء مثل هذا العمل.

ضرورة التبليغ في الأماكن المنقطعة

هل ينبغي لنا تجاهل وإهمال هذه الجموع الغفيرة، من المضطرّين والمحرومين والمستضعفين، الساكنين في الأماكن البعيدة، في البلاد الإسلامية أو غيرها، من المضطّرين الذين لا يستطيعون الوصول إلى أحد العلماء؟! وإذا فرضنا أن هؤلاء كالعدم، ففي هذا الحالة ألا يتجاهلنا الآخرون الذين هم أعلى منزلة وأعظم شأناً[(١)] ويعتبروننا كالعدم؟! إنّ أهل العلم الذين يذهبون إلى التبليغ، ولا يرون أنفسهم معذورين في ترك الذهاب، عليهم التوجه إلى الأماكن التي لا يذهب إليها الآخرون.

لقد كان ذلك الشيخ[(٢)] ـ مع ما له من عظمة ومقامات ـ مستعداً للقيام بذلك، في حين كان مثل هذا العمل يمكن أن يؤديه طلابه، والحجة تامة علينا أيضاً.

..أيضاً حول التبليغ ورعاية أيتام آل محمد (عليهم السلام)

كان الميرزا الشيرازي الكبيرﷺ يرسل الطلاب الذين يشخّص فيهم عدم القدرة على الاجتهاد إلى مناطقهم، بعد إنهاء دراسة «جامع المقدمات» والرسالة العملية لإرشاد الناس، وتعليمهم المسائل الشرعية، وإصلاح قراءة صلاتهم. وعلى كل حال فإلى من أوكل أمر تعليم عوام وأيتام آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين؟! فهؤلاء الأعراب الذين يسكنون البوادي، ولا يمتلكون إمكانات مادية لدعوة واستضافة أحد المبلّغين من أجل تعليم الأحكام الشرعية، ترى ركوعهم وسجودهم مجرد انحناء ونهوض [من المسؤول عنهم]؟!

يقول أحد العلماء الذي يقيم صلاة الجماعة في أحد المساجد في قم، ويعلّم

(١) أولياء الله والملائكة... الخ.

(٢) الشيخ غلام رضا اليزديﷺ.

الأحكام الشرعية: لا يصل إليّ من أهل المحلّة وأهل المسجد شيء أتقوّت به، ولكن عندما أواظب على الذهاب إلى المسجد تأتيني حوالة مالية من جهات أخرى، وعندما انقطع عن الذهاب تنقطع تلك الحوالة! إنّ أهل العلم الذين يشتغلون بتكاليفهم قد رأوا المعجزات.

قيمة التبليغ المصاحب للعلم والعمل

سمعت أنّ المرحوم الشيخ غلام رضا اليزدي[1] كان يعيش حياة مرفهة أثناء وجوده في يزد، ولكنّه عندما يتوجه الى القرى المجاورة كان يحمل معه زاده من الخبز واللبن وغيرهما، وكلما وصل قرية قام بتعليم أهلها القراءة الصحيحة في الصلاة والأحكام الشرعية الضرورية التي يحتاجونها، ثم ينتقل إلى قرية أُخرى. وكان يحمل طعامه معه في جميع الأحوال ويجتنب طعام الناس.

لقد كان هؤلاء كالأنبياء عليهم السلام في القيام بمهمة التبليغ ويؤدون ذلك من غير توقّع أجر أو منّة على أحد. والله تعالى يعلم كم لهؤلاء من مقامات! وطبعاً هذا في حالة كون المبلغ عالماً بما يفعل ويترك، وعاملاً بما يأمر وينهى. وإذا شخّص المرء أن يقدم على هذا العمل، وكان عالماً عاملاً، وكان يؤدي الشكر على العلم من خلال نشره، فله أن يرمي عمامته نحو العرش طرباً.

حول الخطابة والوعظ وقراءة العزاء

سؤال: قد لا يسمح الإنسان لنفسه في بعض الأحيان أن يرتقي المنبر، لأنّه يعلم بأنه لا يعمل بكل ما يقوله، فهل هذا العمل صحيح؟

---

(١) آية الله الشيخ غلام رضا اليزدي (١٢٩٥ـ ١٣٣٨ شمسي) صاحب مفتاح علوم القرآن.

الجواب: إنّ من أهم الواجبات هو هداية إنسان إلى الطريق الصحيح، كهداية سنّي إلى التشيّع، وهداية كافر إلى الإسلام، وما علاقة هذا بكون الإنسان فاسقاً؟! وفضلاً عن ذلك فليتحدث بما لا يستطيع الآخرون التحدّث به كفضائل أهل البيت عليهم السلام حتى لا يكون عمله مخالفاً لقوله.

يرى الشيخ هادي الخراساني رحمه الله في إحدى المرات النبي صلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا في أيام الفاطمية فيقول له: لماذا لا تقرأ التعزية؟

ألا ترى مجالس العزاء منصوبة؟!

وكذلك فإنّه نظر مرّة في الطاق الذهبي لحرم أمير المؤمنين عليه السلام فرأى السيّدة فاطمة عليها السلام تدخل مجلس العزاء، وقد وضعت يدها على ضلعها. وعندما يستيقظ يذهب إلى منزل السيد أبي الحسن الأصفهاني ظاهراً أو المرحوم الميرزا النائيني رحمهما الله ليجد [نفس الوضع الذي شاهده في عالم الرؤيا] والمرحوم الشيخ محمد علي الخراساني على المنبر [أثناء قراءته العزاء].

الوصيّة المؤكدة لأهل المنابر

جرت العادة على أنّ أهل العلم والخطباء لا يقرأون من الكتاب الموضوعات التي يتحدّثون بها وهم على المنبر، وهذا خلاف الاحتياط، خاصة في نقل الرويات، وخاصة في شهر رمضان.

وقد سمعنا أن المرحوم الشيخ عباس القمي[1] عندما كان يصعد المنبر في مدينة مشهد كان يقرأ من الكتاب، ولكنّة في النجف كان يقرأ من على المنبر من غير كتاب.

وكان الشيخ مهدي الواعظ الخراساني رحمه الله الذي كان معروفاً بتبحّره في هذا الفن

(١) الشيخ عباس بن محمد رضا القمي (١٢٩٤ـ ١٣٥٩) صاحب «مفاتيح الجنان» وتأليفات أخرى.

ـ والذي أُبعد عن إيران في حكومة رضا بهلوي، وكانت له غرفة في مدرستنا[١] ـ يطالع الموضوع الذي يريد التحدّث به قبل ارتقائه المنبر كما يطالع المدرّس درسه قبل الشروع فيه، مع أنّه صاحب تاريخ في هذا الفن يناهز السبعين عاماً.

وليس هنالك عمل يؤتى به مع الاحتياط ثم يلحقه الندم.

الخطيب الذي كان لا يتكلم إلاّ بالروايات

حضرت ذات مرة في مدرسة الشيرازي في سامراء، حيث يقيم البغداديون وأهل الكاظمية مجلس العزاء في الثالث من رجب (يوم وفاة الإمام الهادي عليه السلام) فارتقى المنبر واعظ عجوز، وكان سيداً نحيفاً وطويلاً، ومحل احترام كبير من الحضور. وكان خطيباً حقاً، لقد كان كل مجلسه روايات، ولم أرَ قبله ولا بعده أحداً مثله. فلم يكن يذكر في خطابه من أول كلامه إلى آخره كلمة من غير الروايات، وكان حريصاً جداً على أن لا يتجاوز في كلامه الروايات، وكلّما قرأ رواية يصعب فهم معناها، أردفها مباشرة برواية أخرى توضح معنى الرواية الأولى، فيبين معنى الرواية بالرواية أيضاً. وكان يختار الروايات القصيرة إلى حدّ ما بحسب الحاجة.

وفي الواقع أنّ من كمال الإنسان أن يتحدّث ساعة كاملة دون أن يقول شيئاً من عنده! وأنا أتعجّب الآن كيف قرأ المصيبة في مجلس العزاء!

نعم، لقد رأيت أيضاً خطيباً آخر عكسه تماماً، فلم يكن في مجلسه حتى رواية واحدة، ولم يكن في خطابه غير أمريكا كذا وروسيا كذا!

إننا ما زلنا نائمين، وإلاّ فكيف فقدنا النعم التي كانت بأيدينا بسبب عدم الشكر والكفران، اللهمّ إلاّ أن يردنا من أوربا ما ينبّهنا إلى أنّ هذا الموجود عندنا هو كنز!

---

(١) مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي في النجف الأشرف.

مستحبّ فيه ألف واجب

من المعلوم أنّ صلاة الليل مستحبة كالمجلس الحسيني، فإنّه عندما منع رضاخان من إقامة المجالس الحسينية خاطب أحد أصحاب الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله الشيخ قائلاً له: ليس بالأمر المهم فقراءة العزاء عمل مستحب وقد منع منه الشاه البهلوي [رضا خان] فأجابه الشيخ الحائري رحمه الله: نعم، هو مستحب لكنه ينطوي على ألف واجب.

والله يعلم كم من الأحكام الواجبة والأمور الأخرى من سيرة وكلمات سيد الشهداء وسائر المعصومين عليهم السلام، ممّا ينقل في مقدمة قراءة المجلس الحسيني، ويكون سبباً في تقوية الدين وموجبا لزيادة إيمان الناس.

النهي عن المنكر والتسامح

كم هم الناس مختلفون؟ فبعضهم لو صدر منه أذى تجاه أحد بغير حقّ فإنّه ربما لا ينام الليل. وبعضهم يكون حليماً حتى لو أُعتدي عليه، ومن أهل العفو والصفح والإغماض.

وعلى أية حال فيجب الامتناع عن إيذاء الأبرياء، ولو بالنظرة الحادة والإخافة.

لا أدري ما الذي حصل من الكلام بين أحد العلماء المعروفين في إيران أو عائلته وبين ضابط برتبة مقدّم أو عقيد، حيث لطم الضابط ذلك العالم الذي لم يعمل شيئاً ولم يكن من أهل الجدل والعراك، ومضت مدّة على ذلك دون أن يرتّب العالم على الأمر أثراً.

النهي عن المنكر عند البعض هو نفس العفو والصفح، وطبعاً فإنّ هذا الموقف قد يكون أثره عكسياً، حيث يكون سبباً في تقوية الطرف المقابل وجرأته أكثر على

المنكر، فلا يكون جائزاً في هذه الحالة.

وقد جاء في حديث عنوان البصري: «فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل له: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة»(١).

وعلى كل حال فإنّ تحمّل الاعتداء يختلف بحسب المعتدين، ويدور مدار الأشخاص، ويختلف باختلاف الموارد. فكم من الأشخاص يسيئون استغلال اللطف والعفو، ويستمرّون باعتدائهم وتجاوزهم..

يقول خروتشوف: الفرق بيني وبين المسيح عليه السلام هو أنّه قال: إذا ضربك شخص على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، ولكنّي أقول: إذا ضربك أحدهم على خدك فاضربه على رقبته ضربة أشد.

ولكنّه لم يفهم ـ وقد وضع نفسه في صف الأنبياء عليهم السلام ـ ما هو مقصود المسيح عليه السلام؟ ومع أي شخص يفعل ذلك؟(٢)

برسم قرّاء العزاء

جاء شخص في كرمانشاه إلى العالم الكامل محمّد علي بن الوحيد البهبهاني صاحب «مقامع الفضل» وغيره، فقال: رأيت في المنام أن أسناني تقطع لحم بدن الإمام الحسين عليه السلام! وحيث إنّ الفاضل محمّد علي لم يعرف هذا الشخص، أطرق برأسه إلى الأرض، وأخذ يفكر، ثمّ قال له: لعلّك خطيب منبر (قارئ عزاء)؟

---

(١) مستدرك الوسائل ٢٩٠/١١، بحار الأنوار ٢٢٦/١، مشكاة الأنوار: ٣٢٥.

(٢) لأنّ مقصوده عليه السلام قطعاً ليس هو إظهار التواضع والحب والعطف في مقابل الأعداء، بل مع الأصدقاء وإخوانه في الدين، يقول الله تعالى في وصف المؤمنين الحقيقيين: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩.

قال: نعم، فقال له: إما أن تترك المنبر، أو تنقل من الكتب المعتبرة.

لا ندري لعلّ عمله أفضل من عملنا

كان أستاذنا(١) يلقي دروسه في علم أصول الفقه بعد الغروب، وفي إحدى الليالي ارتقى المنبر خطيب [قارئ عزاء] قبل بدء الأستاذ بدرسه وأطال في خطبته [وقراءته] إلى حدّ زاحم وقت الدرس، فصاح به الطلاب بسبب طول خطابه، فردّ عليهم الأُستاذ قائلاً: [دعوه إذ] لا ندري لعلّ عمله أفضل من عملنا.

الشيخ هادي الخراساني بين المرجعية والخطابة

يعتبر الشيخ هادي الخراساني رحمه الله من علماء عصرنا، ولعلّه لم يتفق لي رؤيته. لقد كان ذا مقام رفيع، وقد صنّف مجموعة من الكتب، ولكن لا أدري هل طُبعت مؤلفاته أم لا. وقد نقل عنه قوله: لقد اجتمع أهل العلم حولي بعد وفاة المرحوم السيّد محمد كاظم اليزدي، وطلبوا منّي التصدّي لتدريس البحث الخارج، ولكنّي رفضت ذلك، واعتزلت التدريس والرئاسة والمرجعية، بسبب صعوبة الأمر وعظمة التكاليف.

إنّ كثيراً من العلماء رفضوا التصدّي للرئاسة والمرجعية، ولعلّ بعضهم كان يرى نفسه أعلم من الآخرين.

وكذلك نُقل عنه قوله: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا وسألني: لماذا لم تقبل التصدي للمرجعية؟

(١) هو المحقّق الكبير المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني «١٢٩٦ ـ ١٣٦١»، له تأليفات عديدة منها: حاشية على كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري، وحاشية على كفاية الأصول، ونهاية الدراية في شرح الكفاية.

فقلت له: ثقيلة وصعبة.

فقال: إذن ارتقِ المنبر للخطابة، ولكن بثلاثة شروط:

الأول: لا تخلف موعداً تعطيه لارتقاء المنبر.

الثاني: خذ كل ما يعطونك في مقابل خطابتك، ولا تهتم لقلّته أو كثرته.

الثالث: إذا كنت على المنبر، وفي أثناء الخطابة شرعوا في تقديم الماء أو الشاي أو غيره للجالسين، فلا تنتقد ذلك، ولا تتضايق منه.

وقد نقل هذا أحد خطباء طهران الممتازين، وكان قد حضر تحت منبر الشيخ هادي الخراساني. وقال عنه: إذا قالوا يوجد خطيب مثل الشيخ هادي الخراساني أو أفضل منه فلا تصدّق.

عن الميرزا هادي الخراساني

عندما جئنا إلى كربلاء كانت آراء الميرزا هادي الخراساني رحمه الله معتبرة في كربلاء والنجف فيما يرتبط بموضوعات مقاتل الأئمة عليهم السلام والموضوعات التي لم يُتيقن بها لأنّه كان يستدل على الموضوعات المختلف فيها بأدلّة متينة، ولقد كانت هذه المسألة من الغرائب والعجائب. ومن جملة ذلك ما ينقل عنه خطباء المنبر الحسيني من قصّة طفلي مسلم وكيفية استشهادهما.

ولكن مع الأسف فمع جميع ما بذله من جهد وجمع للأدلة والوثائق وما امتلكه من دقة، ورغم كونه حائزاً لمقام المرجعيّة، لا يُعلم إن كانت أقواله وكتاباته قد جُمعت ودونت أم لا؟



الفصل الثالث:

خطب وتوجيهات ومواعظ متفرقة



حديث مع الطلبة:

حدثت في إيران بعض القلاقل السياسية قام على أثرها طلاب الحوزة العلمية في قم باعتصام في المدرسة الفيضية. وقد توجهت مجاميع منهم بعد الاعتصام إلى المسجد الذي يلقي فيه آية الله بهجت محاضراته في الفقه والأصول فألقى فيهم كلمة مطولة اقتطفنا منها ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

ما الذي يجب علينا القيام به تجاه الابتلاءات الداخلية والخارجية؟ ماذا علينا أن نعمل؟ ما الذي فعلناه حتى ابتلينا بهذه الأمور؟ علينا التفكير بهذا الأمر أنه ما الذي فعلناه حتى صرنا بلا قائد (إمام)؟

إن المشكلة تكمن في أننا لم نصلح أنفسنا، ولا نقوم بذلك، ولن نقوم به فنحن لسنا مستعدين لإصلاح أنفسنا. ولو كنا قد أصلحنا أنفسنا لما ابتلينا بهذه البلايا.

يقول النبي الأكرمﷺ: «**ألا أخبركم بدائكم ودوائكم، داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار**».

إننا نريد أن نفعل ما نهواه لكن لا حقّ للآخرين في الإساءة إلينا!!؟

نحن لنفعل ما نشاء في حقّ أصدقائنا والمقربين منا. وأما الآخرون! الأعداء! فلا يحق لهم الإساءة إلينا!

لو أصلحنا أنفسنا فالله تعالى كاف، والله هاد. إننا لا نريد إصلاح أنفسنا، وفي نفس الوقت نريد ألا يؤذينا الآخرون. [مع العلم] إن أولئك الذي طبعهم الأذى [سوف]

يقومون بعملهم، ما لم يمنعهم من ذلك كاف وحافظ.

لو كنا نحن سائرين على الطريق، لو سرنا على الجادة، فمن كان ليقتل أمير المؤمنين عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام، ومن كان ليجعل [إمامنا الغائب] الآن، ومنذ ألف سنة إلى الآن، مغلول اليدين.

نحن لسنا على استعداد لإصلاح أنفسنا. فلو أصلحنا أنفسنا لصلُح جميع البشر بالتدريج.

نحن نريد أن نكذب عندما نشعر بالرغبة في ذلك، لكن لا حق لأحد في أن يكذب علينا. نحن نؤذي اصدقاءنا وصلحاءنا، لكن لا حق لأهل السوء في إيذائنا.

كن منسجماً مع الله عز وجل فهو يصلح الأمر، لماذا تفعل كل ما ترغب فيه في السر والعلن؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[1].

أفهل يمكن ألا نكون مع الله، و[وفي نفس الوقت] يكون الله عوناً لنا في كل أمر جزئي أو كلي، وفي الأمور الداخلية والخارجية؟! إذن لا ملجأ من البليات الدنيوية والأخروية، والداخلية والخارجية، إلا إلى الله، والكون معه، والاندماج مع أهل الله وأتباعهم.

لو ابتعدنا عن الأنبياء والأوصياء، فإن ذئاب الداخل والخارج سوف تلتهمنا على الفور.

ولو كنا ممن يخشى الله؛ فسيخافنا من لا يعرفنا أصلاً، ولا يعرف شيئاً عن ماهية

---

(١) الطلاق: ٢-٣.

عملنا، سيخافون إثارة غضبنا عليهم، لماذا؟ لأننا إذا كنا مع الله، فغضبنا يكون غضب الله عز وجل.

لقد طلب الجن من الإمام الحسينعليه السلام أن يأذن لهم في إهلاك أعدائه، ليقوموا بذلك على الفور، قبل أن يتحرك من مكانه، فأجابهمعليه السلام بأنه أقدر منهم على ذلك لو شاء ـ فهو من يعرف الاسم الأعظم ـ لكن إذا لم يُقتل، فبماذا يمتحن هؤلاء الناس وأحوالهم هذه الأحوال.

هذه الدار دار امتحان. اشتغلوا بالتفكير في إصلاح أنفسكم، لكيلا يبقى عائق أو مانع فيما بينكم وبين ربكم. لو أصلحتم ما بينكم وبين الله ووسائطه [من الأنبياء والأوصياء] وأزلتم الموانع، فالله يصلح ما بينكم وبين الخلق.

الآن، لقد وقعت الواقعة، لقد أوصلنا الأمور إلى مرحلة حيث صرنا أعداء لبعضنا شبراً فشبر.

لقد رأينا كل تلك الأمور وهي من أعمالنا، وإلا فلماذا يكون المسلمون أعداء بعضهم لبعض، فضلاً عن عداء غير المسلمين تجاههم، لماذا يكون الأمر بهذا النحو؟

كل ما نراه فهو من أعمالنا. فهل يجب أن نتوب من أعمالنا أم لا يجب علينا ذلك؟ لنختر ما هو الأصلح حالياً لنا!! أيها السادة ليس هناك ما هو أصلح من أن نكون نحن أنفسنا صالحين.

الآن، وقد فعلنا هذه الأفاعيل، علينا أن نتوب، أن نتضرع عند ذلك الباب العالي والباب الأعلى، علينا التوجه إليه ليمنحنا النجاة أولاً من شر أنفسنا وداخلنا، بعد ذلك من شر الأجانب «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**» هذه الشهوات، وهذا الغضب بلا مبرر، والشهوات في غير محلها، كلها جنود الشياطين، جنود الكفار في داخل الإنسان.

آخر الأمر، الآن وقد وصل بنا الأمر إلى هنا، فنحن نعلم أن دواءه الاستغفار، فهل نستغفر؟

لا مفر لنا سوى التوجه إلى الله عز وجل، وإذا لم نتجه إليه، فلو ارتفعت الموانع أيضاً، فإنها إنما ترتفع مؤقتاً، ولا ترتفع بشكل دائم.

علينا أن نعلم بأن علاجنا هو إصلاح النفس في جميع المراحل، ولن نكون في غنى عن ذلك، ولن يتمَّ أمرنا دون ذلك.

مع الاعتراف بأن ما حلّ ويحلُّ بنا إنما هو نتيجة أعمالنا نحن، فما لم نصلح أنفسنا، وما لم نرتبط بالله عز وجل وبخلفائه فإن أمرنا لن يصلح. والتَّسويف إلى غد وبعده لن ينفع.

ما لم تتقوَّ علاقتنا بولي الأمر إمام الزمان صلوات الله عليه [فلن يصلح أمرنا]. فهل يصلح عملنا من دون إصلاح النفس؟ نحن المجتمعون هنا ـ وإن كان هناك كثيرون يلتقون معنا في العقائد وجميع الميول ـ هل يمكن أن يصلح الأمر من دون إصلاحنا أنفسنا؟ هل يمكن أن يتم الأمر ما دام في العالم راش ومرتش؟

ينقل «الخوارزمي» ـ من علماء السنة ـ أن أحد رؤساء جيش أمير المؤمنين عليه السلام في صفين تمكن من الوصول إلى عند خيمة معاوية بن أبي سفيان بنحو كان قتل معاوية فضلاً عن أسره ـ بالنسبة له ـ أسهل من شرب الماء. ولم يورد في هذا النقل أي ذكر عن تلك القضية عن مالك الأشتر هناك في تلك الجبهة.

في تلك الحال يرسل معاوية لهذا الشخص إنك قد أنجزت عملك واعترفنا لك بالغلبة. لقد «**ظفرت ونصبت**»! انتهى الأمر، لكننا نقول لك: إن تراجعت أعطيناك خراسان، فاختر أيهما شئت، فهل تريد خراسان؟ أم تريد التقدم والقضاء علينا؟ وكان أن تراجع ذلك الشقي. لقد كان يريد خراسان كمثل عمر بن سعد الذي كان يطلب

الري، وانتهى الأمر كما نعلم جميعاً، لقد باع هذا الشقي دينه بدنياه وخسر الدنيا والآخرة فلقد مات وذهب إلى جهنم قبل أن تقع خراسان بيد معاوية، ولم ينل أي شيء لا خراسان ولا الجنة. لقد فقد خراسان بالإضافة إلى سقوطه في جهنم كعمر بن سعد.

ما لم نصلح أنفسنا فهل بإمكاننا إصلاح مجتمعنا. إنك إذا لم تصلح نفسك ففي آخر الأمر سوف تقوم بعملك، إذ سيهمسون في إذنك [لرشوتك] بالمبلغ الذي لم تحلم به.

هل يمكننا إتمام عملنا من دون إصلاح أنفسنا؟

إن أولئك الذين يتعاملون بالرشاوى لا يطّلع على أحوالهم أحد ليعرف ثباتهم وعدمه، وهل هم مرتشون أم غير مرتشين. وعليه فنحن لا نريد [إصلاح أمورنا]، ومع أننا لا نريد ذلك فإننا نريد قطع هذا الطريق.

هل يمكن لأحد أن يسعى لإصلاح بلد [يعشش] فيه الجواسيس وأهل الرشاوى، من راش ومرتش، أو ساع في ذلك. إذ لا فرق في ذلك [من حيث الفساد]؟ إن هذا محال. بل سنجعل الوضع أكثر سوءاً، ولو لم نُقدِم لما صار كذلك.

خلاصة الأمر: علينا إصلاح أنفسنا. وينحصر الحل في ذلك، وإلا ألم يرتش ذلك الشخص في إيران، ألم يعطوه إيران شرط أن يكون خادماً لهم؟ ألم يعطوا تركيا لمصطفى كمال شرط أن يكون خادماً لهم، ويتنازل عن المستعمرات للكفار؟ عليك تلبية كل ما نطلب. هذا هو عملنا، فهل هؤلاء جاؤا من جهنم ونحن جئنا من الجنة؟ نحن أيضاً علينا أن نخاف من أنفسنا، الآن ولله الحمد لم تحصل قضية كهذه بأن يقولوا لنا نعطيك ما لم تحلم به [مقابل...] وبعدئذٍ أيضاً يعرفون كيف يسلبوننا إياه أضعافاً مضاعفة.

لا يمكن أن يحصل أي تقدم أو نقدّم أي شيء لمجتمعنا من دون إصلاح النفس

إذ سنكون ممن يمشي نصف الطريق ونتخلى، وذلك عند مسيس الحاجة أيضاً.

فماذا علينا أن نعمل الآن؟ نفس ما قلناه. لا يمكن التخلي عن الإصلاح. حسناً فالآن أين يكمن إصلاحنا الفعلي؟ إنه يكون في العودة عن الأعمال التي نقوم بها في الداخل والخارج، ونحن نعلم [وضعها]. وعن العلاقات التي نقيمها مع الأجانب، العلاقات التي تكون لصالحهم، لا عن العلاقات التي تكون لصالحنا. وإلا فمع هذا القرآن الواضح وأشباهه، كالصحيفة السجادية ونهج البلاغة، التي لو أُذن للحائط لصدق كلامنا، وأذعن بواسطتها وصار معنا، فكيف تخلّفنا هنا بأن صرنا نمد يد الاستجداء إلى مجموعة من الوحوش والحيوانات المفترسة رغبة في أن يقرضونا.

لذا فهذه الأعمال نحن الذين ارتكبناها. ولا حل إلاّ بالامتناع عنها فيما بعد! لنعرف أنفسنا ولا نسمح لهم بالدخول بيننا والعمل ضدنا في الداخل.

ألا يمكننا ـ على الأقل ـ معرفة أنفسنا، والمفسد من المصلح، أفلا يمكننا ذلك؟

علينا [بأي شكل كان] أن نصلح أنفسنا. ألا يمكننا أن نقول: [إن ذلك الشخص مثلاً] قد ارتكب العمل الفلاني، أو أطلق الكلام الفلاني مثلاً، وقد شهد فلان [أو أنه مثلاً] الذي أفشى تلك الكلمة الفلانية، أو صرح بالتصريح الفلاني هو الشخص الفلاني وقد سُجِّل كلامه في المكان الفلاني. اعرفوا أولئك الذين يرتكبون هذه الأعمال! اعرفوهم [منذ الآن] لئلا تقولوا غداً لم نكن نعلم، أو لم نكن نعرف حقيقة هؤلاء الأشخاص، وما الذي حصل وما لم يحصل، ومن كان قد تكلم بذلك.

في النتيجة علينا أن نوضح لبعضنا البعض ونميِّز بين الصديق وغيره، ومن يكون صديقاً مؤقتاً الله يعلم مدة صداقته ومدى عطائه وحدود تلبيته لرغباتنا [وحاجاتنا] النفسية.

عليكم بالخوف لأجل الدين والله. لا تبث شكواك لمن لا تعرفه ولا تصاحبه، كن

محيطاً بما حولك بشكل كامل.

[إلى أن قال دام ظله في التحذير ولزوم الاحتياط من خداع الأعداء]:

إننا مع كوننا نرى كل هذه الأمور لا تبدر منا الخشية تجاه الآخرين! فهل [درجة] توكلنا على الله كبيرة، وهل قوة إيماننا كبيرة!؟ فلا نخشى أن يخدعنا أحد.

أيها السادة إنهم سوف يأتونكم عبر أصدقائكم لا بواسطة أعدائكم.

في النتيجة علينا القيام بهذه الأمور [الحيطة والانتباه] لكيلا تختلط أمورنا، ولا تتلوث أجواؤنا ولكيلا يزداد الفساد بيننا عما هو عليه الآن.

هذا أمر، والأمر الثاني: أن نطلب من الله في خلواتنا معه، وفي تضرعاتنا وتوبتنا وصلواتنا وعباداتنا، وخصوصاً بالدعاء الشريف «**إلهي عظم البلاء وبرح الخفاء**» أن يصل صاحب الأمر وأن نكون معه. فإذا أظهره الله تعالى فهو المطلوب، وإلاّ [فليكن طلبنا أن] لا نبتعد عنه، ولا نبتعد عن رضاه، فإنه يرى ويعلم ما نتكلم به مع بعضنا، إنه عين الله الناظرة، وأذنه الواعية، ويسمع كلامنا قبل أن نسمعه نحن. بل بمجرد أن نتكلم فهو يسمع كلامنا، فإن الكلام يحتاج لمدة ليصل من اللسان إلى الأذن لكنه يسمعه قبل هذه المدة، فهل يمكننا مع هذا أن نقوم بعمل لا يدركه؟ هل يمكننا أن، نفعل فعلاً لا يعلمه؟

ينقل أن رجلاً وامرأة من البوذيين، وممن يوجد في دينهم تشريع النكاح وحرمة السفاح ـ تواعدا على الفحشاء فبحثا عن مكان خال لذلك، فوجدا بيتاً خالياً لا يتمكن أحد من الدخول إليه، واختارا ـ كما قيل ـ غرفة من هذا البيت مقفلة، لو فرضنا دخل شخص ما المنزل لا يتمكن من دخولها. لكن عندما دخلاها ولم يعد هناك أي مانع في البيت فضلاً عن الغرفة (تنقل هذه القصة في كتاب المحجة البيضاء. لكن لها مثيل في قصة يوسف وزليخا) التفت أحدهما إلى وجود صنم في الغرفة، فقام وغطاه بثوب

لكيلا يتمكن الصنم من مشاهدة ما يفعلانه، لكيلا يرى ذلك الإله الكاذب ما يرتكبانه.

فهل يمكننا نحن إخفاء أعمالنا عن الإله الحقيقي، بنحو لا يرى ولا يعلم ما نرتكبه من أعمال.

يأتون إليك قائلين: ليس في الأمر شيء، مجرد كتابة، فاسمح لنا بتوقيعها. لا داعي لأن تزعج نفسك بإمضائها، بل ائذن لنا بالتوقيع نيابة عنك، ويتم الأمر... وهذه أجرتك وثمن عملك... وما شابه ذلك.

والخلاصة: أننا لا نقدر على إخفاء أعمالنا عن الله عز وجل، فهو قادر، ناظر، عليم حكيم. وما لم نخضع له فلن يصلح أمرنا. فماذا علينا الآن؟

يجب أن نخاف من أنفسنا فضلاً عن الآخرين. لأننا لا ندري ما الذي سنواجه به غداً.

أجل! علينا أن نحتاط من أنفسنا، ونلتفت جيداً لكيلا نغوى من داخلنا ونهدد من داخلنا، أن نطمع كذلك، وعندما نحرز هذه المطالب كلها فلا نترك التضرع والإنابة والتوبة وطلبها، وطلب توفيقها في الخلوات مع إلهنا.

نسأل الله عز وجل متوسلين بأنبيائه وأوصيائه ووصيه الحاضر، والذي هو حاضر عند العارفين، ألا يحرفوننا عن النهج الرباني، وعن الربانيين، وعن وسائط الإمداد الإلهي، وأن يمنحنا البصيرة والتبصر، وأن يجعلنا عارفين بأنفسنا، عارفين بأهل خطّنا وعارفين بالربانيين، وعندئذ نعرف مخالفيهم أيضاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقتطفات من مواعظه حفظه الله في بعض اللقاءات

بسم الله الرحمن الرحيم

على الجميع أن يعلموا [أن عليهم] التوجه في الأمور العلمية لما يبقى لهم، دون الزائل الذي يفنى.

الأعمال الصالحة، الطاعات الإلهية، ما يقرّب إلى الله عز وجل فإنه يبقى مع الإنسان، ويحمله الإنسان معه من هنا إلى يوم القيامة، وإلى ما بعد القيامة، وحيثما حلّ.

الأعمال الصالحة للإنسان، الأعمال الباقية له لا تفنى، فليعلم بأن الطاعات والعبادات والمقرّبات ليس مما يزول بخراب البيت مثلاً، أو بانفصال البدن عن الروح، فهي باقية وثابتة، بل ستظهر صورة معنوية منها هناك لكل فرد بحياله.

ولكي لا تغفلوا! فإن أولئك الذين استشهدوا أو قدّموا شهداء إنما مضوا في سبيل الله، وكانوا ماضين في طريقه، والله تعالى يعلم أي تاج وضع فوق رؤوسهم بالفعل، وإن كان البعض لا يرون ذلك إلاّ بعد مغادرتهم هذه النشأة.

وربما كان للبعض ممن هم من أهل الكمال أن يروا هنا أيضاً، أن فلاناً [مثلاً] يمتلك تاجاً على رأسه، بينما «فلاناً» الآخر لا يمتلك ذلك!

والمقصود أن استشهاد أقارب المرء هو بنفسه كرامة من الله عز وجل.

والشهادة ـ لو أردنا تقييمها ـ فهي مما يوجب المسرة لا الحزن ـ فهذا الحزن الذي يظهر في الإنسان سببه أن ذلك الشهيد قد ارتحل إلى تلك الغرفة مثلاً، بينما بقينا نحن

في هذه الغرفة، ولا نفكّر عند ذلك في أفضلية حاله من حالنا، وبأننا مكدّرون، بينما هو في راحة، ولا نفكر في الأمور التي جعلها الله له الآن، بينما لا يُدرى كيفية ارتحالنا نحن، هل نمضي مع الإيمان أم بدونه؟ هو قد مضى مع الإيمان [مؤمناً] وبهذا النحو أيضاً: لقد مضى شهيداً.

علينا أن نفهم أن الشهادة من موجبات السعادة، وأنها ترتقي بكل فرد إلى أعلى ولا تنزله إلى أسفل، وهذا البيت ليس بالبيت الذي نبقى [نخلد] فيه. بل على الفرد منا أن يجمع هنا أموراً معينة للمكان الذي سوف يعيش فيه.

عند ذلك، هناك يعلم مدى عظمة ما يجمعه هنا. فهناك يعلم بأن هذا كاف وواف، وهذا غير معروف هنا [لا يُعلم هنا].

الله يعلم كم من الآثار المعنوية للصلاة الواحدة [على محمد وآل محمد] التي يدعو به المرء هنا ويهدي ثوابها للميت. وأية صورة وأية واقعية [حقيقة] لهذه الصلوات نفسها. علينا أن لا نهتم للقلّة والكثرة، بل ليكن اهتمامنا للكيفية.

لو أنفق المرء شيئاً من ماله لله ـ ولو كان زهيداً ـ وأنفق في المقابل الآلاف من الذهب والفضة دون أن يكون ذلك لله، فذاك [أي ما كان لله] من الباقيات، بينما هذا [ما كان لغير الله] من الفانيات.

إن الإنسان يترقى باستمرار، وينمو آناً فآن. ومن المحال أن يقوم بعمل خير لله عز وجل ويكون مغفولاً عنه ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾[1] [فمن المحال إذن] ألاّ يطّلع عليه الملائكة، أو لا يكتبه أحد أو يقوم بتسجيله.

علينا الالتفات! فكل خير أو شر يصدر من أي كان سيكون هناك بارزاً [ظاهراً].

---

(١) سبأ: ٣.

والله يعلم مقدار الناظرين والذين سيطّلعون على هذه الأوضاع! والله يعلم أي جزاء ثابت سيؤدى للإنسان على أعماله، خيراً كانت أم شراً!

لا ينبغي التوهم أنّ المسألة مسألة قلة وكثرة. بل المدار على الكيفية. فإن كان [العمل] لله [فله قيمته] حتى لو كان قليلاً، وإن كان لغير الله [فلن ينفع] ولو كان كثيراً. ومن الضروري [المفروض] أنه يجب ملاحظة ما يقوله [دستور] دفتر الشرع ليرى ما الذي يجب فعله أو تركه في ذلك المورد. إننا ضيوف الله وعلى سفرته، وهو يرانا ويعلم ما الذي نفعله، وما الذي نفكّر بإتيانه. فهو يعلم أفضل منا بخيالاتنا [بأفكارنا].

إننا [مثلاً] نتصور أموراً ونتصور تحققها في الواقع [في حالات يكون] الله تعالى يعلم أن الأمر بالعكس، فما نتصور تحققه لن يتحقق، وما نتصور عدم تحققه هو الذي سوف يتحقق. إنه تعالى مطّلع إلى هذا الحد.

«**الله تعالى مطّلع**» وهذا جليّ. فرسله في كل مكان، عن اليمين والشمال، ومن هذه الجهة وتلك، موجودون في كل مكان.

لا يمكن إخفاء شيء عن الله عز وجل. حسناً، فإذا كان من غير الممكن إخفاء شيء، والله تعالى يرى ويعلم، وهو قادر أيضاً، وثمة أشياء يحبها، وأخرى لا يحبها، وذلك إنما هو لأجلنا، وإلاّ فلا يختلف الأمر بالنسبة له. فإذا كان الأمر كذلك، فهل نحن بحاجة لأن نعلم أكثر من هذا المقدار: بأن «**الله مطلع على ظاهرنا وباطننا**»!؟

لقد تجسّم الشيطان الملعون للنبي يحيى عليه السلام وقال له: أنصحك أموراً خمسة: فقال عليه السلام: تكلّم.

فتكلّم الشيطان في البدء بكلمة حكمة جيّدة جداً، والثانية أيضاً كانت حسنة جداً، والثالثة كذلك، والرابعة رأى أيضاً أنها حسنة جداً.

[عندئذ] قال له النبي يحيى صلى الله عليه وآله: الآن فاغرب! ففي الخامسة سوف تقوم بعملك.

اذهب! فالخامسة لا أريدها، إذ لا بدّ أنك ستقوم بعملك فيها، وإلاّ فلن تكون إبليس. فإبليس داعية الشر، وكل هذا كان مقدمة ليقوم ـ آخر الأمر ـ بعمله.

[تنبّهوا] التفتوا أيضاً إلى أن حياة الإفرنجة بالجواسيس، وكل ما حلَّ بنا لحد الآن منهم فقد كان بواسطة الجواسيس.

التفتوا! انظروا حواليكم فأحياناً يصلون إلى الجاسوس عبر عدة وسائط.

هذا نحو من الفطانة، ونحتاج إلى أن يمنحنا الله هذه الحذاقة لكيلا نخدع بالأكاذيب، فإنهم يكثرون من الصدق في ما يقولونه لنا، إلى أن يبيعوا [يسوّقوا] كذبهم.

إلى أن قال دام ظله:

عليكم الانتباه! فلا حيلة إلاّ باللجوء إلى الله والتوسل. ليكن القرآن معكم في يد والعترة في اليد الأخرى. العترة: معارفهم في مثل «**نهج البلاغة**»، وأعمالهم في مثل «**الصحيفة السجادية**»، وأعمالهم التكليفية في مثل هذه الرسائل العملية.

لا تدعوهم يخرجونكم منهم، بل ميزتنا نحن من بين المسلمين وغير المسملين هي أننا نمتلك أصلين ينفعان للدنيا والآخرة، ففي أمر دنيانا أيضاً، لو أصبنا بمرض أو حل بنا بلاء ما، فإنه ينالنا الفرج بمجرد أن نتوسل بهم.

هذه الميزة خاصة بالشيعة، إذ لا يوجد هذا الأمر لدى أهل السنة، بل هم لا يسمحون لعلماء الفقه بأن يتدخّلوا في الأمور العقلية، فيجب الرجوع في المسائل العقلية إلى أبي الحسن الأشعري أو إلى المعتزلي... وفي الشرعيات المرجع أبو حنيفة مثلاً، أو الشافعي وأمثالهما، وهم يعجبون كيف يجعل الشيعة شخصاً واحداً مرجعاً للأمور الشرعية والعقلية معاً.

أئمتنا مراجع في المعارف والعلوم العقلية، كما أنهم كذلك في الأمور الشرعية

والتكليفية أيضاً، إنهم ـ غيرنا ـ لا يعرفون أن لدى الأئمة أيضاً أموراً أخرى غير هذين الأمرين [الشرعيات والعقليات] إذ أمر هذين سهل [قياساً بما يمتلكونه] فلديهم سبل التوسل والحفظ والتحصين أيضاً. ومنهم [نتعلم] طريق مناجاة الله عز وجل، وطريق العبودية له والأعمال، بل نستطيع باتباعنا لهم أن نستغرق أوقاتنا كلها في طاعة الله [بنحو] لا نخرج عن الطاعة في كل ما نقوم به.

والمقصود أن تنتبهوا: إذ الذئاب كثيرة في هذا العصر، فإنهم يمتهنونكم، لكن بمقدورهم فيما بعد أن يعطوكم الطعام المسموم، ويفرغوا من أمركم بعد أن يكونوا قد أخذوا الأمر منكم واستخدموكم، ومهما دفعوا لكم من المبالغ التي قد لا يحلم المرء بها.

انتبهوا! لئلاّ يُضلّونكم ويُخرجونكم عن الجادة فيحرمونكم من الدنيا والآخرة، وإذا رأوكم عبيداً لهم صادقين قانعين رضوا عنكم لكن بشرط أن تقتلوا في سبيلهم...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

...ومن كلمة له موجهة إلى الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

على النشء الجديد والشباب أن يلتفتوا إلى أنّ عليهم ـ كما يتقدمون في العمر وهم في هذا السن يوماً بعد يوم ـ أن يكون علمهم وإيمانهم [في ازدياد مستمر] بهذا النحو أيضاً، وبشكل مواز لذلك؛ فتترقى معلوماتهم من الصف الأول للعلوم الدينية إلى ما فوق، ويكون إيمانهم ملازماً لعلمهم هذا.

عليكم أن تعلموا بأننا ـ نحن المسلمين ـ لا نمتاز على غير المسلمين إلاّ بالقرآن والعترة، وإلاّ كنا نحن أيضاً كباقي الناس غير المسلمين. لو لم نمتلك القرآن لكنّا كغير

المسلمين، ولو لم نمتلك [الارتباط بـ] العترة لكنّا مثل [سائر] المسلمين من غير أهل الإيمان.

علينا الالتفات إلى لزوم الترقّي في هذين الأمرين يوماً بيوم؛ فكما يتقدم بنا السنّ فكذلك [يلزم] أن تترقّى معلوماتنا بهذين الأمرين. لا نذهبن هذه الجهة أو تلك، وإلاّ ضعنا. وما دام هذان الأصلان الأصيلان معنا فلن نضيع أو نضل.

نقول: إذا [كنتم تقولون] بأن الإسلام غير صحيح، ولا تقبلون بالقرآن فأتوا بمثل القرآن، [بل] بسورة من مثله.

يقولون: لا، فلا يمكننا أن نأتي بذلك، ولن نأتي به، ومع هذا فلن نصبح مسلمين!

هذا الادعاء وهذا الكلام لا جواب له، لأنهم يقولون: «**نعلم ولا نعمل**».

وكذلك شأن الذين هم مع القرآن صورياً وليسوا مع العترة، نقول لهم: هذه آثار العترة، وهذه فضائلهم، وهذه أدعيتهم وأحكامهم، وهذه خطبهم ورسائلهم.

هذا نهج البلاغة، وهذه الصحيفة السجادية، ائتوا بمثل هذا ممن خالف العترة! فإن فعلتم تخلّينا [عن العترة].

هذه علومهم وهذه أمورهم العملية، هذا إيمانهم وهذه كراماتهم ومعجزاتهم، علينا العلم [والحذر] لئلا يسلبوننا هذين الأمرين.

هل تعلمون كم يعطوننا من المال لو تخلّينا لهم عنهم؟ سوف يمنحوننا الكثير لكن هذا المال لا قيمة له، فغداً يسلبوننا هذا المال من طريقٍ ملتوٍ، ويُنزلون على رؤوسنا المصائب أيضاً، إنهم لا يفون لنا، فبمجرد أن ينالوا منا مصالحهم، سوف يوقعون بنا.

خلاصة الأمر! علينا الالتفات، فلنتعلم القرآن: ألفاظه لنجتنب الغلط في قراءة ما نعرفه منه، لنتعلم قراءته بشكل صحيح، وكذا تجويده، لتكون قراءتنا في الصلاة صحيحة.

ولنتعلم كذلك تفسيره بواسطة التفاسير السهلة المبسطة والمعتبرة.

لنحفظ القرآن لكي يكون دوماً معنا ونحن معه، ولنتحصّن به ونجعله الحافظ لنا والوسيلة لذلك في فتن الدنيا وشدائدها.

لنسأل الله عز وجل أن لا يفرّق بيننا وبين القرآن، كما نسأله أيضاً أن لا يفرّقنا عن العترة، إذ العترة مع القرآن، والقرآن مع العترة. إذا افتقد شخص ما أحد هذين، فقد افتقدهما كلاهما.

لنلتفت لكيلا يكذبوا علينا ويسوّقوا كذبهم لنا، لكيلا نشتري الكذب من أهل الدنيا.

لا يمكننا الابتعاد عن القرآن والعترة، فلو ابتعدنا عنهما لوقعنا في شباك الذئاب، والله يعلم إن كنّا سننجو بعد ذلك من أيديهم، بعد أن تكسّر الرؤوس وتقطّع الأيدي وتحلّ البلايا [المختلفة].

انتبهوا! لئلا يُخرجوا أحداً منكم من هذين الأصلين.

إنكم تزاولون الدراسة في المدارس، فانتبهوا إلى معلميكم بأن يكونوا في الصراط المستقيم؛ إذا حرفوا المعلم بواسطة الرشاوى وغيرها، فإن وضع الطلاب عندئذ سيكون وخيماً، لماذا؟

ذلك لأنه سيصدّر إليهم باطله ويغذّيهم عليه عندئذ بشكل مباشر أو غيرمباشر.

انتبهوا، وتوخوا الغاية في الاحتياط. وينحصر احتياطكم أيضاً في ألاّ تتجاوزوا اليقين؛ بل على الكبار اليوم أن يكونوا كذلك أيضاً. عليهم أن يسعوا غاية السعي في منعهم من أن يدخلوا غير اليقين ضمن يقينياتنا، ولا يسكبوا الماء في حليبنا [فيفسدوه].

لو نطق شخص ما بألف كلمة حقّ، فلنتأمل هذه الألف كلمة جيّداً ونأخذها منه ثم [لنتأمل بعدها] هل الكلمة الواحدة بعد الألف، صحيحة أيضاً؟ أم هي ظن لا يقين.

كل كلمة تسمعونها، من أيّ كان، فليكن سعيكم [في معرفة] هل هي صحيحة وتامة ومتطابقة مع العقل والدين، أم لا؟

و[اعلموا] بأن الله تعالى مطّلع علينا في خلواتنا، كما أنه مطّلع علينا عندما نكون مع الناس، سواء تكلمنا أو كنا ساكتين.

بمجرد أن يعلم المرء بأن صاحب هذا البيت وصاحب هذا العالم مطّلع على كل فرد، في جميع أفعاله وتروكه، وفي كل نياته، وفي كل ما نواه وما ينويه فيما بعد أيضاً. بل إنه يكتب نية الخير ويترك نية الشر قبل تحققه رجاء ألاّ يتحقق، وإذا تحقق الشر أيضاً فإنه يصبر مدة ليرى هل تاب هذا الشخص أم لا؟ رجع عن ذلك أم لا؟ بمجرد أن يعلم بذلك فقد انتهى الأمر.

والمقصود أنه بمجرد أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يعلم [بكل شيء] ينتهي الأمر، فلا يؤخّر الإقدام، فإنه بذلك يدرك كل شيء إلى الأخير: ماذا عليه أن يفعل أو يترك؟ ما الذي ينفعه، وما الذي يضره، فالله تعالى يرى [كل شيء]. أفهل بمقدورنا أن نتنازع مع بعضنا حال كوننا جلوساً على سفرته. فنتنازع مثلاً على الأطعمة، ونتسابق على النيل منها ونتعارك على ذلك؟

كل الحروب التي قامت بها هذه الحكومات هي من هذا القبيل. فإنهم قد جلسوا على سفرة الكريم، وهو تعالى يرى [كل شيء] أيضاً.

والأوامر المطلوبة معلومة، وما الذي يرضي الله عز وجل أو يسوؤه: إنه لا يرضى بالأذى بغير الحق، ويحب الإحسان بالحق في محلّه، فمع أنه تعالى يعلم بكل هذه الأمور، ونحن أيضاً نعلم أنه أمر بها، وهو يعلم بها ويراها، فهل ترانا نقوم بهذه الأعمال؟

إن أحدنا لا يرتكب أي شكل من أشكال المعصية أمام أي فرد عادي من البشر وقد يكون المرتكب أقوى من المشاهد، فلا يملك المشاهد فعل شيء تجاهه، لكن

[المرتكب مع هذا يرتدع] مخافة أن تسوء نظرة الرائي له، أو يسوء أمره معه، ولربما واتته الفرصة فصفّى حسابه معه.

لكن الأمر مع الله تعالى يختلف، فهو قادر وعالم، وقد أصدر أوامره أيضاً، ويعلم من منّا يعرف، ومن منا لا يعرف، فهو يعلم بكل ذلك.

فهل بإمكاننا أن نخفي [الأمر] عليه؟ أو أن نظهره دون أن نبالي، معوِّلين بأنه عاجز عن فعل شيء تجاهنا؟ فهل الأمر كذلك؟

هل هناك أية فائدة لنا في ذلك؛ وهل يمكننا إخفاء شيء؟

قد تصل الشقاوة بالإنسان أو المكلف إلى حدّ كأنه لم تطرق هذه الأمور سمعه: من أن لنا إلهاً بصيراً سميعاً عالماً قادراً رحيماً وكريماً، قادراً على الإثابة على [مقدار] رأس الإبرة فيما لو صرف في سبيله، فهذا هو ربّنا...

ثم أفاد ـ دام ظله ـ في تتمة حديثه:

على هذا انظروا مدى غفلتنا، كم قد ظلمنا أنفسنا بأن جعلنا الواضحات تحت أقدامنا، فهذا هو الأمر، وهو دائر هذا المدار [وتلخصيه]: إذا لم نضع معلوماتنا تحت أقدامنا، ولم نطبق مجهولاتنا عملياً فقد انتهى الأمر [أي تحقق المطلوب].

يجب ألاّ توضع المعلومات تحت الأقدام، فهذا يوجب الندم، إذا عمل الإنسان بمعلوماته، فقد استبصر [وتنوّر]، ولا توقف [في الأمر] بعد.

فإذا رأى أنه قد توقف مع هذا، فليعلم علم اليقين أنه قد داس بقدمه على بعض معلوماته، وأنه قد علق في حذائه حصاة لم يدقق كما ينبغي في انتزاعها:

«من عمل بما علم ورثة الله علم ما لم يعلم»(١).

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٨ ص١٨٩.

و«**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**»[١].

و«**من عَمِل بما عَلِم كُفي ما لم يعلم**»[٢].

ليس بمقدور أحد أن يقول: إني لا أعلم شيئاً، فهذا كذب. فكل شخص ثمة ـ غير المعصوم ـ يعلم أموراً ويجهل أخرى، ولو عمل بتلك الأمور التي يعرفها، لأدرك التي لا يعلمها.

اعملوا بما تعلمون، وتوقّفوا واحتاطوا منذ الآن فيما تجهلون إلى أن يتّضح [المجهول]، فنفس السبب الذي جعل تلك الأمور [المعلومة] تتضح لكم، سيوضح لكم تلك الأمور الأخرى [المجهولة].

وعليه فانظروا لأي شيء نتوقف، ما تعلمه اعمل به، وما تجهله احتط فيه، فلن تندم أبداً.

زاد الله في توفيقات الجميع، ومنَّ على الجميع ـ إن شاء تعالى ـ بالسلامة المطلقة الروحية والجسمية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من مواعظه وتوجيهاته دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله سادة الأوصياء الطاهرين، وعلى جميع العترة المعصومين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

---

(١) العنكبوت: ٩٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١٣٤.

هناك جماعة من الناس يطلبون الموعظة والنصيحة، فإن كان مقصودهم أن نتكلم ويسمعون، ثم يتكرر منا ومنهم ذلك [كلامنا واستماعهم] مرة أخرى في وقت آخر فإني عاجز عن ذلك، وهذا لا يخفى على المطلعين، أما إذا قالوا: إنهم يريدون كلمة تكون أم الكلمات، وكافية لسعادة الدارين، فالله تعالى قادر على أن يكشف عنها ويوصلها لكم من بيان العبد الفقير.

وعليه فنقول: إن الغرض من الخلق هو العبودية [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] وحقيقة العبودية ترك المعصية في الاعتقاد وهو عمل القلب، وفي عمل الجوارح. وترك المعصية لا يتحقق بنحو يصير ملكة للشخص إلا بإدامة المراقبة، وذكر الله تعالى في كل حال وزمان ومكان، وفي الخلوات أو بين الناس، [ولا أقول سبحان الله والحمد لله... الخ لكن ذكر الله عند حلاله و حرامه].

إننا نحب إمام الزمان عجل الله تعالى له الفرج، لأنه أمير النحل، وجميع أمورنا تصل بواسطته، وقد نصبه النبيﷺ لنا أميراً. ونحن نحب النبيﷺ، لأن الله جعله واسطة بيننا وبينه. ونحب الله تعالى، لأنه منبع جميع الخيرات، ووجود الممكنات فيضه. فإذا كنا نريد أنفسنا وكمالها، علينا أن نكون محبين لله تعالى، وإذا كنا محبين لله، فعلينا أن نكون محبين لوسائط الفيوضات من الأنبياء والأوصياء. وإلا، فإما أننا لا نحب أنفسنا، أو لا نحب واهب العطايا، أو لا نحب وسائط الفيوضات، فكيمياء السعادة إذن ذكر الله، وهو يحرك العضلات نحو موجبات السعادة المطلقة، والتوسل بالوسائط استفاضة من منبع الخيرات بواسطة وسائلها المقررة. علينا الاهتداء بهداياتهم والسير بقيادتهم لننال الفلاح.

إنكم لن تحتاجوا بعد للتوضيح أكثر. اضبطوا ما ذُكِر، وأثبتوه في قلوبكم، وهو يوضح نفسه بنفسه.

إن قلتم: لما لا تعمل أنت؟ نقول: إذا تقرر أن نقول بأننا نعمل بكل ما نعلم به، فلربما لم نكن لنتصدى لهذا المقام والبيان. لكن التكليف بذل النعمة لعلها توصل للمقصود «**ما أخذ الله على العباد أن يتعلّموا حتى أخذ على العلماء أن يعلّموا**».

ولا يخفى أن النصيحة العملية ـ لمن يتيسر له ذلك ـ أرقى من النصائح القولية «**كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم**».

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا جميعاً عما يسخطه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين.

مشهد

ربيع الثاني ١٤٢٠هـ. ق

ومن مواعظه دام ظله

بسمه تعالى

علينا أن نعلم ـ صغاراً وكباراً ـ بأن الطريق الوحيد لتحصيل سعادة الدنيا والآخرة، هو العبودية لله عز وجل. وهي تتحقق بترك المعصية في العقيدة والعمل.

لئن عَملنا بما نعلمه، وتوقفنا واحتطنا فيما لا نعلمه، إلى أن نحصِّل العلم به، فلن نكون في معرض الندم والخسران أبداً. ولئن تحقق هذا العزم في العبد بشكل ثابت وراسخ، فسيكون الله تعالى أولى بتوفيقه وإعانته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجميعن.

ومنها

بسمه تعالى

«قلت: ألف.

قال: ثم مه.

قلت: لا شيء، فلو كان في البيت من أحد لكفاه حرف واحد»(١).

قلت مراراً وأكرر الآن: إن من يعلم: **«بأن كل من يذكر الله تعالى فالله جليسه لا يحتاج إلى أية موعظة؛ إذ إنّه يعلم ما الذي يجب عليه فعله أو تركه، ويعلم أن عليه أن يأتي بما يعلمه ويحتاط فيما لا يعلمه»**.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ومن كلماته في بعض اللقاءات

بسمه تعالى

الحمد لله وحده، والصلاة على سيد أنبيائه وعلى آله الطيبين، واللعن على أعدائهم أجمعين.

لقد طلب جماعة من المؤمنين والمؤمنات النصيحة، وطلبهم هذا يرد عليه إشكالات منها:

١ـ إن النصيحة تكون في الجزئيات، والموعظة أعم من الكليات والجزئيات، ولا تكون النصيحة ممن لا يملك المعرفة لمثله.

---

(١) ترجمة لبيت شعر فارسي: گفتم كه: ألف. گفت: دگر؟ گفتم: هيچ. در خانه اگر كس است، يك حرف بس است.

٢ـ «**من عَمِل بما عَلِم ورّثه الله عِلْمَ ما لم يَعْلَم**»[١].

ـ «[من عمل بما علم] **كُفِيَ ما لم يعلم**».

ـ ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[٢].

اعملوا بما تعلمون واحتاطوا فيما لا تعلمون إلى أن يتضح أمره. فإن لم يتضح فاعلموا أنكم قد أهملتم بعض ما تعلمون. وطلب الموعظة من غير العامل محل اعتراض.

ومن المقطوع به أنكم قد سمعتم بعض المواعظ، وتعلّمتموها ولم تعملوا بها، وإلا لكنتم على بصيرة ووضوح من الأمر.

٣ـ الجميع يعلمون أن عليهم أخذ الرسالة العملية، وقراءتها وفهمها، والعمل طبقها وتشخيص الحلال والحرام بواسطتها.

وكذلك الأمر بالنسبة للمدارك الشرعية إن كانوا من أهل الاستنباط، إذن لا يمكنهم القول: «**إننا لا نعلم ما الذي يجب علينا فعله أو تركه**».

٤ـ انظروا إلى أعمال من لديكم اعتقاد حسن بهم، فما يأتون به عن اختيار فعليكم بإتيانه، وما يتركونه عن اختيار فعليكم بتركه، وهذا من أفضل السبل للوصول إلى المقاصد العالية «**كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم**»[٣] والمواعظ العملية أرقى وأشدّ تأثيراً من المواعظ القولية.

٥ـ من الأمور الواضحة أن قراءة القرآن في كل يوم، والأدعية المناسبة للأوقات والأمكنة، في التعقيبات وغيرها، وكثرة التردد إلى المساجد والمشاهد المشرفة، وزيارة

---

(١) بحار الأنوار: ١٩٨/٧٨.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) أصول الكافي: ٧٧/٢ ح٩.

العلماء والصلحاء ومجالستهم، مما يرضاه الله ورسولهﷺ. كما يجب مراقبة ازدياد البصيرة والأنس بالعبادة والتلاوة والآيات يوماً بيوم.

وعلى العكس من ذلك، فإن كثرة مجالسة أهل الغفلة تزيد من قساوة القلب وظلمته، ومن النفور من العبادات والزيارات، ولذا نجد أن الأحوال الحسنة الحاصلة من العبادات والزيارات وأنحاء التلاوة، تتبدل بسبب مجالسة ضعفاء الإيمان إلى سوء الحال والنقصان. فمجالسة ضعفاء الإيمان إذن في غير صورة الاضطرار، أو من دون قصد هدايتهم تسبب فقدان الملكات الحسنة للمرء، بل إنه يكتسب أخلاقهم الفاسدة:

«جالسوا من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخر عمله»(١).

٦ـ من الواضحات أن ترك المعصية في الاعتقاد والعمل يغني عن غيره، فغيره يحتاجه، بينما هو لا يحتاج إلى غيره، بل هو مولّد للحسنات ودافع للسيئات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

ويظن البعض أنهم قد اجتازوا مرحلة ترك المعصية، غافلين عن أن المعصية لا تختص بالكبائر المعروفة، بل الإصرار على الصغائر أيضاً كبيرة، والنظرة الحادة مثلاً إلى المطيع لإخافته إيذاء محرم، كما أن الابتسام للعاصي لتشجيعه إعانة على المعصية.

ومحاسن الأخلاق الشرعية ومفاسدها قد تمَّ بيانهما في الكتب والرسائل العملية.

وإن الابتعاد عن العلماء والصلحاء يمنح سارقي الدين الفرصة لتضييع الإيمان وأهله بأهون السبل وأرخصها، وأبعدها عن الخير والبركة. وكل هذا مجرب ومشاهد.

---

(١) أصول الكافي: ٣٩/١، ح ٣.

(٢) الذاريات: ٥٦.

نسأل الله تعالى أن يجعل هديتنا في العيد (عيديتنا) في أعياد الإسلام الشريفة التوفيق للعزم الراسخ الثابت الدائم على ترك المعصية، فإنه مفتاح سعادة الدنيا والآخرة إلى أن يصبح ترك المعصية ملكة، والمعصية بالنسبة لصاحب الملكة بمنزلة شرب السم للعطشان، أو أكل الميتة للجائع.

وبالطبع، فلو كان هذا الطريق صعباً إلى آخره، ولا ينتهي بالسهولة والرغبة، لما وقع مورداً للتكليف والترغيب والحثّ عليه من قبل الخالق القادر الرحيم.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت إليه أنيب.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

١٧ ربيع المولود ١٤١٩ هـ ق

١٣٧٧/٤/٢١ هـ ش

...ومن مواعظه حول العلم والعمل

بسمه تعالى

ثمة جماعة يتعاملون مع الوعظ والخطابة والإرشاد - والتي هي مقدمة للأمور العملية المناسبة - معاملة ذي المقدمة. وكأن المطلوب أن «**يتكلموا ويستمعوا لمجرد أن يتكلموا ويسمعوا**» وهذا اشتباه.

إن التعليم والتعلم إنما يكون مناسباً لأجل العمل، ولا استقلالية لهما.

وقد قالوا عليهم السلام لإفادة هذا المطلب والحثّ عليه: «**كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم**» تكلموا من خلال العمل، وتعلموا من العمل، وليكن سماعكم بالعمل.

يريد البعض أن يعلم المعلِّم [بل ويطلب منه] حتى أن يأخذ كيفية التعليم من

المتعلمين.

يطلب منا البعض الدعاء، فنسأل لأي شيء؟ فيبينون العلة، فنشرح لهم الدواء، وبدلاً من أداء الشكر واستعماله يقولون ثانية: «**ادعو لنا**» وبعيداً عما نقوله وما يريدون فإنهم يخلطون شرطية الدعاء مع نفسيَّته[(١)].

إننا لا نخرج عن عهدة التكليف، بل علينا تحصيل النتيجة بواسطة العمل، ومن المحال أن يكون العمل بلا نتيجة، أو تحصل النتيجة من غير العمل، ليس الأمر كذلك: «**كانت إقامة المجلس لحاجة ومصلحة فلم ينل منها إلا الجلوس والحديث والقيام**»[(٢)].

جعلنا الله من أهل العمل، لا مجرد قوّالين (**من أهل الكلام**). فلا نقدم على حركة عملية من دون علم، ولا نتوقف مع العلم.

لنقم بأداء ما نعرفه، ولنتوقف ونحتاط فيما لا نعرفه، إلى أن يحصل لنا العلم به ومن المقطوع به أن لا ندم في هذا النهج.

لا ننظر بعضنا إلى البعض الآخر، بل ليكن نظرنا إلى دفتر الشرع، ولنجعل أعمالنا وتروكنا مطابقة له.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) مراده حفظه الله أن الدعاء إذا كان يطلب كمقدمة وشرط لتحصيل حاجة معينة وحل تلك المشكلة بواسطته، فعندما يدلّهم على دواء دائهم وحل مشكلتهم فلا يعود هناك حاجة لطلب الدعاء لهم مرة أخرى، إلا إذا كان دعاؤه لهم مطلوباً لنفسه وذاته لا لتحقيق تلك الحاجة، فطلبهم أن يدعو لهم ثانية يعني أنهم في هذه الحال قد تعاملوا مع الدعاء على أنه مطلوب لنفسه، لا كمقدمة وشرط للحاجة التي يريدونها، وهذا خلط بين المقامين «المترجم».

(٢) ترجمة شعر الفارسية نصه: بي مصلحتي مجلس آراستند نشستند وگفتند وبرخاستند.

...وقال في مقام آخر حول الموعظة والعمل أيضاً

بسمه تعالى

لنسأل السادة الذين يطلبون الموعظة: هل عملتم بالمواعظ التي سمعتموها لحد الآن أم لا؟

هل تعلمون أن من عمل بما يعلم علمه الله ما لا يعلم؟

هل من اللائق توقع زيادة المعلومات مع كونكم تركتم العمل بما تعلمون باختياركم؟

وهل يفترض أن تكون الدعوة إلى الحق بواسطة اللسان؟ ألم يقولوا عليهم السلام [ما مضمونه]: «**كونوا دعاة للحق بأعمالكم**».

هل علينا تعليم طريق التعليم أم تعلّمه؟

[أفلا يتضح] **جواب** هذه الأسئلة من القرآن الكريم [حين يقول]: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[١].

ومن كلام المعصوم عليه السلام [حيث يقول]: «**من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم**»[٢].

و«**من عمل بما علم كُفي ما لم يعلم**»[٣].

منّ الله علينا بالتوفيق لعدم ترك [وإهمال] ما نعلم، وللتوقف والاحتياط فيما نجهل إلى أن نعلم.

---

(١) العنكبوت: ٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٨٩/٧٨.

(٣) ثواب الأعمال: ١٣٤.

ولا نكون ممن قيل فيهم: «**أقاموا المجلس لحاجة ومصلحة فلم ينلهم إلا الجلوس والكلام والقيام**»[١].

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدينة مشهد المقدسة

ربيع الأول ١٤١٧ هـ.ق

...ومن بياناته وأحاديثه حول طريق رضا الله

بسمه تعالى

كلنا نعلم بأن رضا الله جل جلاله ـ مع أنه غني بالذات، ولا يحتاج إلى إيمان العباد ولوازم إيمانهم ـ هو في أن يكون العباد دوماً في مقام التقرب إليه، فنحن نعلم إذاً أن الله تعالى إنما يحب ذكره واستمرار ذكره، لأجل حاجة عباده إلى التقرب إلى مبدأ الألطاف وإدامة هذا التقرب.

فنحن نعلم إذاً بأن انتفاعنا من التقرب إليه، سيكون بدرجة اشتغالنا بذكره. وبمقدار ما نسعى في طاعته وخدمته، ننال درجة متناسبة من التقرب والانتفاع بقربه. والفرق بيننا وبين سلمان (**سلام الله عليه**) إنما هو في درجة طاعته وذكره له تعالى، اللذين يؤثران في درجة قربنا منه سبحانه.

وإن ما نعلمه، هو أن ثمة أعمالاً ستقع محل ابتلائنا في الدنيا، فعلينا أن نعلم أنّ ما كان منها محلّ رضا الله عز وجل فسيُعدّ خدمة وعبادة وطاعة له أيضاً.

فعلينا أن نعرف إذن، أن هدفنا يجب أن يكون في لزوم صرف العمر كله في ذكر

(١) ترجمة لشعر بالفارسية تقدم ذكر نصه قريباً.

الله وطاعته وعبادته، إلى أن نصل إلى آخر درجة في التقرب نملك الاستعداد [والقابلية] لها. وإلا فعندما نرى وصول البعض إلى المقامات العالية، وتخلّفنا عن ذلك من دون علة، سنكون من النادمين.

وفقنا الله لترك الاشتغال بغير رضاه بمحمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

مدينة مشهد المقدسة

ربيع الأول ١٤١٧ هـ ق

...ومن كلماته حول أركان السير إلى الله

بسمه تعالى

الحمد لله وحده، والصلاة على سيد الأنبياء محمد وآله سادة الأوصياء الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين.

وبعد، فلا يخفى على أولي الألباب أنّ أساس [ودستور] الحركة في المخلوقات هو معرفة المحرِّك الذي تحتاج إليه الحركة، ومعرفة ما منه الحركة، وما إليه الحركة وما له الحركة، أي البداية والنهاية والغرض، حيث إن الممكنات في حالة حركة [مستمرة] آناً فآن باتجاه المقصد.

والفرق بين العالم والجاهل هو في معرفة علاج الحوادث وعدم معرفة ذلك. والتفاوت في منازلهما في العاقبة بمقدار التفاوت في مراتب علمهما في البداية.

فإذا عرفنا المحرك، واطلعنا على حسن تدبيره وحكمته من انتظام المتحركات [كان] كل توجهنا [وهمّنا] إرادته التكوينية والتشريعية. فهنيئاً للعارف [لأهل المعرفة] وإن كان أكثر الشهداء بذلاً وتضحية، وتعساً للجاهل [لغير العارف] حتى لو كان فرعون زمانه.

عاقبة هذه الحركات يقول الجاهل: «**ليت أمي لم تلدني**»، ويقول العالم: «**ليتني سرت نحو المقصد سبعين مرة، ثم عدت وسرت ثانية واستشهدت في سبيل الحق**».

ولكيلا نعود من حياتنا بالندم أقول بصراحة: لو انقضى مثلاً نصف عمر أي شخص في ذكر المنعم الحقيقي، ونصفه الآخر في الغفلة، لاعتبر نصف عمره حياة له والنصف الآخر موتاً، مع اختلاف عن الموت في الأضرار وعدم النفع[١].

إنّ من يملك المعرفة بالله، يصير مطيعاً له، ويكون شغله وارتباطه به تعالى، ويعمل بما يعلم إنه موافق لرضاه، ويتوقف فيما لا يعلم إلى أن يعلم، ويسعى لتحصيل العلم بذلك آناً فآن، لكي يعمل أو يتوقف. فعمله ناشئ عن الدليل، وتوقفه راجع لعدم وجود الدليل.

هل من الممكن لقافلتنا أن تصل سالمة إلى المقصد، عبر هذه العقبة المليئة بالخطر، من دون التسلح بطاعة الله القادر؟ هل من الممكن أن يكون وجودنا من الخالق تعالى، وقوّتنا من غيره؟ فلا قوّة نافعة باقية إذن إلا لأهل الله، ولا ضعف إلا لغيرهم.

والآن إذا صرنا من أصحاب اليقين في هذه المرحلة، فعلينا لأجل ترجمة هذه الصفات والأحوال عمليّاً، أن نعلم أن هذه الحركة المتحققة من أولها إلى آخرها مخالفة لمحرك الدواعي الباطلة.

ويكفي في سعادة الاتصال برضا المبدأ الأعلى، أن لا نعتني بها[٢] [ونهملها]:

---

(١) الظاهر أن مراده حفظه الله أن نصف العمر الذي يقضى في الغفلة وإن كان يعد موتاً، لكنه يزيد على الموت بأنه قد يجني منه الإنسان أضراراً ويخسر منافع، بينما الموت مجرد عدم فوات الحياة دون أضرار إضافية زائدة عن ذلك. «المترجم».

(٢) أي الدواعي الباطلة فلا تتحرك تبعاً لها وانبعاثاً منها. «المترجم».

«أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة»[1].

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

مدينة مشهد المقدسة

ربيع الأول سنة ١٤١٧ هـ.ق

(١) من دعاء يوم المبعث.



الفصل الرابع:

الأسئلة والمراجعات حول الأخلاق وتهذيب النفس



هذه جملة من الأسئلة وجهت للشيخ دام ظله من قبل بعض طلابه والمراجعين وقد أعدنا ترتيبها ضمن عناوين مع المحافظة على المتن في السؤال والجواب:

علاج العشق المجازي

س١ـ منذ مدة وأنا أسير في حب شخص، وقد أفلت الزمام من يدي، فما العمل؟

ج - إن العاقل إنما يحب الأكمل والأجمل والأنفع والأدوم، ويرجح محبّته على محبّة غيره، هذا بالإضافة إلى أن محبّة الأكمل تدفع الشرور والبليات، بخلاف محبّة غيره.

الصلاة والواجبات

س٢ـ نرجو أن تبيّنوا لنا جملة مختصرة [نافعة] وبليغة حول الصلاة لتكون نصب أعيننا.

ج ـ باسمه تعالى: من البيانات العالية في فضيلة الصلاة يقع في المرتبة العليا الكلام المعروف عن المعصوم عليه السلام: «**الصلاة معراج المؤمن**» وقد ذكروه عليهم السلام للذين يمتلكون اليقين بصدق هذا البيان، ويستمرون في طلب هذا المقام العالي، ولم يتجاوزوا اليقينيات.

س٣ـ ما الذي نفعله لكي نؤدّي الواجبات الإلهية وخاصة الصلاة بخشوع؟

ج ـ التوسل الحقيقي بإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه في أول الصلاة من أجل تأدية العمل بالتمام [والكمال] المطلق.

س٤ ـ ما الذي يجب فعله لتحصيل حضور القلب وتركيز الذهن في الصلاة؟

ج ـ باسمه تعالى: في اللحظة التي تلتفت فيها لا تنصرف [وتشرد بذهنك] باختيارك.

معرفة الله وأوليائه

س ٥ـ أرجو معتذراً أن تتفضلوا ببيان أنه كيف يمكن الاستئناس بشكل أفضل [بدرجة أكبر] بالله والأئمة الأطهار عليهم السلام؟

ج ـ بإطاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وترك المعصية في الاعتقاد والعمل.

س٦ـ ما هو طريق معرفة الله؟ تفضلوا ببيان ذلك إذا أمكن؟

ج ـ طريق معرفة الله معرفة النفس، فنحن نعرف بأننا لم نصنع [نخلق] أنفسنا، ولا يمكننا ذلك، والآخرون إن كانوا مثلنا فهم لم يخلقوا أنفسهم كما لم يخلقونا نحن أيضاً، ولا يمكنهم ذلك. فالذي خلقنا إذن قادر مطلق وهو الله، وطريق قربه «شكر المنعم» من خلال طاعته، والمشقة في ذلك إنما تقع ابتداءً، ولا يمضي الكثير حتى يصبح [الأمر] لطالبي قربه أحلى من كل حلاوة.

س٧ـ كيف نُقوّي العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام وبالخصوص مع صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج ـ طاعة الله بعد معرفته، توجب حبّه تعالى، وحبّ من يحبّه من الأنبياء والأوصياء الذين أحبُّهم إليه محمد وآله، وأقربُهم منا صاحب الأمر عجل الله فرجه.

علاج بعض الرذائل

س ٨ ـ ما الذي يجب فعله للابتعاد عن الرياء؟

ج ـ الإكثار من الحوقلة «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» مع الاعتقاد بها بشكل كامل.

س ٩ـ ما الذي نفعله لمعالجة الغضب [وتوتر الأعصاب]؟

ج ـ الإكثار من الصلوات «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» مع الاعتقاد الكامل بها.

طريق التقوى

س١٠ـ بعض الطلبة سألنا عن علاج «**الرياء**» و«**العجب**» و«**السمعة**» و«**الشهوة**» وغير ذلك، فما رأيكم الشريف؟

ج ـ كل هذه الرذائل ناشئ من الضعف في معرفة الله، يرفعها ويدفعها الاستئناس بآنس الآنسين تعالى في العبادة. ولو عرف أنه تعالى أحسن من كل حسن في جميع الأحوال والأزمنة لما انصرف عن الاستئناس به سبحانه.

س١١ـ ما هو العمل الذي يمكننا القيام به ـ غير التدريس والاهتمام بكتاب الله عز وجل وتفسير أهل البيت: بحيث نتمكن به من التقوّي على التقوى والارتقاء في السير إلى الله تعالى؟

ج ـ العزم الثابت الدائم على ترك المعصية في الاعتقاد والعمل.

الأخلاق وتهذيب النفس

س١٢ـ بعض الطلاب في لبنان، يرجعون إلينا ويطلبون منا الموعظة والإرشاد إلى المسائل الأخلاقية ويسألون عن طريق تهذيب النفس، لذا نستدعي منكم أن ترشدونا في ذلك الأمر المهم.

ج ـ من أعظم ما ينفع في هذا الأمر، أن تُذكّر كل يوم من يحضر معكم، رواية واحدة من روايات الأخلاق الشرعية في جهاد النفس من جهاد الوسائل وفي باب آداب العشرة من حج «**الوسائل**» مع التدبر والتأمل والبناء على العمل بالمعلوم.

نفي الخواطر

س ١٣ـ ماذا نعمل لنفي الخواطر؟

ج ـ من عرفه تعالى واستأنس به يقال له: «**انصرف لضرورياتك**» ولا يقال له: «**لماذا لا تفارقه**» «**لو علم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل عن صلاته**».

الزهد

س ١٤ـ ما هو الزهد الحقيقي، وكيف نعمل به؟

ج ـ «**الزهد**» أن تملك نفسك وتراقب إذن الله تعالى في كل فعل وترك.

الذكر العملي

س ١٥ـ ما هو أفضل ذكر؟

ج ـ أرقى ذكر بنظر العبد الحقير هو «**الذكر العملي**» أي «**ترك المعصية في الاعتقاد والعمل**» فكل شيء يحتاج إلى هذا، بينما هو لا يحتاج إلى شيء. وهو مولّد الخيرات.

علاج الغرور

س ١٦ـ ما هو السبيل الذي توصون به لعلاج الغرور؟

ج ـ باسمه تعالى: إكثار الحوقلة [لا حول ولا قوة إلا بالله] علاج الغرور.

دواء الوسواس

س ١٧ـ إني مبتلى بالوسواس، تكرموا بإرشادي لأجل رفعه؟

ج ـ إكثار التهليل [لا إله إلا الله] علاج الوسواس.

علاج الفتور ونقض العزم

س١٨ـ إني أتّخذ قراراتي في المجالات الأخلاقية بواسطة النذر واليمين، لكن عزيمتي تفتر بعد مدة من الزمن، فأقوم بنقض ذلك، فما العمل؟

ج ـ إذا وجدت نفسك في حالة ذكر الله عز وجل لدقيقة واحدة، فلا تصرف نفسك عن ذلك باختيارك، ولا تبال بالانصراف والغفلة غير الاختياريين.

السلوك إلى الله

س١٩ـ إني مصمم على تحصيل القرب من الله والتوفر على السير والسلوك، فما السبيل لذلك؟

ج ـ بسمه تعالى: إذا كان الطالب صادقاً فترك المعصية كافٍ ووافٍ للعمر كله حتى لو كان ألف سنة.

س٢٠ـ هل لابد في المسير إلى الله من وجود أستاذ؛ ومع عدم وجوده ما العمل؟

ج ـ أستاذك علمك؛ اعمل بما تعلم تُكفَ ما لا تعلم.

س٢١ـ إني مصمم على نيل القرب الإلهي، تلطفوا بإرشادي. أفلا يحتاج هذا الأمر إلى أستاذ؟

ج ـ باسمه تعالى: الأستاذ هو العلم والمعلّم [مجرد] واسطة. اعمل بمعلوماتك، ولا تضع المعلومات تحت قدميك، فذلك كاف: **«من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لا يعلم»**[1].

---

(١) بحار الأنوار: ١٨٩/٧٨.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]. إذا رأيت أن الأمر لم يتحقق فاعلم أنك لم تعمل بذلك. خصص ساعة في اليوم والليلة لأجل العلوم الدينية.

...ومن أجوبته دام ظله حول نهج الفلاح

بسمه تعالى

إن من يتيقن ويعتقد بالخالق والمخلوق، ويرتبط ويعتقد بجميع الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، ولديه توسل اعتقادي وعملي بهم، وينبعث في حركاته وسكناته وفق توجيهاتهم، ويخلي قلبه في العبادات عما سوى الله، ويأتي بالصلاة ـ والتي هي الأساس وكل شيء تابع لها ـ فارغ القلب، ويتّبع في المشكوكات إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف: أي يخالف كل من يراه الإمام مخالفاً له، ويوافق من يراه الإمام موافقاً له، ويلعن من يلعنه الإمام، ويترحم على من يترحم عليه الإمام، ولو على سبيل الإجمال، **(إن شخصاً كهذا)**: لن يفتقد أي كمال، ولن ينال أي وزر أو وبال.

...وحول الذكر والمراقبة

بسمه تعالى

ليس هناك ذكر أرقى من «**الذكر العملي**»، ولا ذكر عملي أرقى من «**ترك المعصية في الأمور الاعتقادية والعملية**».

والظاهر أن ترك المعصية بقول مطلق لا يتم من دون «**المراقبة الدائمة**».

والله الموفق

---

(١) العنكبوت: ٦٩.



الفصل الخامس:

أجوبة المسائل العقائدية



لقد وجهت للشيخ دام ظله عدة مجموعات من الأسئلة العقائدية والكلامية اقتطفنا منها ما يلي:

المجموعة الأولى

أجوبة المسائل الشاميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

سماحة العلامة المحقق المدقق الورع التقي آية الله العظمى مولانا الشيخ محمد تقي البهجة مدَّ ظله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد...

فهذه مجموعة من الأسئلة حارت بعض الألباب في جوابها، لذنا إليكم في حل معضلها وكشف أسرارها، راجين منكم أدام الله تعالى حراستكم، ومدّ في أيامكم التفضل علينا بالإجابة ولو باختصار، ولكم منا عظيم الشكر، وخالص الدعاء، ومن الله تعالى جزيل الأجر والثواب.

ولا يسعنا سوى الدعاء لكم بطول العمر وحسن العاقبة، والعافية في جميع أمور الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السؤال: ما هو حكم ضرب الهامات بالسيوف. في عاشوراء وغيرها، مؤاساةً للإمام الحسين عليه السلام وولده وأصحابه (رضوان الله تعالى عليهم)؟

الجواب: بسمه تعالى.

لا مانع منه مع عدم الإضرار، لإرادة تفجع المظلومين في ساداتهم على يد الظالمين وقادتهم، اذا لم يستلزم هذا الفصل عنواناً قبيحاً أو محرماً، وإلاّ فلا يجوز.

***

السؤال: على فرض الجواز في السؤال الأول، هل يجوز للولي ضرب طفله الصغير كذلك بنفسه، أو بتقديمه الى الغير ليفعل به ذلك؟

الجواب: يجوز ذلك مع رؤية صلاحه في الدنيا والآخرة، كما يجوز الاحتجام به مع عدم الضرر والإكراه.

***

السؤال: ما حكم قرع الطبول، عزف الموسيقى، وضرب السلاسل واللطم على الصدور ـ المبرح منه وغيره ـ في مواكب العزاء الحسينية.

الجواب: يحرم من الموسيقى ما يحرم في غير هذا المقام ـ أعني مقام الغناء ـ وضرب الطبول إن لم يشتمل على مصلحة، فهو مرجوح هنا.

***

السؤال: هل هناك من إشكال في السعي مشياً على الأقدام، من مسافات بعيدة جداً الى المشاهد المشرفة، المتعلقة بأهل البيتعليهم السلام، سواء في ذلك المعصومون منهم وغيرهم؟

الجواب: ذلك أبلغ في تعظيم المزور وتعظيم مقامه ما لم يلزم ضرر في هذا المشي.

***

السؤال: هل يجوز للمكلف أن يزور الأئمة من أهل البيتعليهم السلام، بأي شيء يبدو

له، كما جاز الدعاء كذلك؟

الجواب: يجوز الزيارة بما جرى على اللسان، ووافق القلب مع الصدق والصحة، وإن كان الأحوط الأولى عدم التعدي عن المأثورات عن أهل البيت عليهم السلام، فإنهم أعرف بحقهم.

***

السؤال: ما حكم الشهادة الثالثة في كل من الأذان والإقامة؟

وما حكم التعمّد إلى تركها؟ خصوصاً على المآذن وفي الأماكن العامة. مع الأمن من الضرر، وعدم ما يدعو إلى التقية؟

الجواب: الشهادة الثالثة ليست من الأجزاء، بل هي من المستحبات العامة المؤكدة في الموارد التي هما ـ يعني الأذان والإقامة ـ من أوضحها، ولا يجوز فيها قصد الجزئية.

وأمّا التعمد إلى الترك، بعد اعتياد الفعل في المآذن العامة، أو مع غلبة الشيعة الغالبة، أو في مواضعهم مع عدم التقية من الجاهلين، فهو نقص بعد الكمال.

بل ينتزع منه بعض العناوين المذمومة، بل القبيحة، أو المحرمة مع اعتياد الترك وأيضاً إن قول: «**إن علياً ولي الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل**» مثل الشهادة بالولاية، وكذا قول «**إن آل محمد خير البرية**» ونحوهما.

***

السؤال: كيف صح في الدعاء أن يقال: «**بحق محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله**»؟ وهل لأحد حقّ على الله تعالى؟ وما هو؟ وكيف استحقه؟

الجواب: حقهم عليهم السلام في تفضيلات الله ثابتٌ بجعلٍ لهم منه تعالى، كما جعل تعالى استحقاق الجنة لمن أطاعه، بل جعل غيرها ـ أي الجنة ـ في الدنيا أيضاً، ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ

اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾(١).

فحيث إنهم عليهم السلام رضوا بإفناء النفس وما لها لله، فَجَعْلُ الشفاعة المطلقة لهم عليهم السلام في جميع الأمور الممكنة، لا مانع منه ثبوتاً، والدليل عليه قائمٌ ـ عند أهله ـ إثباتاً.

وكذلك سائر الحقوق التي جعلها الله لهم عليهم السلام.

وثبوت ذلك في الأدعية غير منكر، والتجنّب منه في غير محله، وهو من زيادة الفرع على الأصل.

***

السؤال: ما هي الولاية التكوينية المدعاة لأهل البيت عليهم السلام وما الفرق بينها وبين الولاية التشريعية؟

وهل يلزم من القول بالولاية التكوينية شبهة التعطيل؟

ولمن هذه الولاية ثابتة؟ وهل تعمّ غير المعصوم؟

وهل يمكن لمن هي ثابتة له أن يتصرف في قلوب البشر؟ وإذا أمكنه ذلك هل يقع منه؟ ومتى يصح وقوعه؟

وهل هناك منافاة بين إعمال هذه الولاية كذلك، وبين كون الإنسان مختاراً أم لا؟

وما معنى قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَراً رَسُولاً**﴾؟

الجواب: لا مانع من وساطة مثل جبرائيل عليه السلام وميكائيل عليه السلام في أمور خاصة في عالم الأسباب، فكذا الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام، لا مانع من جريان الأمور بإذنهم وإمضائهم ليلة القدر، ونحو ذلك، ولا مانع من هذا الأمر ثبوتاً، والدليل عليه قائم عند

---

(١) الطلاق: ٢ـ٣.

أهله إثباتاً.

والولاية التشريعة مربوطة بالأحكام الشرعية الجعلية.

والولاية التكوينية مربوطة بسائر المقدرات الخارجية غير الجعلية،

ولا يلزم التعطيل منها كما لا يلزم في وساطة الملائكة.

وثبوت الولاية الكاملة الكليّة لغير المعصوم ممنوعة عقلاً.

وأما كون الإنسان مختاراً، فلا ينافي أقدرية بعض أفراد البشر بالنسبة الى البعض الآخر.

وأما فعلية القدرة، فلا كلام فيها في المعصوم، وأما غير المعصوم فالله تعالى غالب وله أن ينصر المظلوم لمصلحة، وأن لا ينصر لمصلحة علم بها، كما وقع ذلك كثيراً.

***

السؤال: ماذا يقول مولانا دام ظله في ما هو شائع على كثير من الألسنة ـ والظاهر أنه موجود في الروايات أيضاً ـ من أن الله تعالى خلق الكون من أجل خمسة أشخاص أو ثلاثة، أو واحد، وهو النبي صلى الله عليه وآله؟

وما فلسفة هذا الأمر؟ وهل هناك ما يقتضي هذا الشيء في العقل؟ وهل الروايات الدالة عليه صحيحة، خصوصاً حديث الكساء؟

الجواب: خَلْقُ الله الجنّ والإنس للعبودية، يستلزم الخلق لأفضل العابدين وأتباعهم، ولا شك فيه.

***

السؤال: ما معنى قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة: «**بكم بدأ الله وبكم يختم، وبكم ينزّل الغيث... إلخ**»؟

الجواب: كون الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هم السبب الأعظم، يستلزم كون فتح الأمور

وختمها بوساطتهم.

***

السؤال: هل إن المعصومين عليهم السلام قد عصمهم الله تعالى نتيجة لجهدهم وجهادهم في سبيل الله، من باب ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾؟ أم أن الله تعالى عصمهم ابتداء؟

الجواب: إعطاء ملكة العصمة للبعض، منوط بالمصالح المحققة لديه تعالى، ومنها ما يعلمه من الوفاء بالعهود السابقة، في بعض الأفراد دون بعض.

وليست العصمة مانعة عن الاختيار، بل هي ملكة كاملة من العدالة، يستقبح معها صاحبها العصيان، ويراه كأفعال المجانين، وهي ليست غير اختيارية من العقلاء.

***

السؤال: هل يصح التوسل بغير الله تعالى ما دام الإنسان قادراً على التوسل به تعالى؟

وما الغرض أو الفائدة المترتبة على ذلك؟

الجواب: نعم، يصح التوسل بغير الله تعالى، وذلك لإظهار مقام المتوسل به عند الله، وزيادة قربه منه تعالى.

وأيضاً فإن الحاجة إلى المحتاج، تكشف عن شدة الحاجة إلى المحتاج إليه، وهو الله تعالى.

***

السؤال: هل لمن يخاطب المعصوم، ويطلب منه حاجةً ما، أن يخاطبه بالتشفع له إلى الله تعالى في طلبها وتحقيقها، فليس له أن يطلب منه مباشرةً ـ وهو ميِّت ـ أن يقضي له حاجته؟ أم أن الأمر ليس كذلك؟

وإذا جاز كل من الأمرين، فأي الاحتمالين أقرب إلى الرجحان؟

الجواب: إذا كان المقصود من طلب الحاجة هو الاستشفاع، أو العمل بإذن الله تعالى، فلا فرق في التعبير عنه بقولنا (افعل) أو (اشفع).

***

السؤال: ما مستند دعاء التوسل المعروف، الذي يقرأ في ليالي الأربعاء عادة؟ وما مدرك استحبابه؟ هل هو نص خاص أم عام؟ وما وجه التخصيص بهذه الليلة دون غيرها؟

وهل صحيح ما قد قيل أو يقال من أن هذا الدعاء من إنشاء المحقق نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه الشريف، أو غيره من العلماء؟

الجواب: وقت التوسل هو وقت الدعاء، ووقت الدعاء هو وقت الاحتياج، وتذكر الاحتياج.

وبعض الأزمنة والأمكنة أولى في طلب الحاجة والتوسل من بعضها الآخر.

وأدعية التوسل منها ما أثر عن المعصومين عليهم السلام، ومنها ما أنشأه غيرهم.

وللداعي أن يدعو بما شاء، ويتوسل بما شاء، مع الصحة، وإن كانت تبعية المأثور عنهم عليهم السلام أولى.

***

السؤال: ما الداعي الى التقيّد والالتزام بكون الإمام المعصوم عليه السلام أعلم الأمة في كل شيء؟

ولماذا لا نخصص ذلك بخصوص ما يتوقف عليه أمر الإمامة في إدارة البلاد وشؤون العباد؟

أم أن هناك أمراً ما في الإمامة، يقتضي أن يكون الإمام، هو الأعلم من كل

المأمومين بكل شيء؟

الجواب: إذا كان الإمام مطاعاً للكل في كل شيء، فلا بد أن يكون أعلم من الكل في كل شيء، يعرف خطأ غيره، ولا يظفر بخطأ له، وهو معنى الأعلمية، مع الفضل بالمرجحات.

***

السؤال: هل للقرآن بطن؟ وهل الروايات الواردة في ذلك صحيحة معوّل عليها؟
وما هو معنى البطن؟ وهل كل شيء ليس بظاهر يعدّ من الباطن؟
وأيضاً ما المعيار في عد الظاهر ظاهراً؟ إذ قد يظهر لواحد ولا يكون كذلك لآخر؟
هل يجوز تفسير القرآن بالبطن؟ ولمن يجوز ذلك؟ وهل يُعدّ هذا من التفسير بالرأي؟

الجواب: أمَّا أنَّ للقرآن تأويلاً، فالمنصوص في القرآن، أنه مخصوص بالراسخين في العلم.

وأما الظهور المعلوم بالوضع اللغوي، أو بالقرائن التي يطلع عليها كل مجتهد متخصص، فهو مختلف باختلاف أنظار المجتهدين وأفهامهم.

وأما البطن والتأويل، فتختص معرفته بالأوحدي الراسخ في العلم، ولهذا مراتب مختلفة.

والمعرفة المختصة بالنبي والوصي، هي معرفة كل القرآن ظاهراً وباطناً، وهذا معلوم فيها.

فمن التأويل ما يطّلع عليه الراسخون بمقدمات عديدة، دقيقة، عالية يختص فهمها بهم، وبمن يعلِّمونه، ومنه معرفة النزول في جميع الآيات، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص والقرينة وذيها في جميع القرآن.

وليس لغيرهم عليهم السلام دعوى هذه المعرفة الكاملة بالقرآن، بل القرآن دال على أنه تبيانٌ لكل شيء، والكل يعترفون بأنهم لا يرجون جميع ما يحتاجون إلى معرفته منه غير من ذكرنا، أعني النبي والأوصياء سلام الله عليهم.

***

السؤال: هل الرجعة أمرٌ مسلّمٌ عند الفرقة المحقة الإمامية؟

ما المقتضي لها؟ وما هو حكم الجاهل أو المنكر لها؟

الجواب: الرجعة عندنا ـ يعني الشيعة الإمامية ـ ثابتة، وإنكار الثابت ـ إذا لم يكن من الضروريات ـ لا يوجب الكفر، وإن أوجب الخروج عن عقائد أهل الحق، أعني الشيعة الإمامية.

***

السؤال: كيف تفسرون انتقام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، من ذراري أعداء أهل البيت عليهم السلام؟

وهل تزر وازرة وزر أخرى؟

هذا وقد ورد في بعض الأخبار إحياء بعض المنافقين، ممن تقدم في الصدر الأول من الإسلام، في زمان الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، أو غيره من الأئمة عليهم السلام في زمن الرجعة، لينتقم منهم في الدنيا.

فأي فائدة تترتب على هذا الانتقام؟ ألا يكفي انتقام الجبار المنتقم في الآخرة؟

وكيف صح تكليفهم ثانيةً بعد الإحياء، مع العلم بأنهم لا يؤمنون؟

الجواب: إنّما ينتقم صاحب الزمان عجل الله فرجه من الذراري التابعين لآبائهم اعتقاداً وعملاً، المتظاهرين بالتبعية، العاملين بمقتضاها.

وشأنه عجل الله فرجه هو إظهار أحقِّيَّة الحق وبطلان الباطل، فليس منه عليه السلام ببعيدٍ ما ورد من

إحياء بعض أهل النفاق، وليس في هذا ما ينكره العقل.

وكذا اشتمال ذلك على الكرامة والمعجزة، فليس يُحصى منه ومن آبائه عليهم السلام ما صدر - في هذا الشأن - منه ومنهم عليهم السلام.

والتعذيب في الدنيا لا يطّرد إغناؤه عن التعذيب في الآخرة، فإن التعذيب مختلفٌ باختلاف ما يعذّب له، وقد يجتمعان في بعض المكلّفين في بعض الأفعال.

وتكليف القادر المختار جائز عقلاً، وإن كان المكلِّف عالماً بعصيان المكلَّف.

***

السؤال: هل يصح أن يتصف النبي بأي عيبٍ ولو كان جسمانياً؟ كما يُروى عن موسى عليه السلام أنه كان يشكو علة في لسانه؟

الجواب: يجوز- في مثل هذا - ما يحدث من الظالمين ككسر الأسنان، ولا يجوز ما لا يتمكن معه - النبي - من التبليغ.

كما لا يجوز ما فيه تنفُّر طباع الناس المبعوث إليهم النبي، على الأنبياء وخاتمهم وآله الصلاة والسلام.

***

السؤال: هل يصح كون النبي مشركاً قبل البعثة؟

وما المانع من هذا علماً أننا نرى بعض الأشخاص الذين أسلموا أو التزموا بالأحكام الدينية بعد فسقهم أو إلحادهم، أكثر تأثيراً في نفوس كثيرٍ من الناس؟

فهل يصح قياس هذا الأمر على الأنبياء عليهم السلام؟

الجواب: يُستبعد عقلاً أن يكون كامل العقل مشركاً، إلا ما كان ظاهراً بحسب الصورة مع التقية.

كما يُستبعد عقلاً أن يكون من يتكلّم في المهد - بل في بطن أمه - كلام حق، غير

كامل العقل.

***

السؤال: هل يجب في آباء النبي صلى الله عليه وآله وأمهاته أن يكونوا مؤمنين؟

وهل هذا مطّردٌ في الأئمة عليهم السلام وباقي الأولياء عليهم السلام أجمعين؟

وهل صحيح أنه لا يضر أن تكون بعض أمهات الأئمة عليهم السلام أم ولد؟

الجواب: ثبت في الأئمة عليهم السلام أنهم كانوا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة من دون أن يجب ذلك وجوباً عقلياً، بل إنهم عليهم السلام لعلوّ مقاماتهم، وعدم مناسبة الأنوار المحضة مع الظلمات، كانوا كذلك.

***

السؤال: هل أن علم النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام بالأشياء من حوله فعلي؟ أم أنه معلّقٌ بمعنى: إن شاء علم؟

وعلى الأول: ما تأويل قوله تعالى: ﴿**لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾؟ وقول الملائكة لإبراهيم عليه السلام: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا**﴾؟ وكيف لم يعلم يعقوب عليه السلام بمحلٍّ يوسف عليه السلام طول مدة غيبته؟

وكيف خاف موسى عليه السلام من الحيّة؟ وهل يصح وقوع الخوف من النبي صلى الله عليه وآله وقد قال الله تعالى: ﴿**لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾؟ ولو أنه عليه السلام علم حقيقتها فما الموجب للخوف منها؟

وعلى أي شيءٍ تحمل قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام؟ ولماذا لم يعلم موسى عليه السلام بتأويل ما لم يستطع عليه صبراً؟

واذا اخترتم الشق الثاني، فكيف تصنعون بالروايات التي قد يأبى بعضها عن الجمع مع الطائفة الأولى، ومنها: أن الدنيا في يد المعصوم كالجوزة في كف أحدكم، وأن

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عنده علم المنايا والبلايا، وعنده تاريخ كل واحد من شيعته وأسماؤهم، وما كان وما يكون الى يوم القيامة، وأنه أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض وغيرها؟.

الجواب: جواب هذا ممّا يدق ويصعب فهمه على الأفهام العادية، ولا يحرز العالم به الإذن في إظهار هذا لكل أحد.

فإن الجمع بين قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ ولقد كانوا في أمورهم العادية كذلك، وما دلَّ على أنهم أنوارٌ محضة، غير مفهوم على التفصيل للأذهان العادية.

فليس عليهم إلا الإيمان والتسليم فيما لم يعلموا.

وليس مجهولاً على الكل معنى قوله عليه السلام: «**إذا شئنا علمنا**» ولا إخبارهم بطلب الاطمئنان، وقوله عليه السلام: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾.

وقوله عليه السلام: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾، وأمثالها مما يطول تفصيله، بل لا يناسب أوساط الأذهان، ولا يقنع في بيانه بالإجمال.

ولعل الله يوفقنا على التدرج في التفهيم المقنع، وهو الهادي.

تمّت أجوبة المسائل الشاميّة

المجموعة الثانية

أجوبة المسائل الكويتية

سماحة آية الله العظمى الشيخ بهجت، حفظه الله ذخراً وعزاً للإسلام وللمسلمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمام الهجمة الفكرية المنظمة، والخطوط الالتقاطية الهجينة التي تعمل -عن قصد وغير قصد- لتشويه الفكر الإسلامي، والنيل من الأصالة والنقاء الذي بقيت عليه الطائفة الشيعية المحقة، من خلال جهود حوزاتها العلمية وجهاد علمائها، وببركة وجود المرجعية، هذا الحصن المنيع، والموقع المشمول بالعناية الخاصة لإمامنا وراعينا الحجة بن الحسن عليه آلاف التحية والسلام.

رجعنا بل لجأنا إليكم في محاولة لبذل البديل الصحيح، وعرض الصورة السليمة التي تستقي العلم من أهله، وتطلب الحق ممن عرفه، فنواجه ما يتناهب الساحة، من تشريق وتغريب المنحرفين عن معدن العلم وأهل بيت الوحي، ونصحح بعض ما يفسدون، وتتم الحجة على من يدعي الموضوعية ويتلبس بالعلم ويثير [في الوقت نفسه] ما يشكك المؤمنين بعقائدهم ودينهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

أرجو التكرم بالإجابة على هذه الأسئلة على نحو التفصيل مهما أمكن، إذ نحن بصدد طبعها ونشرها تعميماً للفائدة، وان لم يسع وقتكم الشريف للإجابة المفصلة على كل الأسئلة، فأرجو سماحتكم اختيار بعضها، كما ننوّه بإمكانية الرد بالفارسية، وان

بوسعنا ترجمته.

السؤال:

ما هو حدّ الغلو؟ وهل تصح عقيدة المؤمن إذا رأى أن للأئمة صلوات الله عليهم مقاماً، لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل؟ وعموماً، إذا اعتقدنا بالمضامين التي جاءت في الزيارة الجامعة الكبيرة؟

هل يشمل اللعن في الآية ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾، القائلين: إن الله فوَّض إلى الأئمةعليهم السلام الأحكام الشرعية وشؤون الخلق والرزق... مع إقرارهم وإذعانهم بأن كل ذلك من الله، وهبه لهم وفوَّضه إليهم فهم يباشرون خلق الخلق ورزقهم وإنزال السحاب وإنبات الثمر... كما يباشر عزرائيلعليه السلام قبض الأرواح عموماً؟

ماذا تعني الولاية التكوينية للأئمةعليهم السلام؟ وهل تؤمنون بها؟ نرجو أن تذكروا دليلاً معتبراً على ذلك.

الجواب:

اللازم علينا الاعتقاد بالعقائد الخمسة، التي هي من ضروريات الدين أو المذهب الحق.

واللازم في غيرها الاعتقاد الإجمالي، بأن نعتقد فيهم صلوات الله عليهم ما يعتقدونه في أنفسهمعليهم السلام.

وإذا صح لواحدٍ منا تفصيلُ شيءٍ من ذلك، فلا يتعداه اعتقاداً وعملاً والله الموفق.

وقد صح عنهمعليهم السلام قولهم: «**نحن النمرقة الوسطى، إليها يرجع الغالي، وبنا يلحق التالي**».

وقد صح عنهم أيضاً مضمون ما نسب إليهم صلوات الله عليهم: «**أنزلونا عن الربوبية**»، وهي أول الأوائل وغاية الغايات «**وقولوا فينا ما شئتم**»، يعني ما يصدّقه العقل والنقل المسلّم.

فعلينا التصديق لهم فيما علمنا، والتسليم إليهم فيما لم نعلم.

كما علينا الاعتقاد الإجمالي في الثاني، والاعتقاد التفصيلي في الأول، والله هو الهادي.

***

السؤال:

في الكافي الشريف: إن الأئمةعليهم السلام يتوارثون كتاباً مختوماً أو خواتيم (ج١ كتاب الحجة باب إن الأئمةعليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله)، يفتحها كل منهم ويمضي ما فيها، وإن الحسينعليه السلام فتحها فوجد فيها: أن قاتل فاقتل وتقتل، واخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، فافعل، وأن زين العابدينعليه السلام فتحها فوجد فيها أن اصمت وأطرق، وأن الباقرعليه السلام فتح الخاتم الخامس فوجد فيه فسّر كتاب الله وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الأمة... وهكذا.

تُرى، أين يقع ما يقوم به بعض الكتاب، والمفكرين الإسلاميين من تحليل تاريخ الأئمة، واستنباط الآراء والمواقف من سيرتهم، حيث يعرضون الأمور في كتاباتهم وتحليلاتهم، على نحو يفهمه القارئ كتفسير للحديث وتعليل لعمل المعصوم؟

الجواب:

علم جوابه مما تقدم في جواب السؤال الأول.

***

السؤال:

مقولة: إن العقائد قضية عقلية، يجب أن يصل المكلّف إليها مباشرة، فيعرف برهانها ويذعن له، لا أن يأخذها تقليداً، هل يشمل ذلك جميع أصولها دون تفصيلاتها؟ ماذا عن التفصيلات المختلف فيها؟

ما هو المرجع في تحديد الصحيح والأصح؟ هل تخضع للقواعد والعلوم التي تعالج فيها الأحكام الشرعية، فنرجع فيها إلى المتخصص، أم أن لنا ـ كعوام ـ التعامل المباشر معها؟

الروايات التي تتحدث عن حدود علم الإمام ـ على سبيل المثال ـ هل لنا أن نرفضها، لأن الضرورة العقلية لا تقتضي وجوبها في الإمام، وأنها تفرض فيه مجرد العصمة عن الخطأ في التبليغ ليس إلاّ؟ أم علينا التسليم والإذعان والاعتقاد بها (إذا صحت سنداً وتمت دلالة)...؟

الجواب:

علم جوابه مما تقدم في جواب السؤال الأول.

***

السؤال:

هل يجور للمثقّف المطلع، أن يحدد الأفكار والمفاهيم الإسلامية، ويكون صاحب رأي ونظر في القضايا الإسلامية المختلفة (غير الأحكام الشرعية)؟ وهل يجوز لنا أن نأخذها عنه؟ أم أن ذلك يفتقر إلى العلوم الحوزوية، ولابد من مراجعة العلماء فيها؟

الجواب:

في أصول العقائد الخمسة، لابد للمتمكن من تحصيل اليقين بالدليل، وفي غيرها لابد للمكلّف من التسليم، قبل تحصيل العلم على التفصيل.

السؤال:

هناك من ينكر فضائل الزهراء سلام الله عليها ويقول: «إنّها امرأة عادية مثل سائر النساء، غاية الأمر أنها جاهدت وعبدت الله تعالى فبلغت مقاماً عالياً، يمكن لغيرها من النساء أن تبلغه، إذا ما مضت على الطريق نفسه، وتوفرت لها الظروف نفسها».

ويقول: «لنجرِّب أن نجد أكثر من فاطمة في أكثر من موقع»!

ويشكك في مصائبها، وما جرى عليها من القوم، من كسر الضلع، وإسقاط الجنين وكونها استشهدت إثر تلك الجرائم الفظيعة...؟

ما رأيكم في كل ذلك؟

الجواب:

من ينكر فضائل الأربعة عشر المعصومين صلوات الله عليهم، أو ينكر تفضيلهم عليهم السلام على الكل، إن كان معانداً متعمداً في إنكاره فهو ناصب وخارجٌ عن الدين.

وإن كان جاهلاً غير قاصر، فيجب عليه التعلم، ويجب على العلماء التعليم.

ومن أقرّ بالشهادتين، ولم يعلم تعمّده خلافهما، فهو بحكم المسلمين.

***

السؤال:

الفقهاء العدول الجامعون لشرائط الفتوى والتقليد، والذين هم الأمناء على فقه آل محمد عليهم السلام، هل هم أمناء على العقائد أيضاً؟

هل يصح أن يقول البعض: (إنهم يؤيدون الخرافات والأساطير ويتبنونها مراعاةً للعوام، خوفاً منهم أو حرصاً على استمرار الاتصال بهم)؟

الجواب:

الاعتقاد بأصول العقائد الخمسة ـ والتي بعضها من ضروريات الدين، وبعضها من ضروريات المذهب الحق ـ شرط للائتمام بالعلماء والرجوع إليهم، فلا يرجع إلى العالم المشكوك منه ذلك.

***

السؤال:

يرجى بيان معنى العبارة الآتية التي وردت في دعاء رجب: «... **أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك وخلقك**»؟

الجواب:

تقدم ما يفهم منه ذلك.

***

السؤال:

يرى (البعض) أن معرفة الأئمة عليهم السلام، ومقاماتهم، ومعجزاتهم، وأفضليتهم على الخلق أجمعين، ليس بالأمر المهم، وأنه نوع من الترف الفكري، لأن ما يجب الاهتمام به، هو مجرد تطبيق تعاليمهم، والعمل بإرشاداتهم، والاهتمام بالجانب الاول يُشغل ويؤثر سلباً في الجانب الثاني...

فما هو رأيكم دام ظلكم؟

الجواب:

الترقي في محاولة معرفة الأئمة عليهم السلام بالطرق المعلومة، يستلزم الترقي في معرفة الله تعالى، وهو ـ يعني هذا الترقي ـ يوجد الازدياد في الإيمان والعمل لا النقص.

لكنه فوق المعارف الواجبة على الكل، وهو من الكمالات والفضائل، وليس من شروط الإسلام أو الإيمان، بل هو من مكملاتهما.

***

السؤال:

جاء في كتاب العروة الوثقى، فصل مكروهات الدفن، ما يلي: «السابع تجديد القبر بعد اندراسه إلاّ قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء والعلماء...

التاسع: البناء عليه عدا قبور من ذكر، والظاهر عدم كراهة الدفن تحت البناء والسقف...

العاشر: اتخاذ المقبرة مسجداً إلاّ مقبرة الأنبياء والأئمة والعلماء...

الحادي عشر: المقام على القبور إلاّ الأنبياء والأئمة».

وما هو الوجه في استثناء هذه القبور من المكروهات السابقة؟

وما هو رأيكم في الزخارف والتزيينات الموجودة في هذه المقامات؟

الجواب:

الكراهة ـ فيما ثبتت فيه الكراهة ـ تزول بالمرجحات.

بل ربما تتبدل إلى الوجوب، كما إذا لزم من ترك التجديد أو التجصيص، انكشاف المؤمن وهتك حرمته.

واللازم في إثبات الكراهة ونفيها في الموارد المخصوصة، هو الاطلاع على الأحكام، بمراجعة كتب الفتوى للمقلّد، ومراجعة كتب الاستدلال والأدلّة للمجتهد.

وأما السيرة المستمرة في البناء على قبور الأنبياء والأوصياءعليهم السلام، والأقرب فالأقرب ـ وما في ذلك من المصالح التي منها تعظيم الشعائر ـ فلا ينبغي إنكارها (يعني السيرة) إلا من غير المطَّلع، أو غير المؤمن بالمعنى الأخص للإيمان، بل الأعم أيضاً.

والله الهادي.

***

السؤال:

ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾؟ وما معنى (راق)؟

هل تصححون ما جاء في بعض الروايات من الندب لقراءة بعض الأدعية، أو اتخاذ الأحراز طلباً للأمان أو شفاء المريض، وما إلى ذلك؟

كيف التوفيق بينهما وبين لزوم مراجعة الأطباء، واللجوء إلى الأسباب المادية الطبيعية في الاستشفاء؟

الجواب:

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي وقال من حضره أهله: هل من راقٍ، أي هل من طبيبٍ شافٍ يرقيه ويداويه. فلا يجدون، كذا في مجمع البيان، ولعله يراد به ما في قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وهو المناسب لما قبل الآية وما بعدها.

والأدعية المأثورة ـ دعاءً أو تعليقاً ـ لا بأس بها، وغير المأثور اذا صحّت مضامينه ـ بحيث يشمله اطلاق الدعاء والتوسل والتحصين ـ أيضاً كذلك، إذا قرىء أو قيل برجاء المطلوبية وبرجاء التأثير في الأمور المشروعة.

والجمع بين مراجعة الاطباء من جهة، والندب لقراءة الأدعية والأحراز من جهة

أخرى، بالحمل على صورة اليأس، أو صورة عدم التمكن، أو صعوبة مقدمات المراجعة ونحوها، وبهذا يرتفع الإشكال.

***

السؤال:

هل يصح القول في غير الأنبياء والأئمةعليهم السلام أنه معصوم، كالسيدة الحوراء زينبعليها السلام، وأبي الفضل العباسعليه السلام؟

وهل للعصمة مراتب؟

الجواب:

العصمة شرط المنصب في الأنبياء والأوصياءعليهم السلام، فهي واجبة فيهم، لا أنها ممتنعة في غيرهم.

والشاهد أن كل واحد منا مكلّف بترك المعاصي كلها، في كل حال وزمان إلى آخر عمره، ولازم قسم منه العصمة، فهل يكون الكل مكلّفاً بالمحال على غير الأنبياء؟ والأوصياء؟!.

هذا وقد علم [عن] جماعة من الصالحين الصادقين من أهل البيتعليهم السلام، وسائر الكاملين صحة دعوى ترك جميع المعاصي.

***

السؤال:

حبُّ أهل البيتعليهم السلام وبغض أعدائهم بحد ذاته ـ إذا لم ينجر إلى عمل ولم يدفع الى عبادة ـ هل يفيد الإنسان؟

الجواب:

حبُّ الله تعالى، وحب أنبيائه وأوصيائهم، وأوليائه، وبغض أعداء الله تعالى،

وأوليائهم، هما أصل الطاعات، والعبادات متفرعةٌ عليهما.

وهما ـ أي الحبُّ والبغض ـ من الواجبات عقلاً وسمعاً، «**وهل الدين إلاّ الحبُّ والبغض**»؟

ومودة ذوي القربى هي أجر الرسالة المنصوص عليه في الكتاب العزيز.

***

السؤال:

ما هو قولكم في الرجعة؟ وهل يصح عدّها من أصول الدين؟

الجواب:

الرجعة بعد الموت وظهور المهدي عجل الله فرجه، ثابتة محققة عند الشيعة الإمامية، ولا يُعتنى بمخالفة غير المقتبسين من أنوار أهل البيت عليهم السلام، الذين هم أدرى بما في البيت وإنما أمرنا النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بحبلهم عليهم السلام.

***

السؤال:

حديث انعقاد نطفة الزهراء عليها السلام، والطعام الذي جيء به للنبي صلى الله عليه وآله واعتزاله خديجة... هل يتعلق بخلق روحها أم بدنها الشريف؟

وعموماً: هل يختلف عنصر وهيئة بدن المعصوم عن أبدان سائر الخلق؟ كيف كانوا يمرضون إذن؟ وكيف كان بعضهم شديد السمرة، وبعضهم بديناً كما في الروايات؟

وما مدى صحة ما يقال من الخصائص الجسمانية للمعصومين عليهم السلام، من قبيل عدم النوم، والرؤية من الخلف كالرؤية من الإمام، وانطباع أثر القدم على الحجر كانطباعه على الرمل؟

الجواب:

ليس لازماً علينا التفتيش النظري في شيء من ذلك، والواجب هو التسليم في كل الأمور التي تصح عنهم.

ولو أردنا التفصيل والتكميل، لزمنا مراجعة مآثرهم، وبياناتهم وروایاتهم، ومراجعة تواريخ أحوالهم، وكراماتهم، لزيادة معرفتهم عليهم السلام، المولدة لمعرفة الأمور الواقعة في السؤال.

ويجري فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

نعم أجسادهم في غاية اللطافة القريبة من الروحية، حتى قيل في الصادق عليه السلام: «**لو قلت في واحد: إنه يتروَّح إذا شاء، ويتجسّد إذا شاء، كان هو كذلك**».

ويشهد بذلك كراماتهم المتواترة.

***

السؤال:

إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام قد منح بعض أصحابه، كرشيد الهجري، و سلمان الفارسي علم المنايا و البلايا،

فمن باب أولى أنه عليه السلام كان يحمل هذا العلم،

إذن كان عليه السلام يعلم بأجله و وقت منيته...

على ضوء ذلك: ما هي فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام في قضية المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة؟

و هكذا بروزه لعمر بن عبد ودّ يوم الخندق؟ و غير ذلك من مواطن تعرضه عليه السلام لحتفه؟

الجواب:

أمّا علمهم بالبلايا و المنايا، فمن طريق اطلاعهم عليهم السلام على الغيب، وهو الطريق المخصوص بهم، و بأمثالهم من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وبأوليائهم، والذي خصَّهم بمعرفة ذلك، خصَّهم بالإذن أو اللاإذن في الإرادة أو الكراهة المخصوصتين.

فلكل أحد أجلٌ محتوم لا ينفع الفرار منه، وهم يعلمون ذلك، وبهذا يمتازون عن غيرهم، وأجلٌ غير محتوم ينفعهم الخروج عنه حتى بالصدقة و نحوها.

وعملُهم في الأول ـ يعني في المحتوم الذي لا ينفع الفرار منه ـ هو عمل من لا يعلم، ويكون صادراً عنهم بحسب الوظيفة الدينية.

***

السؤال:

الحبال التي ألقاها السحرة أمام موسى عليه السلام، هل انقلبت حقيقة إلى ثعابين؟ أم تراءى للناس ذلك؟

وهل يمكن لمثل ذلك أن ينطلي على الأنبياء والأئمة عليهم السلام؟

وما هي قصة «النفاثات في العقد»؟

الجواب:

عمل السحرة مبني على الخلاف في التحقيق أو التخييل الخاص، المخصوص بأهل فن السحر.

ويرجع إلى التفاسير في النفاثات في العقد.

وعمل أهل الإعجاز لا يتحصل الجامع فيه،

إلاّ أنّ المعلوم أن عصا موسى عليه السلام بدّلها الله تعالى ثعباناً، ثم أرجعها إلى ما كانت عليه سابقاً.

وطريقته تعرف من الكاف والنون، من الله الأمر بالإلقاء.

وفقكم الله وإيانا لمراضيه بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

***

السؤال:

ما هو رأيكم في الشعائر الحسينية؟

وما هو الرد على القائلين بإنها طقوسٌ لم تكن على عهد الأئمة الأطهار عليهم السلام، فلا مشروعية له؟

الجواب:

مذكِّرات مصائب الحسين عليه السلام من تعظيم شعائر الله، وهي محبوبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، ما لم تكن حاصلةً بالمحرَّم في نفسه.

وذلك ثابت بحسب الآثار، وبحسب سيرة أهل الحق،

ولا عبرة بعدم الثبوت عند الجاهلين أو المعاندين.

ويطَّرد ذلك في مصائب سائر المعصومين عليهم السلام.

وعقد مجالس الحزن لحزنهم بذكر مصائبهم عليهم السلام، كعقد مجالس السرور بذكر مسرَّاتهم، ولا فرق بينهما. صلوات الله عليهم أجمعين، ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

تمت أجوبة المسائل الكويتية

المجموعة الثالثة

مقتطفات من أجوبة المسائل العراقية

حول عصمة الأنبياء والأوصياء وتفسير ما نسب إليهم من استغفار:

أما عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فثابتة في علم الكلام، من غير فرقٍ بين العصمة عن الخطأ أو الخطيئة.

وأما الاستغفار فغير قابل للإنكار.

ومرجعه (أي الاستغفار) في حق غيرهم عليهم السلام، إلى طلب رفع آثار المعصية، وما يعم ذلك.

ومرجعه في حقهم عليهم السلام، إلى طلب دفع المعاصي عنهم، بالعصمة المانعة عن الوقوع فيها، أي المعصية.

والمعصية وإن كانت ممتنعة في حقهم، إلاّ أن امتناعها بالغير، ولا ينافي ذلك أن يكون تركهم للذنوب واقعاً منهم باختيارهم.

ومن مباديها (أي العصمة) كونهم ـ حدوثاً وبقاءً ـ طالبين للحفظ من الله تعالى عن تلك المهالك.

ولا إشكال في شيء من ذلك عند العاقل المتأمل.

حول العصمة ومراتبها أيضاً:

العصمة غير ممتنعة في حق غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

والفرق بين (وجودها يعني العصمة) في حق هؤلاءعليهم السلام، وعدم وجودها في حق غيرهم، ليس أنها ممتنعة في حق غيرهم.

فقد حكي عن جماعة من الصادقين، أنهم ادعوا ترك المعاصي في كل العمر منهم زيد بن علي بن الحسينعليه السلام، فقد نقلوا عنه أنه قال: «**منذ عرفت يميني من شمالي ما عصيت الله**»، ونقل مثل ذلك عن غيره.

وأما الأمة الهادية العادلة في قوم موسىعليه السلام، فيمكن أن يكون لهم (يعني قوم موسىعليه السلام) العصمة، أو لا يكون لهم سوى ملكة العدالة، التي هي أعم من العصمة.

كما أن العصمة أيضاً لها مراتب، والعصمة عاليةٌ في حق الأنبياء أولي العزم.

وبعدها في الرتبة ما لسائر الأنبياء والأوصياء.

وللنبيصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام فوق ما لغيرهم.

ويمكن أن يعبَّر عن المراتب، بأن منها: ما لو فرض وجود المانع، الداعي إلى المعصية، في حدٍ خاصٍ من القوة، زالت معه.

ومنها: ما لا يزول بهذا بل بأقوى منه.

ومنها: ما لا يزول بالأقوى من هذا أيضاً، كما في أصحاب المناصب الإلهية من النبوة والوصاية والحمد لله.

العصمة واختياريتها:

تقدم الجمع بين العصمة المانعة عن الذنوب من جهة، وبين كون فعل المعصية اختياراً، أي بإرادة ترك الذنوب ومبادئها.

وعلمه تعالى بطاعة المطيع ومعصية العاصي، لا ينافي الاختيار منهما، وكونهما مكلَّفين.

حول قوله تعالى بالنسبة ليوسف عليه السلام: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾:

همُّ يوسف للمعصية تعليقي[1] لا فعلي كما هو واضح.

وكذا كل مؤمنٍ تاركٌ للمعصية، إنما يحفظه الله بمرتبة يقينه.

وهو أمر مختلفة مراتبه في المعصوم وسائر المؤمنين.

حول عبس وتولى وقول من قال بنزولها بالنبي صلى الله عليه وآله:

تقدم أنّ العصمة والحفظ بمبادئهما اختياريان، وإن كانا معلومين في حق البعض.

والعدول في آية عبس وتولى الشريفة من الغيبة إلى الخطاب، يوجب حمل أحدهما على الآخر.

فإن كان المضمون منافياً للعصمة العالية الواقعية، تعيَّن حمل الخطاب على الغيبة فالمورد حينئذ هو غير النبي صلى الله عليه وآله.

وإن لم يكن المضمون منافياً لهذه العصمة، أمكن العكس. وهو حمل الغيبة على الخطاب.

والرواية الخاصّة عن أهل البيت عليهم السلام تعيِّن الأول دون الثاني، وهو الموافق لمرتكزات وعقائد أهل الحق أعزَّهم الله تعالى.

حول الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة عليهم السلام:

إذا جاز للملائكة الولاية على الرزق والإماتة ونحوهما، من دون لزوم شرك، جاز للنبي والوصي مثل ذلك، من دون لزوم شركٍ أيضاً.

بلا فرق بين الأمرين، لانتهاء الأمور كلها إلى مسبب الأسباب.

---

(١) أي معلّق على عدم رؤيته برهان ربه، وبما أنه رأى برهان ربه فهو لم يهمّ بها أصلاً. (المحقق).

وقد تحقق عندنا نزول الملائكة على الإمام عليه السلام ليلة القدر في كل سنة، لما يرتبط بالحوادث التي ستقع في تلك السنة.

ولا يلزم شرك بسبب هذا النزول، ولا بسبب من ينزلون إليه.

وقد جرت سنة الله على التسبيبات، مع غناه ذاتاً، حتى عن التلفظ بقوله تعالى «كن».

الملحق الأول

نبذة من حياة العارف الكامل
السيد علي القاضي



ولادته ونشأته:

ولد السيد علي بن حسين القاضي الطباطبائي في أواخر سنة ١٢٨٣ هجري قمري في مدينة تبريز.

بدأ دراسة العلوم الأدبية والدينية منذ صباه على يد والده وآخرين. وبعد بلوغه السادسة والعشرين من العمر هاجر إلى النجف الأشرف وتتلمذ فيها على أكابر علمائها كالمامقاني والخراساني والشرابياني وحسين الخليلي، وقد حضر عند الأخير دروس تهذيب الأخلاق وكان مشغوفاً به ويكنّ له أعلى درجات الاحترام.

وبعد أن أنهى دراساته العلمية في الفقه والأصول اتجه نحو تزكية نفسه بشكل كامل برعاية ثلّة من عرفاء عصره، وعلى رأسهم السيد مرتضى الكشميري الذي تتلمذ على يديه مدة عشر سنوات والسيد أحمد الكربلائي المعروف بواحد العين الذي قضى معه سنوات عديدة في مناهج السلوك، والشيخ محمد البهاري، وكلاهما من تلاميذ حسين قلي الهمداني الذي يُنسب إليه مجموعة عرفاء النجف الأشرف، وفي غضون عدة سنوات طلب منه السيد أحمد الكربلائي أن يتولّى معه تربية تلاميذه.

وطبعاً فإن السيّد القاضي كان قد أمضى فترات طويلة قبل مجيئه إلى النجف الأشرف في تزكية نفسه.

وكان والده قد أمره في أوائل شبابه أن يحضر عند أستاذ الأخلاق العارف إمام قلي النخجواني عدة ساعات في اليوم. وكان أستاذه النخجواني هو الذي وضع الحجر الأساس في البناء العرفاني لشخصية السيد القاضي.

وعندما هاجر إمام قلي إلى النجف الأشرف سمح السيد حسين القاضي لولده السيد علي بالهجرة أيضاً إلى النجف وملازمة إمام قلي فيها.

وكان السيد علي متزوجاً من عدّة نساء وله أولاد كثيرون، وكان في وضعه المادي فقيراً جداً، ومع ذلك فلم يكن يبدو عليه أي قلق لذلك، ولم تأخذ الحاجة المادية حيزاً في تفكيره وهمّه، بل كان تفكيره وهمّه في عبادة الله عز وجل فقط، وكان يقول: إنّ الأفضل لي أن أبقى فقيراً؛ لأنّ في ذلك تحسّن حالتي الروحية والمعنوية، بينما تنقلب الحالة عند بعض آخر كأستاذي الشيخ محمد البهاري فإنّ تحسّن حالته الروحية مرتبط بتحسّن حالته المادية، فكان يعمل بمهنة الصياغة ووضعه المالي جيد جداً.

وكان فقره المدقع موضع تعجّب أصدقائه والمقربين إليه، ومن صور فقره أنّه لم يكن يمتلك في داره غير حصير من الخوص، وكان مع عياله يقضون أكثر أوقاتهم في الليل في ظلام دامس؛ لأنّه لم يكن يمتلك مالاً يشتري به نفطاً قليلاً يضعه في الفانوس.

ومن قصص فقره ما حُكي عن العلاّمة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان يقول: اشتدت حاجتي إلى المال حاجة شديدة فقررت الذهاب إلى أستاذي السيد القاضي لكي أقترض منه مبلغاً يسيراً ريثما يرسلون لي المال من إيران، وعندما جلست عنده جاء أحد أولاده من الكوفة وقال له: إنّ أمي قد وضعت مولودها ونحن بحاجة إلى شيء من المال، فمدّ السيد القاضي يده في جيبه فلم يجد شيئاً فقال لولده: ليس عندي شيء من المال كما ترى.

فقال ولده: أعطني عدة سجائر لكي نعطيها كإكرامية للقابلة على الأقل.

فقال السيد القاضي: وليس عندي شيء من ذلك أيضاً.

يقول العلاّمة الطباطبائي: ومع ذلك فقد قضى السيد القاضي حياته بكل هدوء وطمأنينة بنحو يثير الدهشة والاستغراب.

ومن صور فقره أنّ صاحب الدار التي كان يستأجرها السيد رمى بأثاثه مرّة في الشارع لأنّه لم يكن قادراً على دفع الإيجار، فأخذ عائلته وسكن في إحدى غرف مسجد الكوفة المعدّة لاستقبال الزوّار.

عبادته:

كان السيد القاضي يتخفى بعبادته عن الأعين إلاّ في أداء الفرائض التي كان يأتي بها جماعة مع صفوة تلاميذه البالغين من السبعة إلى عشرة أشخاص في منزله أو في إحدى غرف المدارس الدينية ما تهيأ له ذلك، وأمّا أعماله العبادية الأخرى فقد كانت له غرفة في مسجد الكوفة يتعبّد فيها، أو يذهب إلى مسجد السهلة، وكانت له علاقة شديدة بهذين المسجدين، كما كانت له غرفة صغيرة في مدرسة «قوام» يتعبّد فيها بعد الساعة الثانية عشر ليلاً حينما تهدأ العيون ويغط الطلبة الساكنون فيها في النوم، فيبدأ السيّد القاضي مناجاته ودعاءه وأذكاره وصلواته بصوته الجميل الذي يأخذ بقلوب من يصغي إليه.

ويقول العلاّمة الطباطبائي: كانت هنالك أيام يختفي فيها السيد عن الأنظار، ولم تكن عائلته أيضاً تعلم بمحل إقامته، ومهما بحث عنه تلاميذه في البيت أو المساجد وغيرها لا يجدون له أثراً، إلى أن يأتي فجأة ويزاول نشاطه التوجيهي والإرشادي بنحو طبيعي.

وكان برنامجه في شهر رمضان في العشرة الأولى والثانية هو إقامة مجالس التعليم والإرشاد لتلاميذه بعد أربع ساعات من الغروب، ويستمر هذا المجلس لمدة ساعتين ثم يتفرّغ للعبادة إلى الصباح، وأمّا في العشرة الثالثة فإنّه كان يختفي عن الأنظار ويتفرّغ للعبادة في مكان لا يعلم به إلاّ الله، وقد استمر على هذا البرنامج إلى حين وفاته.

كان ! يتجنّب الحضور في الاجتماعات العامة، وكان كثير الصمت، يُحيي ليله بالتهجد والعبادة ونهاره بالتفكير والمطالعة، وكان يزور المرقد المطهر لمولى الموحدين عليه السلام بعد الساعة الثانية من الظهر حيث يهرع الناس إلى بيوتهم بسبب الحر الشديد ويبقى الحرم خالياً إلاّ من عدد قليل من الزوّار.

وكانت له سجدات طويلة في كل يوم لا يشغله عن الإتيان بها شاغل، يقول السيد عبد الكريم الكشميري: كنت أزور أستاذنا القاضي في داره بين الفينة والأخرى فأجده ساجداً، فأنتظر طويلاً لعلّه يرفع رأسه من السجود ولكن دون جدوى، فأخرج من الدار وهو لا يزال في سجوده.

وكان يواظب أيضاً على قراءة سور المسبّحات قبل النوم، وهي السور التي تبتدئ بـ «سبّح» و«يسبّح»، وهي خمسة: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.

وكان يواظب أيضاً على زيارة مقبرة وادي السلام يومياً بين الطلوعين، وكانت زيارته تستغرق ساعتين إلى أربع ساعات حيث يجلس صامتاً في زاوية من الزوايا وكان يصطحبه أحياناً بعض تلاميذه الذين سرعان ما ينتابهم الضجر من هذا الصمت المحيّر فيتركونه وحده ويذهبون.

أخلاقه:

لقد كان السيد القاضي صاحب خُلق رفيع قد هذّب نفسه تهذيباً كاملاً من رذائل الأخلاق كالغرور والتكبر وحب الرئاسة والمدح وحب الدنيا... الخ، وتحلى بالصفات المحمودة كالتواضع والتذلّل للمؤمنين وحب الفقراء والضعفاء والمساكين ومساعدتهم والكرم والشجاعة والرضا والقناعة... الخ.

وبالجملة فقد كان إنساناً قد تحرّر من شهواته الحيوانية وصار موجوداً ملكوتياً

يعاين عالم الملكوت وتنكشف له حقائق الوقائع والأحداث ويرى حقيقة الأشخاص.

وكان يشتري حاجياته بنفسه ويحملها إلى داره، فكان يشتري الخضار والفواكه التي لا يرغب فيها أحد ويحملها بطرف ردائه ويجتاز بها الأسواق ذاهباً بها إلى بيته وعندما سُئل عن سبب رغبته في شراء ما يزهد فيه الآخرون قال: إن البائع الفلاني مثلاً فقير، وقد اشترى الناس منه الخضار والفاكهة الجيدة، وبقيت هذه لا مشتري لها وأنا أعلم أنه سيرميها قبيل الظهر في المزبلة، وأنا أود مساعدته من غير أن يذهب ماء وجهه أو يتعلّم على تناول الصدقة من الناس ويترك الكسب الحلال، فأشتريها منه، وفي نفس الوقت فإنّ هذه الخضار والفاكهة تؤدي نفس أثر الخضار والفاكهة الطازجة.

ومن قصص تواضعه ما نقله السيد الكشميري يقول: كنت في زيارته أحد الأيام فقدم لي تمراً، فلم أتناول منه، وقد طلب منّي عدة مرات تناول شيئاً منه ولكنّي لم أفعل لعدم رغبتي في تناول هذا النوع من التمر، ثم عرف السيّد أنّي أحب التمر الديري وعند خروجي من داره ذهب مسرعاً إلى السوق ولحق بي أمام دارنا وهو يصيح بي، ثم أخرج بكفيه مقداراً من التمر الديري وأعطانيه.

وينقل نجله السيد محمد حسن القاضي عن والده يقول: كنت أذهب مع والدي في صغري عند ذهابه إلى السوق، وكان له صديق يبيع الفحم يزوره في الشهر مرة على الأقل، فكان والدي يجلس معه داخل الدكان ويأمرنا أن نبقى خارجاً خوفاً من اتساخ ثيابنا بالفحم، وكانا يتحدثان ساعة يقوم في أثنائها صاحب الفحم فيبيع للناس ما يحتاجونه ثم يرجع إلى الجلوس إلى والدي، فيتناثر غبار الفحم على ثيابه، وعند خروج والدي تكون ملابسه البيضاء التي قد اعتاد ارتدائها قد اتسخت بالبقع السوداء، ومع ذلك كان يجوب بها الأسواق والشوارع والأزقة، وعند وصوله إلى دار زوجته أم حسين كانت تصرخ في وجهه على ذلك فيأخذ بتهدئتها وتسكينها ويعدها بمعاونتها في غسلها

وتنظيفها.

وكان الوفاء من سجاياه الأخلاقية الثابتة، يقول الشيخ العارف محسن الملايري: كان والدي صديقاً للسيد القاضي في النجف وملازماً له، وعند وفاة والدي ذهبت إلى النجف الأشرف فجاءني السيد القاضي وقال: إن والدك كان صديقاً لي وكان أحدنا يحمل غذاءه للآخر ويغسل ثيابه، ولازال هذا الحق باق في ذمتي، ومادمت في النجف فإنّي أهيّئ لك طعام الغداء يومياً وآتيك به، فكان يأتي بالطعام ونتناوله سوية، ويأخذ ثيابي ويغسلها في داره ثم يأتيني بها نظيفة.

كراماته:

ظهرت من السيد القاضي كرامات جمة نكتفي بالإشارة إلى بعضها مما نقله كبار العلماء والفقهاء الموثوقين في الحوزة العلمية.

١ـ ما نقله السيد الخوئي يقول: جمعني الشيخ محمد تقي بهجت أحد تلاميذ السيّد القاضي مع أستاذه بسبب نقاش دار بيننا في مسألة علمية وانجر إلى عقد اللقاء في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء، واستغرق اللقاء ساعة ونصف، ثم توطدت العلاقة بينهما، فطلب السيد الخوئي برنامجاً للعمل من السيد القاضي، فأعطاه ذكراً يواظب عليه أربعين يوماً، يقول السيد الخوئي: وبعد ختم الأربعين حصلت لي مكاشفة لحياتي المستقبلية إلى لحظات الموت، فرأيت نفسي على المنبر وأنا أُدرِّس الفقه والأصول، ثم رأيتها جالساً في الدار والناس يترددون عليَّ ويستفتوني في المسائل الشرعية ورأيت نفسي بعدها إماماً لصلاة الجماعة، وحالات كثيرة مختلفة كمرآة تسير أمامي حتى وصلت إلى مكان سمعت فيه صوتاً من أعلى المنارة يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، انتقل إلى جوار ربّه الكريم آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، ثم

انتهت تلك المكاشفة ورجعت إلى وضعي العادي.

٢ـ ما نقله المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي أنّه سمع السيد الخوئي يقول: إنّ النجوم قد تناثرت عند وفاة السيد علي القاضي. يقول السيد عبد العزيز: فقلت: إنّ النجوم لا تتناثر لموت أحد، فقال: إنّ هذا يقين عندي ولا يمكن أن أتنازل عنه لأنّي رأيته بأم عيني.

٣ـ يقول آية الله السيد عباس الكاشاني: كان لي صديق في النجف الأشرف في غاية الفقر، فذهب يوماً إلى السيد القاضي وقال له: إنّ الله تعالى قد أولاني الجميل في جميع أموري إلاّ أنّي في فقر شديد وأرجو منك إعانتي على ذلك. فمدّ السيد القاضي يده في جيبه وأخرج صمّاً من النقود وقال له: ضع هذه النقود في جيبك وانتفع منها من غير أن تعدّها.

يقول صديقنا: بقيت مدّة من الزمن كلما احتجت شيئاً مددت يدي في جيبي وأخرجت المبلغ الذي أحتاجه من غير أن أعرف مقدار النقود التي في جيبي، إلى أن وسوست لي نفسي قائلة لي: ما عسى أن تكون هذه النقود التي لا تنفد، فمددت يدي إلى جيبي وأخرجتها وعددتها فإذا هي لا تتعدّى مقداراً يسيراً من الفلوس ـ أصغر وحدة نقدية في العملة العراقية آنذاك ـ فأرجعتها إلى جيبي، ولكن بعد مدة قليلة ذهبت بركة تلك النقود ورجعت إلى فقري وفاقتي. فذهبت ثانية إلى السيد القاضي فقال لي مبادراً: ماذا عملت؟ هل عددت النقود؟ ثم مدّ يده إلى جيبه وأعطاني قبضة من النقود وقال لي: ضعها في جيبك ولا تعدّها.

يقول السيد الكاشاني: وبقي صاحبي ينتفع من هذه النقود مادام على قيد الحياة من غير أن ينقص منها شيء.

٤ ـ يقول آية الله الحسيني الهمداني صاحب تفسير «أنوار درخشان»: دعاني العلامة

الطباطبائي صاحب تفسير الميزان إلى وليمة مع مجموعة من الشخصيات منهم السيد الخوئي والسيد الميلاني والسيد صدر الدين الجزائري وآخرون، بمناسبة ولادة ولد ذكر له، وكان العلاّمة الطباطبائي لا يعيش له ولد ذكر، وقد ولدت له زوجته اثنين أو ثلاثة أولاد ماتوا بعد عدة أشهر من ولادتهم.

وقد تحدّث العلامة الطباطبائي فقال: لقد زارنا قبل أيام السيد علي القاضي ولم أكن حينها في الدار، فجلس قليلاً ثم قال للعائلة عند خروجه: سيرزقكم الله تعالى في هذه الأيام ولداً ذكراً سمّوه «عبد الباقي» ليبقى على قيد الحياة إن شاء الله. وقد ولد لي هذا الولد وأسميته عبد الباقي.

٥ـ يقول آية الله نجابت الشيرازي: ذهبت يوماً لعيادة السيد القاضي بعد نقاهته من وعكة صحية، وبعد مضي لحظات قال: أرى نفسي تشتهي اليوم قدراً من الرز مطبوخاً بالزعفران مع دجاجة، وعباءة من الطراز الفاخر، ومبلغاً من المال. وقد قال السيّد القاضي ذلك ونحن نعلم أنّه لا يمتلك شيئاً، وبعد نصف ساعة تقريباً طرق بابه وجاؤوا له بقدر رز مطبوخ بالزعفران مع دجاجة وعباءة فاخرة ومقداراً من المال.

٦ـ ويقول آية الله نجابت أيضاً: كنت أطلب العلم في النجف الأشرف تحت إشراف وتوجيه السيد علي القاضي، وقد سألته قبيل وفاته بعدة أيام: يا سيّدنا إلى مَن نرجع بعدكم؟ فقال الشخص الوحيد الذي أعرفه هو رجل في همدان اسمه الشيخ محمد جواد الأنصاري. ثم قال: هو الشخص الوحيد الذي أخذ التوحيد مباشرة من الله. وعندما جاء إلى النجف الأشرف قصد زيارتي مع شخص آخر، وكنت كارهاً لقاء ذلك الشخص فناديته: ارجع، ارجع، فرجع ولم أره بعدها.

يقول آية الله نجابت: وعندما توفي السيد القاضي سافرت إلى همدان للالتقاء بآية الله الشيخ محمد جواد الأنصاري، وعندما وصلت إليه رفض استقبالي، ومع إصراري

على اللقاء أزاح الستار وقال: لم يكن يعرفني أحد إلى هذا الوقت، ولكن شاء الله تعالى أن لا أبقى مخفياً أكثر من ذلك.

يقول آية الله نجابت: فسألته عن سبب عدم لقائه بالسيد القاضي عند مجيئه إلى النجف الأشرف، فقال: لقد قصدت زيارته مع شخص آخر، وفي أثناء الطريق سمعت صوتاً في قلبي يقول لي: ارجع، ارجع، فقلت له: إنّ هذه الحادثة حكاها لي أيضاً السيد القاضي وأعلمته أن سبب عدم اللقاء كان هو ذلك الشخص الذي كان بصحبته.

٧ـ ونقل آية الله السيد عباس الكاشاني القصة التالية أيضاً: كنت جالساً عند السيد القاضي مرة فجاءه رجل مسرعاً وكان يبدو عليه الحزن والاضطراب فقال للسيد: إنّ زوجتي في حال الاحتضار ولا أحد لي سواها، فأرجو منك الدعاء لترجع إليها عافيتها. فقال له السيد القاضي: لماذا تأتي إلى هنا وأنت جُنب، اذهب واغتسل ثم عُد إلى هنا فنهض الرجل وقد أخذته الدهشة واغتسل ورجع إلى السيّد وجلس بأدب وخضوع فوضع السيد سبابته على صدغي الرجل وشرع في القراءة والدعاء حتى أخذت دموعه تسيل على خدّيه، ثم أمره السيد بالنهوض والرجوع إلى داره، وبعد عدّة أيام التقيت بذلك الرجل في صحن الحرم الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام وسألته عن حال زوجته فقال: عندما رجعت إلى منزلي رأيت زوجتي سالمة وفي صحة جيدة وهي تزاول أعمالها المنزلية كالعادة.

وصاياه الأخلاقية والعرفانية:

كان السيد القاضي يحث تلاميذه على قراءة القرآن بتلاوة وتدبر وعلى المحافظة على الصلوات في أوائل أوقاتها، وينقل عنه قوله: «**إن من يحافظ على الصلاة أول وقتها إذا لم يصل إلى المراتب العالية فليلعنّي**»، وكان يؤكد كثيراً على الاهتمام

بصلاة الليل، وقد قال مرة للعلامة الطباطبائي: إذا أرت خير الدنيا فعليك بصلاة الليل وإذا أردت خير الآخرة فعليك بصلاة الليل.

ويقول العلامة محمد حسين الطهراني: كان السيد القاضي يوصي تلاميذه برعاية الموازين الشرعية والآداب الباطنية في أداء الأعمال العبادية وحضور القلب في الصلاة والإخلاص في العبادة، وأن يهيئوا قلوبهم حينئذ لتلقّي الفيوضات الإلهية.

وكان يوصيهم أيضاً بإحياء بعض الليالي بالعبادة في مسجدي الكوفة والسهلة وكان يوصيهم بعدم قطع الصلاة أو الذكر أو قراءة القرآن إذا أتت في خاطرهم فكرة أو رأوا وجهاً جميلاً أو شاهدوا شيئاً آخر من عالم الغيب.

وكان السيد القاضي يعطي كل واحد من تلاميذه برنامجاً يتناسب مع استعداده الروحي، ونقل عن الشيخ محمد رضا آل ياسين أحد علماء النجف الأشرف أنّه كان للسيّد القاضي مجالس متعدّدة بتعدّد طبقات السالكين على أساس الحال والمقام ويمكن تمييزها بالعناوين التالية: مجلس عام، مجلس خاص، مجلس خاص الخاص مجلس أهل الخاص.

وكان له درس أخلاقي عام يعقده ليلاً في جنح الظلام ولا يسمح فيه بإضاءة النور وكان يحضره جمع غفير من العلماء والطلاب والكسبة، وكان أغلب حديثه فيه يدور حول معرفة النفس وتهذيب الأخلاق، وكان يتحدث أحياناً في العرفان.

ونقل عنه آية الله الكشميري: أنّ صباح الجمعة في مسجد السهلة أفضل من مساء الجمعة، وكان يعتبر الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام عظيمة جداً، وكان يؤكّد على ذكر اليونسية في السجود وهي آية: ﴿**لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ أربعمائة مرة على الأقل، ويوصي بذكر التسبيحات الأربعة في تعقيبات الصلاة، ويأمر بقراءة سورة القدر مائة مرة في ليلة الجمعة وعصر الجمعة. وكان يعتبر

رسالة السير والسلوك التي كتبها العلاّمة السيد مهدي بحر العلوم أهم ما كتب في هذا المجال ولكنه لم يسمح بالعمل بها من غير إجازة الأستاذ.

وكان يوصي بالثبات والاستمرار في طريق تزكية النفس لأنّه يحتاج إلى وقت طويل ومجاهدة مستمرة ولا تحصل نتائجه في فترة قصيرة.

وكان رحمه الله يؤكد جداً على أهمية الأستاذ الكامل للراغبين في سلوك طريق التزكية ويقول: لو أنّ السالك قضى نصف عمره في البحث عن أستاذ كامل لكان ذلك خيراً له ويقول: إنّ أهم ما يحتاجه السالك هو الأستاذ الخبير المتحرّر من الأهواء، والإنسان الكامل المتبحّر في المعارف الإلهية هو الذي طوى إضافة إلى سيره إلى الله ثلاثة أسفار أخرى وكانت سياحته في عالم الخلق بالحق. ومن حصل على الأستاذ الكامل فقد قطع نصف الطريق.

وفاته:

توفي السيد القاضي في النجف الأشرف في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هجري قمري عن عمر ناهز الثلاث والثمانين عاماً، قضى جلّها في تربية السالكين إلى الله وإرشادهم وتوجيههم، وقد تخرج على يديه ثلّة من العلماء والعرفاء الذين تركوا أثرهم الواضح بعد ذلك في الحوزات العلمية والعالم الشيعي، منهم: العلامة السيد محمدحسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، وأخوه السيد محمد حسن الإلهي الطباطبائي، والشيخ محمد تقي بهجت، والسيد هاشم الحداد، وآية الله نجابت الشيرازي، وآية الله الشيخ عباس القوجاني الوصي الرسمي للسيد علي القاضي، والسيد عبد الكريم الكشميري وعشرات آخرون.

الملحق الثاني

نبذة من حياة العارف الكبير
آية الله الشيخ
مرتضى الطالقاني

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ العارف مرتضى الطالقاني رحمه الله في سنة ١٢٧٤ هجري قمري في قرية «ديزان» التابعة لمدينة «طالقان» في عائلة ريفية. واشتغل في صباه وفي أوائل شبابه برعي الغنم، وفي إحدى الأيام سمع في الصحراء صوتاً ملكوتياً يرتل القرآن الكريم فانجذب نحوه انجذاباً شديداً، وكان هذا الصوت نقطة التحوّل في حياته، فرجع إلى أهله وأرجع الأغنام إلى أهلها وذهب إلى المكتب الذي يعلِّم فيه شيخ القرية القرآن والكتاب وبعض كتب المقدّمات. وازداد عطش الشاب «مرتضى» للعلم فقرّر الرحيل إلى الحوزة العلمية في طهران.

دراسته العلمية:

حطّ الشيخ مرتضى الطالقاني رحاله في مدينة طهران في سنة ١٢٩٥ هجري قمري وتتلمذ في حوزتها لمدة سبع سنوات على يد ثلاثة من كبار علمائها وهم: الميرزا مسيح الطالقاني والحكيم المتبحّر الميرزا أبو الحسن جلوه والحكيم المشهور الشيخ محمد رضا القمشه اى.

وفي سنة ١٣٠٢ هجري قمري قرّر الرحيل إلى الحوزة العلمية في أصفهان والتي كانت آنذاك إحدى الحوزات العلمية الرئيسية في العالم الشيعي لتدريس العلوم الإسلامية. وكانت تمتاز بطابعها الفلسفي العرفاني الذي أرسى قواعده ثلّة من العرفاء الفلاسفة كالحاج الكلباسي والسيد محمد البيد آبادي والسيد رضا اللاريجاني والملا

علي النوري. ثم حمل هذا المشعل من بعدهم علماء آخرون كالملا محمد الكاشي والميرزا جهانكيرخان القشقائي والسيد محمد باقر الدرجه اى الأصفهاني.

أقام الشيخ مرتضى الطالقاني في أصفهان خمسة عشر عاماً عاكفاً عند كبار علمائها في طلب العلم والمعرفة، وقد أتيحت له فرصة التتلمذ والتربية السلوكية إلى الله تعالى على يد اثنين من علمائها العرفاء وهما: العارف الكبير جهانگير خان القشقائي والآخوند الملاّ محمد ا لكاشي.

وفي سنة ١٣١٧ هجري قمري قرّر الشيخ الهجرة إلى النجف الأشرف وإكمال دراساته العالية في حوزتها العلمية التي كانت تُعدّ آنذاك أكبر الحوزات العلمية الشيعية وأصلها ومقر المرجعيات الدينية للعالم الشيعي. فحضر لمدة ست سنوات في دروس البحث الخارج في الفقه والأصول للآخوند محمد كاظم الخراساني صاحب كفاية الأصول، وكان يحضر أيضاً دروس السيد محمد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى والشيخ محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمد حسن المامقاني والميرزا حسين نوري والشيخ مرتضى الأنصاري وغيرهم.

وانقطع الشيخ مرتضى الطالقاني عن حضور دروس الآخوند الخراساني بعد قيادته لنهضة المشروطة في إيران، وانتقل أيضاً من مدرسة «حاجي» التي كانت مقراً لاجتماع أنصار المشروطة إلى مدرسة السيد محمد كاظم اليزدي الذي كان قد أكمل بناءها تواً وأسس فيها لنفسه كرسي التدريس وأخذ على عهدته تربية الطلاب. وكان الشيخ مرتضى الطالقاني معارضاً للآخوند الخراساني في وجهة نظره إزاء المشروطة، ولعل معارضة السيد اليزدي للمشروطة كان ناشئاً من وثاقة علاقته بالشيخ مرتضى الطالقاني حيث كان يتردد عليه كثيراً في غرفته.

نشاطه العلمي:

تتلمذ على يدي الشيخ مرتضى الطالقاني عدد كبير من الطلاب والعلماء منهم: السيد أبو القاسم الخوئي والسيد شهاب الدين المرعشي النجفي والشيخ محمد تقي بهجت والسيد عبد الكريم الكشميري والشيخ محمد تقي الجعفري.

وقد ترك الشيخ الطالقاني آثاراً علمية جلّها حواشي على الكتب الدراسية في الحوزات العلمية، كالحاشية على الأسفار الأربعة والحاشية على كفاية الأصول والحاشية على مكاسب ورسائل الشيخ الأنصاري وتعليقة على نهج البلاغة وغيرها.

وأمّا نشاطه العلمي الرئيسي فقد كان يتركّز على التدريس، فكان يفتح باب غرفته للطلاب في أوائل الصباح الباكر حتى أذان الظهر، وكان كل درس له يستغرق ساعة كاملة. وكان ينهل من نمير علمه الطلاب على مختلف أعمارهم ومستوياتهم العلمية إذ لم يكن يردّ أحداً يطلب منه درساً ولو كان من دروس المقدّمات، فكان من المألوف أن يجتمع حوله مجموعة من الطلاب المبتدئين ليدرسوا لديه كتاب الصرف مثلاً، ثم يأتي بعدهم فضلاء الحوزة العلمية ليدرسوا عنده كتاب الأسفار الأربعة للملا صدرا.

وكان رحمه الله صاحب قدرة فذّة على توضيح المطالب العلمية وشرحها وإيصالها إلى أذهان الطلاب، وكان حريصاً جداً على استيعاب طلابه للمطالب العلمية أثناء حضور الدرس، فكان يختبر حضورهم الذهني بين الفينة والأخرى، وينبّههم بأسلوب أبوي على أهمية التحضير للدرس والإصغاء والاستفسار لهضم المطالب العلمية، وكان يقول لهم: اعلموا يا أولادي الأعزاء أنّ هذا المجلس معقود لمن كان جادّاً ومشتاقاً لتحصيل العلم، فادرسوا جيداً ولا تضيّعوا أعماركم هباءً، واعلموا أنّ من شروط الاستفادة الكاملة من علم الفقه وعلم الأصول هو الإحاطة الكاملة بعلوم العربية.

وبعد أذان الظهر يغلق باب غرفته متفرغاً للعبادة إلى صباح اليوم الثاني. واستمر على هذا المنوال أربعين عاماً إلى أن وافاه الأجل في أول شهر المحرم الحرام سنة ١٣٦٣ هجري قمري عن عمر ناهز التسعين عاماً من غير أن يتزوج، وحينما سُئل عن سبب عزوبته قال: لم يكن هذا إعراضاً عن سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله بل لضيق ما في يدي.

منزلته العلمية:

كان للشيخ مرتضى الطالقاني إحاطة كاملة بالعلوم الإسلامية، فهو مجتهد في الفقه والأصول، ومن علماء الطراز الأول في الحكمة والفلسفة وتفسير القرآن وعلم الحديث وعلم الكلام، وكان له اطلاع واسع على العلوم الغريبة والطلاسم وعلم الهيئة. وكان يمتاز بحافظة قوية جداً، فكان يستظهر كثيراً من النصوص العلمية بحيث كان يعدّه آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي من آيات الله وعجائبه في الإحاطة والحفظ. وكان يحفظ إضافة إلى ذلك الآلاف من أبيات الشعر العربي والفارسي ويُحسن الاستشهاد بها في ثنايا حديثه.

وكانت منزلته العلمية والعملية قد لفتت إليه أنظار مراجع التقليد في عصره، فكان يتردّد على زيارته آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي وآية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني.

سيرته العملية:

كان الشيخ مرتضى الطالقاني يحرص على الوقت أشدّ الحرص، فلا تراه إلاّ في إحدى حالات ثلاث: التدريس أو المطالعة أو العبادة، وقد وزّع وقته على هذه الأمور توزيعاً دقيقاً، وكان ملتزماً بذلك أشدّ الالتزام.

فقد نقل أحد تلامذته أنّ أحد مراجع الدين في عصره جاء لزيارته في الوقت الذي خصّصه للعبادة، فقال له ولمن معه: اذهبوا وتعالوا في وقت آخر.

وكان دأبه رحمه الله طيلة عمره في مدرسة السيّد اليزدي أن يصعد على سطح المدرسة ثلاث مرات في اليوم في الفجر وحين الظهر وعند الغروب للأذان، وكان يؤذّن بصوت حزين يتمتم قبلها ببعض الأذكار، ثم ينزل إلى غرفته ويغلق بابها. كما كان يغلق باب غرفته من ظهر يوم الأربعاء إلى صباح يوم السبت، ولا يخرج من المدرسة إلاّ مرّتين في الأسبوع، الأولى في ليلة الجمعة لزيارة ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والأخرى للاستحمام في أحد أيام الأسبوع. وكان ممتنعاً عن حضور الجماعات والتجمعات ودعوات الطعام ومجالس الفاتحة والأعراس وما إلى ذلك ممّا هو مألوف في الأوساط الحوزوية وغيرها.

وبقي الشيخ الطالقاني إلى أن لبّى نداء ربّه الجليل منزوياً في غرفته وقد أغلق بابها، فارّاً من الدنيا وزخارفها وزبرجها، عازفاً عن حبّ الرئاسة والشهرة والظهور، ولم يخطُ خطوة واحدة نحو طلب المرجعية أو تولي المسؤوليات الدينية أو الدنيوية، وقد قطع علاقاته ومجاملاته مع الطلاب والناس إلاّ من بعض الخواص والمراجع الذين كانوا يترددون عليه ويحظون بزيارته كآية الله الشيخ محمد حسن الطالقاني، ولهذا لم يكن يأبه لاعتبارات الآداب والتقاليد المتعارفة في الأوساط الحوزوية لمن يحرص على جاهه، وكان الله سبحانه وتعالى غايته ومبلغ همه فلم يكن يصرف نظره عنه إلى سواه.

عبادته وخشوعه:

لقد كان الشيخ الطالقاني رحمه الله دائم الذكر لله عز وجل في جميع أحواله وأوقاته فكان حريصاً على أداء الفرائض والنوافل بشكل كامل، وكان كثير الصيام، فإذا ما جنّ

عليه الليل وهدأت العيون وانقطعت الأصوات نهض إلى لقاء محبوبه وافترش بذراعيه الأرض وسجد سجدة طويلة، وكانت قصة أسراره الخفية في سجداته الطوال في جوف الليالي، لم يطّلع على سرّه غير ربّه وجدران غرفته المغلقة.

يقول آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي عنه: «كان زاهداً، عابداً، معرضاً عن زخارف الدنيا الدنية، صوّاماً، قوّاماً، قانعاً باليسير من العيش، متهجّداً، متنفّلاً.

وبالجملة كان رجلاً سماوياً، ملكوتياً، روحانياً، وكان كل من رأى لياليه وأسحاره انقلب عن حاله ولو كان من أشقى الأشقياء»[1].

لقد كان منصرفاً إلى خالقه تبارك وتعالى وإن كان في أوساط الخلق، يلاحظ ذلك فيه كل من رآه، يقول الشيخ مجتبى البهشتي: «في كل وقت كان يقع نظري عليه كنت أراه مستغرقاً بذكر الله سبحانه، وحتى في أيام الصيف حيث تعطّل الدراسة في الحوزة العلمية كان يجلس على بساط يفرش على طرف الحوض الموجود في وسط المدرسة وهو يلهج بذكر الله عز وجل منصرفاً عن الحديث مع كل أحد».

وكان يغلبه الشوق في بعض الأحيان فيرفع صوته بتلاوة بعض سور القرآن بصوت حزين وجذّاب، وخاصة قبيل أذان الصبح كان يقرأ بعض الأدعية المأثورة ويردّد أحياناً بعض أشعار العرفان.

ويحكي عن بعض حالاته أحد أساطين أهل المعرفة والذي كان ساكناً في غرفة قريباً من غرفة الشيخ الطالقاني، يقول: «كانت له حالات عجيبة، كان يدور في ليالي شهر رمضان في ساحة المدرسة وهو يتلو القرآن بصوت عال وجذّاب، لقد كان ذا صوت جميل جداً، وكان يقرأ الأدعية المأثورة وهو على تلك الحال، وينشد في بعض

(١) المسلسلات في الإجازات: ص ٣٠٠.

الأحيان أشعار المثنوي وبابا طاهر بشكل جذاب جداً».

وكان رحمه الله في حالة خشوع مستمر، تتساقط دموعه على خديه في كثير من الأحيان، وخاصة حين الوعظ والإرشاد. فقد كان حريصاً على تطعيم مجالس دروسه العلمية بالمواعظ والتوجيهات لطلاب العلوم الدينية، وكانت دموعه تنحدر من عينيه غزيرة وهو يوصيهم بتقوى الله وخشيته في حين كان يمثل بشخصه تمثال التقوى والخشوع.

يقول أحد العلماء: عندما كنّا ندخل إلى غرفته كنّا ننشدّ إلى حلو كلامه ومواعظه وكان يتحدث لنا أحياناً عن الخوف من الله سبحانه فنضج بالبكاء وهو يبكي معنا.

وينقل الشيخ موسى القمي الحكاية التالية عنه في إحدى مجالس وعظه يقول: كان في سالف الأيام عابد قد أعرض عن الدنيا وصرف وقته وجهده في عبادة الله تعالى بنحو كان قائماً ليله صائماً نهاره، وفي أحد الأيام لم يجد شيئاً يفطر عليه، فخرج إلى الصحراء لعلّه يجد شيئاً يتناوله ويسدّ به صرخات جوعه، فوجد شيئاً من الأعشاب فجمعها ووضعها في قدر ليطبخها، وكان في تلك الأيام سلطان جائر قد أصيب بمرض عضال، فوصف له الطبيب لعلاجه تناول نوع خاص من الأسماك يعيش في البحار فسمع العابد حديث ملكين في السماء يقول أحدهما لصاحبه: أنا ذاهب لكفىء قدر العابد لئلاّ يطعم اليوم شيئاً، ويقول الآخر: أنا ذاهب لإخراج ذلك النوع من السمك الذي يحتاجه السلطان لعلاجه. فتعجّب العابد من هذا الكلام واختلج في صدره هذا السؤال: لماذا يُفعل بي هكذا وأنا قد أفنيت عمري في عبادة الخالق جلّ وعلا؟ ولماذا يفعل بهذا الملك هكذا وهو سلطان جائر قد ضجّ الخلق من جوره وظلمه؟ فسمع العابد أحد الملكين يقول له: إنّ الله تعالى يريدك في حاجة دائمة له، ولا يريد لذلك الظالم أن يلتفت إلى الله لقضاء حاجته!

كراماته:

نقلت عن الشيخ العارف مرتضى الطالقاني كرامات كثيرة نقتصر على ذكر عدد منها مما حكاه عنه الصادقون والموثقون من العلماء والصلحاء، ولم يكن هذا المقام الذي ناله العارف الطالقاني محفزاً له على جذب الناس إليه طلباً للشهرة أو الرئاسة والدنيا، وهذا ما شهد له به عظماء عصره، فقد نقل عن مرجع زمانه السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله قوله: «إنّ الشيخ مرتضى الطالقاني مع كل هذه الكرامات ليس من أهل الدكاكين».

١ ـ يقول آية الله الشيخ جواد الكربلائي الذي كان من أصدقاء وحواريّي الشيخ مرتضى الطالقاني: ابتليت فترة من الزمن بمرض كنت أخجل أن أطلع أحداً عليه واضطررت أخيراً إلى إخبار الشيخ الطالقاني بذلك، فقبض على لحيته الشريفة وقال: إذا كانت لهذه اللحية حرمة عند الله عز وجل فسيشفيك الله عز وجل ـ إن شاء ـ من هذا المرض. فشفيت تماماً من ذلك المرض في تلك الليلة أو الليلة التي بعدها.

٢ ـ نقل القصة التالية جمع غفير من العلماء وهي أنّ شخصاً من أهالي مدينة الحلّة جاء إلى الشيخ الطالقاني واشتكى إليه أنّ ثمّة من يرمي الحجارة إلى داره، وكلّما بحث عن مصدر ذلك لم يجد أثراً، وكان يعتقد أنّ وراء ذلك أمراً غير عادي ولعلّه من عمل الجنّ.

فقال له الشيخ: اذهب هناك وقل: «إنّ الشيخ مرتضى يقول لا ترموا الحجارة مرة أخرى».

وهكذا توقف رمي الحجارة، وبعد سبع سنوات عاد ذلك الرجل مرة أخرى واشتكى إلى الشيخ أيضاً عودة رمي داره بالحجر من مصدر مجهول، فقال له الشيخ أيضاً: «اذهب وقل: إنّ شيخ مرتضى يقول لا ترموا الحجارة». فرجع الرجل إلى داره

وصاح في أطرافها: إنّ الشيخ مرتضى يقول: لا ترموا الحجارة. فتوقف رمي الحجر نهائياً.

٣ ـ يقول آية الله الشيخ مجتبى البهشتي: كانت إحدى كرامات الشيخ هي علاج المرضى المصابين بالصرع، ولقد شوهد مراراً كيف يشفى المريض بمجرد قراءة الشيخ دعاء عليه.

وقد راجع بعضهم المدرسة بعد وفاة الشيخ وهم يشكون عودة المرض إليهم فأخبروا بوفاته رحمه الله.

٤ ـ نقل عن العارف المرحوم آية الله السيد عبد الكريم الكشميري رحمه الله سبط السيد محمد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى قوله: كنت صبياً أجيء مع والدي إلى مدرسة جدّي وألعب في ساحتها، وفي إحدى الأيام خاطبني الشيخ مرتضى الطالقاني قائلاً: «تعال يا بني فإنّ اللعب لا يصلح لك، إنّ رأسك قد مُلئ نوراً».

٥ ـ نقل آية الله الشيخ مجتبى البهشتي عن المرحوم الشيخ محمد باقر الناصري الدولت آبادي الذي كان من تلاميذ الشيخ الطالقاني قوله: كنّا نحضر مجلس التعزية الذي يقام في مدرسة الصدر في النجف الأشرف في ليالي الجمعة وقد جرت عادة الطلاب في التباحث في الأمور المختلفة، وفي إحدى الليالي جرى البحث حول مسألة أصالة الوجود أو أصالة الماهية. وطبعاً فقد كان الشيخ وتلاميذه من أتباع الرأي القائل بأصالة الوجود، ولكنّنا غُلبنا من أحد الحاضرين الذي كان يعتقد بأصالة الماهية، وفي يوم السبت قال الشيخ مرتضى في مجلس الدرس: انتبهوا إلى دروسكم جيداً وافهموها، واصغوا جيداً لما يُتلى عليكم في مجالس الدرس، لا أن تسمعوا كلمة من هذا وكلمة من ذاك ثم تُغلبوا في النقاش ولا تستطيعوا إثبات أصالة الوجود أمام شخص أمي قد قرأ أربع كلمات.

وهكذا عرفنا أنّ الشيخ كان مطّلعاً على ما حدث لنا في تلك الليلة مع أنّ أحداً لم يخبره بذلك.

٦ ـ نقل عن الشيخ محمد فاضل القائيني أحد تلاميذ الشيخ مرتضى الطالقاني قوله: كنّا يوماً حاضرين في مجلس درس الشيخ إذ جاء رجل قروي من عشائر المنطقة المحيطة بالنجف وهو يقول: أنا رجل من العشائر وعملي في تربية الأغنام، ومنذ مدّة وبعد حلول الظلام تضطرب هذه الأغنام من غير علّة، وكلّما بحثت عن سبب ذلك لم أعرفه، وقد هاجرت بسبب ذلك من هذه المنطقة، فأغثني يا شيخنا. فأخذ الشيخ مرتضى كفاً من التراب وقرأ عليه وقال لذلك الرجل: ارجع إلى محلّك الأول ورشّ هذا التراب فيه هذه الليلة وستحلّ مشكلتك إن شاء الله تعالى.

فأخذ الرجل التراب ورجع إلى داره الأولى، وفعل ما أمره الشيخ. وبعد أسبوع جاء ذلك الرجل وبيده خروف هدية للشيخ بسبب حلّ مشكلته.

٧ ـ ونقل عن الشيخ القائيني أيضاً قوله: كنّا عند الشيخ مرتضى يوماً إذ جاء رجل قروي وهو يصيح: شيخنا دخيلك، فأجابه الشيخ: ماذا حدث؟ لماذا أنت مضطرب؟ فقال الرجل: لقد هجم النمل على داري، وتسلّق على سقفها الخشبي ويحتمل أن تسقط علينا. فطلب الشيخ قبضة من الحصى الناعم وقرأ عليه دعاءً وقال للرجل: ارجع إلى دارك وضع هذا الحصى في زواياها. فأخذها الرجل وعاد إلى داره مسرعاً وعمل بما أمره الشيخ، وجاء في اليوم الثاني وهو يحمل الهدايا إلى الشيخ فسألته عمّا جرى فقال: رجعت البارحة إلى الدار ووضعت الحصى في زواياها فرأيت النمل قد خرج من الدار بشكل قوافل كقوافل الإبل.

٨ ـ يقول آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي: كانت والدتي تطبخ الطعام في كل يوم وترسله بيدي إلى الشيخ مرتضى الطالقاني، وفي إحدى الأيام نهضت والدتي

قُبيل الظهر لطهي طعام للشيخ فقالت وهي ضجرة: إلى متى أبقى أطبخ طعاماً لهذا الشيخ؟ ولكنّها مع ذلك طبخت الطعام، فأخذته وجئت به إلى الشيخ ولكنّه امتنع عن فتح باب غرفته لي ذلك اليوم رغم إلحاحي وطرقي الباب مراراً.

٩ ـ نقل آية الله السيد محمد الحسيني الطهراني قصة لقاء الحاج هادي الأبهري مع الشيخ مرتضى الطالقاني كالتالي، يقول: كان لي صديق من أهل التقوى والقلوب الحيّة وعشّاق الإمام الحسين عليه السلام، له من العمر ٨٣ سنة، ومنذ ١٨ عاماً قرأت معه صيغة عقد الأخوة يقول: في سفري لزيارة العتبات المقدّسة في العراق، وأثناء زيارتي لأمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف لم أجد أحداً من الأولياء أجلس إليه وأحدّثه وأطمئن إليه، وفي إحدى الأيام وعند زيارتي لأمير المؤمنين عليه السلام طلبت رؤية ولقاء أحد الأولياء وخاطبته: «مولاي أنا ضيفك، وأنا في النجف منذ أيام ولم أعثر على أحد! حاشا لكرمك أن تردّ طلبتي».

وخرجت من الحرم من غير إرادة منّي وأخذت أسير في الطريق المؤدّي إلى سوق الحويش ودخلت مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي وجلست مقابل إحدى الغرف إلى حين الظهر، فرأيت شيخاً جميلاً وذا شمائل حسنة ومتيقظ القلب قد خرج من الغرفة المقابلة في الطابق العلوي وصعد إلى أعلى السطح وأذّن ثم نزل ودخل غرفته وأغلق الباب، وحيث نزوله وصار وجهه في مقابلي رأيت شيئاً كأنه حلقتان من النور تشعان على صدغيه، فأجهشت بالبكاء وخاطبت أمير المؤمنين عليه السلام: «يا مولاي بعد عدّة أيام رأيت هذا الرجل ولكنّه لم يهتم بي».

ففتح الشيخ باب غرفته فجأة وأشار نحوي أن اصعد إلى هنا، فنهضت وصعدت إليه ودخلت غرفته فاحتضن أحدنا الآخر ثم أخذنا في البكاء، ثم جلسنا بعدها ساكتين مدّة من الوقت، ثم أخذ أحدنا ينظر إلى الآخر مدّة أخرى، ثم افترقنا.

وقد كان هذا الشيخ هو مرتضى الطالقاني أعلى الله مقامه[١].

وفاته:

ساعة الموت عند أولياء الله ينطبق عليها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٢].

وقد كان الشيخ مرتضى رَحِمَهُ الله يعرف ساعة وفاته، وقد نقلنا في مطاوي هذا الكتاب عن الشيخ بهجت دام ظله إخبار الشيخ الطالقاني عن وفاته كما يحكي آية الله السيد محمد الحسيني الطهراني عن حالته في ليلة وفاته هكذا: «يقول طلاب مدرسة السيد اليزدي، في ليلة وفاة المرحوم الشيخ مرتضى جمع جميع الطلاب في غرفته وكان يحدّثهم ويتبسّم في وجوههم فرحاً ويمازحهم حتى الصباح، ويقول لهم: ليلة واحدة غنيمة! ولم يكن أحد على علم بقرب أجله.

ويقول خادم مدرسة السيد اليزدي: في عصر اليوم الذي سبق وفاة الشيخ مرتضى التقى بي في صحن المدرسة أثناء عبوره فقال لي: أنت تنام الليلة وتقعد بالصبح وتروح إلى الخلوة وتجيء يَم (قرب) الحوض تتوضأ يقولون شيخ مرتضى مات»[٣].

ويقول السيد صادق الخلخالي: قال لي الشيخ مرتضى قبيل وفاته بأيام: في اليوم الفلاني تنهض في الصباح وأثناء تناولك الطعام مع ابنتك وزوجتك تسمع من مئذنة الحرم الشريف يقولون: مات شيخ مرتضى. ولقد حدث بالفعل ما قاله لي[٤].

---

(١) معاد شناسي ١ / ١٠٨.

(٢) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

(٣) معاد شناسي ١ / ١٠٨ ـ ١١٠.

(٤) نفس المصدر.

ويقول العلامة محمد تقي الجعفري: كان أُستاذنا الشيخ مرتضى الطالقاني معرضاً عن الدنيا إعراضاً كاملاً، وكان حكيماً وعارفاً كبيراً، وقد وفقت بالحضور والتلمذ لديه ما يقرب من السنة والنصف، وقُبيل رحيله بيومين جئت عنده وسلّمت عليه وجلست فقال: ما الذي دعاك للمجيء إلى هنا؟ فقلت له: جئت لحضور الدرس، فقال الشيخ: انهض واذهب! لقد انتهى الدرس. فظننت أن مقصوده أنه قد عطّل الدرس بسبب حلول شهر المحرم الحرام حيث تعطّل فيه الدروس الحوزوية لمدة أربعة عشر يوماً احتراماً لذكرى أيام شهادة الإمام الحسين عليه السلام. فقلت له: لقد بقي يومين على دخول شهر المحرم ولم تعطل الحوزة دروسها بعد. وقد كان الشيخ في أتم صحّته ولم تظهر عليه أي من علامات الضعف أو المرض، وكان يمارس التدريس إلى آخر أيام حياته، فقال: «يا عزيزي لقد قلت لك إن الدرس قد انتهى! أنا مسافر، لقد ذهب حمار طالقان وبقي جلاله، ذهبت الروح وبقي الجسد!» ، وبعد هذه قال: لا إله إلاّ الله، ثم تساقطت الدموع من عينيه، وحينها عرفت أنّ الشيخ يخبرني باقتراب أجله، فقلت له: لقد فهمت ما تريد يا شيخنا! فقال مرة أخرى: لا إله إلاّ الله، وانهمرت مرة أخرى الدموع من عينيه على شيبته، فنهضت للذهاب وأخذت يده لأقبّلها، فسحب يده ولم يدعني أقبّلها، ولم يكن يسمح لأحد بتقبيل يده، فانحنيت وقبلته في جبهته ولحيته، وأحسست ببلل دموع الشيخ على شفتي ووجهي التي لا أنساها إلى اليوم.

وبعد يومين حينما كنت في مدرسة الصدر لحضور أول مجلس عزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام ـ حيث كنت ساكناً في هذه المدرسة مدّة ثلاثة عشر عاماً ـ جاء خطيب المنبر الحسيني الشيخ محمد علي الخراساني الذي كان من وعّاظ النجف العبّاد وجلس على الكرسي وقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون لقد رحل الشيخ مرتضى الطالقاني عن الدنيا، فهبّ جميع الطلاب لتشييع

جنازته.

وقد سألت طلاب مدرسة السيد اليزدي عن قصة وفاة الشيخ فقالوا: إنّ الشيخ كعادته صعد قبل نصف ساعة من أذان الفجر إلى سطح المدرسة وأخذ يقرأ أدعية السحر ومناجاته ثم أذّن ونزل إلى غرفته وصلّى صلاة الفجر، ثم أطفأ بعض المصابيح وكانت هذه عادته في كل مرّة، وكان دائماً يخرج من غرفته قبيل طلوع الشمس ويتمشّى في ساحة المدرسة، وكان بعض الطلاب وخاصة السيد هادي التبريزي يهيّئ مائدة الإفطار للشيخ، ثم يذهب الشيخ إلى غرفته ويبدأ بالتدريس، ولكننا التفتنا إلى أن الشيخ لم يخرج من غرفته رغم مضي مقدار من الوقت على طلوع الشمس، فذهبنا ونظرنا من زجاج الشباك فرأينا الشيخ قد فارقت روحه الحياة وهو في حالة العبادة»[1].

وهكذا كانت رحلة العارف الزاهد والسالك العابد حكيم عصره ووحيد دهره آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني في أول شهر المحرم الحرام سنة ١٣٦٣ هجري قمري عن عمر بلغ ٨٩ عاماً، ودفن في الإيوان الثالث من غرف الجنوب الغربي للصحن العلوي الشريف.

والحمد لله رب العالمين

(١) شرح وتفسير نهج البلاغة ١٣ / ٢٤٧ ـ ٢٤٩.



الفهرس



الفصل الأول: ٧

الفصل الثاني: